رجل عظيم

رجل عظيم

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٥

مقدمة

يصادف هذا العام الذكرى الـ١١٣ لميلاد الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ.

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا حكيما وعظيما واقعيا، لا شخصا يجري الحديث عنه في الأساطير أو الخرافات، كما شاطر الشعب السراء والضراء، والإبداع والبناء أيضا، فقد رفعه ويرفعه الكوريون إلى ذرى العلياء بمزيد من السمو والصدق.

كان يقف دائما على رأس الثورة الكورية ويستبق الزمان طوال حياته العظيمة.

لقد انطلق إلى طريق الثورة في الرابعة عشرة من عمره، وقاد النضال الثوري السري والحربين الثوريتين والمرحلتين من الثورة الاجتماعية، وعملية إعادة الإعمار والبناء مرتين، وأعمال البناء الاشتراكي من مختلف المراحل والتي خاضها الشعب الكوري إلى الانتصارات العظيمة خلال حقبة طويلة من الزمن ولذا، يشيد به الشعب الكوري واصفا إياه بالسياسي الفريد، والقائد البارز، والقائد العسكري البارع الفولاذي الإرادة.

إلا أنه كان إنسانا عظيما قبل أن يكون قائدا بارزا وثوريا عظيما. بما أن الكوريين عاشوا السنوات المثيرة في القرن العشرين تحت قيادة الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ، فقد أحسوا من أعماق قلوبهم بأن تاريخ

القائد البارز والثوري العظيم يبدأ بتاريخ الإنسان العظيم، وأن الثورة التي يقودها الإنسان العظيم هي القوة الدافعة للتاريخ المقدس بالذات.

مجد حياته الجليلة بالعقل الرفيع والمحبة الإنسانية الحارة والروح المعنوية الصامدة والحياة المتواضعة. كان عقله الرفيع منارة تنير طريق تقدم الثورة الكورية والشعب الكوري، وكانت محبته الإنسانية اللامتناهية غذاء لحديقة أزهار محبة الإنسان، وكانت روحه المعنوية الصلبة مصدرا لكرامة وانتصار الشعب الكوري وكانت ملامحه الشعبية النبيلة حجر زاوية يدعم الوحدة التماثلية للشعب الكوري.

كان طول حياته حياة جميلة، لكنها صامدة وسامية، وتغدو موسوعة كبيرة لشيم وحياة عدد غفير من الناس. يظل الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ خالدا في قلوب الكوريين، لأنه أظهر ملامح ومؤهلات الإنسان السامية من خلال حياته.

فهرس

١ـ تمجيد الحياة بالاستقصاء ٥

تواصل التحصيل العلمي المتميز في الممارسة العملية ٦

المطالعة المتواصلة على مدى الحياة ١٨

بفهم مايدور في خلد الجميع ٢٢

ذاكرته الخارقة ٢٩

مصباح الفطنة ٣٨

٢ـ تقديس الشعب الفائق ٤٧

اعتبار الشعب كالسماء ٤٨

محور تفكيره ونشاطه ٥٤

ثقة ثابتة لا تتغير ٥٩

مشاعر المودة الواسعة كالبحر ٦٦

نداء الشعب ـ «أبونا» ٧٧

محبة إنسانية لا تعرف حدودا ٩٢

المتعة الكبرى ـ كسب الرفاق ٩٨

٣- الروح المعنوية الصلبة ١١٣

الجرأة والعزيمة منقطعة النظير ١١٤

حماسة متأججة ١٣٤

رجل متفائل وعاطفي ١٤٣

٤- عامي عظيم ١٥١

التواضع والصراحة في التفكير والتطبيق ١٥٢

بين الشعب طوال حياته ١٦٣

طول الحياة المتواضعة ١٧٩

١

تمجيد الحياة بالاستقصاء

حين نتحدث عن عظمة الرئيس كيم إيل سونغ باعتباره إنسانا، يحتل عالمه العقلي العالي المرتبة الأولى لا محالة.

بيد أن عقله هذا لم يكن البتة كفاءات بارزة جبلت عليه، بل جاء أولا وقبل كل شيء ثمرة لجهوده المتواصلة مدى الحياة بوجهة نظره المتمثلة في الاعتزاز بالعقول وتفكيره المضني واستقصائه الدؤوب.

لم يكف عن بناء صرح لعقله باستقصائه وجهوده الدؤوبة حتى آخر فترة من حياته، فقد أوضح طريق التقدم للعصر والتاريخ ولصياغة مصير جماهير الشعب بالاعتماد على العقول والحقائق.

بفضل استقصائه والذي اعتبر العلم الكبير المسمى بالثورة الكورية كمجال اختصاصه، والشعب كمعلم له طوال حياته، ارتفعت إلى الأعلى الراية التي تنير طريق تقدم جماهير الشعب، وتوفرت القوة المحركة التي تحدث تغيرات وانتصارات خارقة باستنهاض عشرات الملايين من أفراد الجيش وأبناء الشعب.

تواصل التحصيل العلمي المتميز في الممارسة العملية \ ٦

المطالعة المتواصلة على مدى الحياة \ ١٨

بفهم ما يدور في خلد الجميع \ ٢٢

ذاكرته الخارقة \ ٢٩

مصباح الفطنة \ ٣٨

تواصل التحصيل العلمي المتميز في الممارسة العملية

عقل الإنسان هو محصلة اجتماعية، وأهم وسائل تغذيته هو التعليم. إنه لحقيقة لا يمكن إنكارها أن يكون معظم العلماء والأدباء العالميين متخرجين من الجامعات المشهورة بمستوى التعليم العالي.

لم يكن الرئيس كيم إيل سونغ قد بنى عقله في الكلية المتخصصة أو في المكتب الهادئ، إلا أن عقله لم يكن يجاريه أحد في هذه الدنيا من حيث علوه وسعته.

كان الرئيس يمجد طول حياته بالتفكير والاستقصاء من خلال السيرة التعليمية المتميزة.

كانت سيرته التعليمية المسجلة في مسار حياته موسومة بجلاء بآلام الأمة المستعمرة المنكوبة.

في خريف عام ١٩١٩، نقل أبوه كيم هيونغ جيك (١٠ تموز/ يوليو ١٨٩٤ – ٥ حزيران/ يونيو ١٩٢٦) مركز نشاطاته إلى لينجيانغ في منطقة شمال شرقي الصين، من جراء قمع الإمبرياليين اليابانيين، وألحق ابنه كيم إيل سونغ بالصف الأول من مدرسة لينجيانغ الابتدائية في ربيع عام ١٩٢٠.

في الفترة اللاحقة، انتقلت أسرته إلى باتاوكو، حتى انضم الصبي كيم إيل سونغ إلى الصف الثاني من مدرسة باتاوكو الابتدائية ليدرس فيها من صيف عام ١٩٢١ إلى أوائل عام ١٩٢٣.

ثم، توجه إلى مانكيونغداي، مسقط رأسه في كوريا بقطع طريق ألف ري من باتاوكو في الصين، حاملا في قلبه وصية أبيه الملحة بأن الإنسان يجب أن يعرف بلده، وانضم إلى الصف الخامس من مدرسة تشانغدوك، حيث درس منذ أوائل نيسان/ أبريل عام ١٩٢٣ حتى كانون الثاني/ يناير عام ١٩٢٥ .

في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٢٥، فوجئ بتلقي خبر باعتقال أبيه مجددا من قبل الشرطة الإمبريالية اليابانية أثناء دراسته في مدرسة تشانغدوك، مضى إلى منطقة شمال شرقي الصين بقطع طريق ألف ري، عاقدا العزم الراسخ على عدم عودته مرة أخرى قبل أن تنال كوريا استقلالها، وانضم إلى الصف السادس من مدرسة فوسونغ الابتدائية الأولى في أوائل نيسان/ أبريل عام ١٩٢٥، وانهمك في الدراسة هناك حتى ربيع عام ١٩٢٦ .

بعد وفاة أبيه في حزيران/ يونيو عام ١٩٢٦، بدأ يدرس في مدرسة هواسونغ، المدرسة العسكرية والسياسية لمدة سنتين بتزكية من رجال حركة جيش الاستقلال إلى أن هجر دراسته فيها في أوائل كانون الأول/ ديسمبر من نفس العام.

عقب ذلك، انضم إلى الصف الثاني من مدرسة يووين الثانوية في جيلين، ودرس فيها بحثا عن الأفكار التقدمية منذ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٢٧، وترك دراسته فيها في خريف عام ١٩٢٩، وانطلق إلى ممارسة النضال كونه ثوريا محترفا.

هذا ما كان مجموع سيرته التعليمية القائمة على مناهج التعليم المدرسي. غير أنها لم تكن منتظمة حسب المنهاج المدرسي في أيام صباه، بل تألفت من الانتقال من هذه المدرسة إلى أخرى أو هجر الدراسة في منتصفها.

والأكثر من ذلك، لم يكن بوسعه أن ينهمك في الدراسة فقط في مدرسة هواسونغ ومدرسة يووين الثانوية في جيلين حيث كان يدرس للمرة الأخيرة، لأنه قام بالنشاطات الثورية المتحمسة أثناء ذلك، من أجل وضع حد لتاريخ نكبة الأمة الكورية التي ترزح تحت سلاح الإمبرياليين اليابانيين.

ولكن في خريف عام ١٩٢٩، وقع في قبضة شرطة أمراء الحرب الرجعيين الصينيين بتحريض من الإمبريالية اليابانية، وعاش في سجن جيلين حتى أوائل أيار/ مايو عام ١٩٣٠، حيث أنضج الفكر والطريق لقيادة الثورة الكورية إلى الانتصار.

بعد خروجه من السجن، اختار طريق التوغل في أوساط الشعب الذي يرزح تحت الاستغلال والاضطهاد، وطريق الانصراف إلى ممارسة النشاطات الثورية المحترفة.

كان ذلك بالطبع قرارا أصدره بنفسه. ولكن حين اعتزم التخلي عن دراسته الثانوية من أجل النضال الثوري، كانت مشاعره مضطربة جدا. ففي الفترة اللاحقة، كتب مشاعره تلك في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي:

«ولكنني عندما حزمت أمري على التخلي عن الدراسة الثانوية ومغادرة جيلين، تناهبتني ذكريات كثيرة: تذكرت والدي عندما أرسلني وحيدا إلى مسقط رأسي في الشتاء القارس كي أدرس في الوطن، وتذكرت المرات الكثيرة التي أجلسني فيها إلى الطاولة فور عودتي من المدرسة ليعلمني تاريخ كوريا وجغرافيتها، وكلماته الأخيرة إلى أمي بأن غايته هي تعلمي حتى ولو لنهاية المرحلة الثانوية، وأن ترسلني إلى المدرسة الثانوية حتى ولو اضطرت من أجل ذلك إلى التغذي بالأعشاب وحدها.

لقد أثارت هذه الأفكار القلق في نفسي. وفكرت أيضا: لقد اضطرت

أمي للعمل خلال ثلاث سنوات في غسل الثياب والخياطة حتى تقصفت أظفارها لكي ترسل لي نفقات الدراسة كل شهر. ولكن، كم سيكون يأسها شديدا حين تتلقى خبر هجري الدراسة قبل سنة واحدة من التخرج؟ وكم سيتحسر أخواي الصغيران لذلك؟ وكم سيتألم زملائي وأصدقاء والدي الذين أحبوني وكأنني ابنهم وساعدوني في نفقات الدراسة؟ إلا أنني اعتقدت أن أمي على الأقل ستفهمني، فعندما هجر والدي الدراسة في مدرسة سونغسيل الثانوية ليصبح ثوريا محترفا، وافقته هي نفسها على هدفه وأيدته دون قيد أو شرط. ولأن أمي كانت هكذا، فقد كنت واثقا من أنها لن تعارض انصراف ابنها ليس عن الدراسة الثانوية فحسب، بل عن الدراسة الجامعية أيضا إذا كان ذلك في سبيل الثورة والبلاد.

يمكن القول إن هجري مدرسة يووين الثانوية وتغلغلي بين الشعب شكل نقطة تحول في حياتي. فمنذ ذلك الحين بدأ نشاطي السري وحياتي الجديدة كثوري محترف.»

هكذا، كانت سيرته التعليمية طبعا مصغرا لبؤس الشباب والناشئين في كوريا المستعمرة الماضية والذين لم يكن بوسعهم أن يحققوا رغباتهم الملحة في التعلم وهم يذرفون الدموع وينزفون الدماء.

إذن، كيف بلغ الرئيس كيم إيل سونغ ذلك المستوى العقلي العالي؟

لقد قلنا آنفا إن العقل ليس فطريا، بل إنه محصلة اجتماعية. لا وجود لعالم العقل دون أي أساس.

لقد بنى الرئيس كيم إيل سونغ صرح العقل واحدا بعد الآخر، باستقصائه المضني وتفكيره الذي لا يكل. منذ طفولته، كان متميزا بشدة حب الاستطلاع.

حتى إذا رأى أيا من الأشياء وظواهرها، لم يمر به دون التفات، وحتى إذا تعامل مع أي عمل، فإنه لم يتوقف عن تفكيره واستقصائه حتى يدرك كنه المسألة.

هناك الكثير من القصص التي تتحدث عن قدرته على الاستطلاع في طفولته، ومنها قصة عن إدراكه السر في قوس قزح باستقصائه في الرابعة من عمره والقصة الأخرى عن تفكيكه الحاكي لاستيعاب مبدئه.

في أيام دراسته الابتدائية أيضا، كان معروفا بتلميذ كثير الأسئلة، حتى يجد المعلمون صعوبة في الجواب عن أسئلته في بعض الأحيان.

كان يعتبر النزعة الغيبية إحدى أمراض الإنسان منذ سنواته المبكرة، فقد قال إن من أصيب بهذا المرض لا يؤدي دوره ويصبح أبله. كما يقول المثل السائر إن «المخ الهزيل في الرأس السمين»، كان يعتبر أولئك الناس أكثر البائسين. كان أسلوب تفكيره ووجهة النظر الفريدة وموقف استقصائه الذي لا يكل هي أنه ليس في هذه الدنيا شيء يكتنفه الغموض، عندما يواصل المرء التفكير والاستقصاء من خلال سبر غوره حتى نهايته.

على الأخص، كان اكتساب الحقيقة في الواقع هو طريقة استقصائه الهامة التي جسدها في نفسه منذ صغره.

كما تقدم أعلاه، كانت أسرته تنتقل مرارا من هذه القرية إلى أخرى، لأن أبيه كيم هيونغ جيك، قائد حركة التحرر الوطني المناهض لليابان نقل مركز نشاطاته من حين لآخر، بسبب قمع الإمبرياليين اليابانيين وعلاقات نشاطاته الثورية. فقد انتقل الصبي كيم إيل سونغ من مانكيونغداي إلى قرية بونغهوا في السادسة من عمره، وعودته من قرية بونغهوا إلى مانكيونغداي في السابعة من عمره، وإلى شمال شرقي الصين مغادرا مانكيونغداي في

الثامنة من عمره، وتنقل مرارا بين مانكيونغداي ومنطقة شمال شرقي الصين حتى بلغ عمره ١٤ سنة.

من خلال سلوكه هذه الطرق الطويلة هكذا، أدرك منذ صغره أحوال جماهير الشعب البائسة المستغلة والمضطهدة وطبيعة المضطهدين والنهابين، كما أنمى في هذا السياق تطلعاته الملتهبة للعدالة والحق، وأرسى أسس وجهة نظره الثورية والعلمية حول العالم واحدة بعد الأخرى.

كان إحساسه الفريد بالمسؤولية عن شق طريق تقدم الثورة الكورية من زاوية جديدة بصورة مستقلة وحماسة استقصائه التي لا تكل دفعته إلى كلية جديدة مسماة بممارسة الثورة.

في سيرة حياة الرئيس كيم إيل سونغ لم يكن تاريخ تعلمه في أي كلية متخصصة أو عمله في جهاز البحوث. كما لم يسبق له أن يعمل في أية منظمة علمية محترفة أو جهاز الصحافة والإعلام، وباختصار، تخلو سيرة حياته تماما من انهماكه في التفكير والاستقصاء في المكتب الهادئ.

طبعا إن ذلك ليس لأن فرص اللتعلم في الكلية المتخصصة لم تتح له. في أوائل ثلاثينات القرن الماضي، أوصى له الكومنترون ورفاقه بالتعلم في الجامعة التي يديرها الكومنترون في موسكو. حينذاك، قال لهم : علي أن أدخل إلى أوساط أبناء شعبنا للبحث عن الخطة الاستراتيجية والتكتيكية والأسلوب لصنع الثورة الكورية، وعلي أن أتوغل في أعماقهم لأشاطرهم المصير من الحياة والموت، وأجد الأسلوب لإنجاز الثورة الكورية في أثناء ذلك. فإني لن أذهب إلى الاتحاد السوفييتي، بل سأدخل وسط أبناء شعبنا لأتعلم منهم نظريات الثورة الكورية وطرقها.

قال الرئيس كيم إيل سونغ في حديثه مع مسؤولي الحزب والدولة في اليوم الخامس من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٨٤ ما يلي:

«رغم أنني قدت النضال الثوري السري، النضال المسلح، الثورة الديمقراطية، الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي في مجرى قيامي بالنضال الثوري خلال ما يقرب من ٦٠ عاما حتى الآن، إلا أنني لم أتلق قط المعارف اللازمة للثورة والبناء من معلم في المدرسة. صحيح أنني استوعبت بعض المعارف من خلال الكتب، إلا أن غالبيتها اكتسبتها من خلال الممارسة الفعلية وأنا متواجد بين الرفاق الثوريين وأبناء الشعب أشاطرهم السراء والضراء، الحياة والموت.»

في أثناء حديثه مع الكوادر عن طريقة العمل وأسلوبه في اليوم الأول من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٨٨، قال بتأثر عميق إنه كان من حسن الحظ أن خاض آنذاك النضال الثوري بين الشعب بدل أن يذهب إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة، بدافع من الإيمان بأن شعبنا أدرى بالثورة الكورية، ويجب علينا أن ندخل وسط الشعب للبحث عن الاستراتيجية والتكتيكات والأساليب لصنع الثورة الكورية، ونجد أسلوب إكمال الثورة وسط الشعب فيما نشاطره المصير من الحياة والموت.

كان هدفه عند اختيار طريق عمله كثوري محترف هو التعلم من الشعب كل ما لديه معتبرا إياه معلما. إذا كانت الممارسة الثورية مجالا اختصاصيا كبيرا له لكسب المعارف والاستقصاء، فكان الشعب أروع معلم له.

فقد قال بصدق في مكان الاحتفال العميق المغزى بالذكرى السبعين لميلاده إن الشعب كان دائما حاميا خالصا ومحسنا مشكورا ومعلما رائعا له.

وفي حديثه مع جماعة الصحفيين في شبكة سي. إن. إن التلفزيونية

الأمريكية التي زارت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في نيسان/ أبريل عام ١٩٩٤، قال «إن معلمي الأكثر ذكاء والأوسع اطلاعا هو الشعب». وتابع يقول بنبرة مؤثرة عائدا بذاكرته إلى حياته:

«إن لدى الشعب فلسفة واقتصادا وأدبا أيضا. لذلك أنخرط دائما مع الشعب، وأتعلم منه.»

كان كلامه هذا حكمة عظيمة الدلالة تختصر بجلاء تاريخ قيادته للثورة والبناء معتبرا جماهير الشعب معلما له طوال قيادته للثورة الكورية.

هكذا، كان اعتبار الشعب معلما له عقيدة ثابتة على مدى حياته، ومبدأ راسخا جسده تماما في عمله وحياته.

كان يرمي من أي تفكير واستقصاء إلى تحقيق حرية الشعب وسعادته والانتصار في الثورة والبناء، كما كان يجد دائما بذرة وطرف خيط استقصائه في كلام الشعب الصادق والبسيط.

بخصوص ذلك، قال في معرض حديثه مع وفد جمعية الصداقة والثقافة البيروفية -الكورية في يوم ١٤ من حزيران/ يونيو عام ١٩٨٠:

«قد تبدو كلمات العمال والفلاحين بسيطة في ظاهرها، إلا أنها تنطوي في باطنها على لب الأشياء.»

كان الشعب، في رأي الرئيس كيم إيل سونغ الذي أحب العقل أكثر من غيره، أفضل معلم في هذه الدنيا، لا مجرد كائن جاهل يرزح تحت وطأة الاستغلال والاضطهاد.

حين كان سون واون تاي المقيم في الولايات المتحدة يتبادل الذكريات المؤثرة معه أثناء زيارته للوطن عام ١٩٩١، أعرب عن دهشته وإعجابه بمؤهلاته العالية والذي يعطي توجيها مفصلا لشؤون البلاد على أساس

استيعابه التام لجميع المسائل وحتى الشؤون الاقتصادية المعقدة.

آنذاك، صارحه الرئيس بما في نفسه قائلا: «قلت لي يا سيدي إنني متضلع من الحساب الاقتصادي على الرغم من أنني لم أتخصص في علم الاقتصاد، وما تعلمته أتعلمه دائما من شعبنا. أتوغل دائما في أوساط الشعب لكي أعلمه من جهة، وأتعلم منه من جهة أخرى.»

كما كان يجد بين جماهير الشعب وفي خضم الممارسة الثورية كل الأشياء مثل هدف الاستقصاء الحقيقي للإنسان الثوري، ومضمون الاستقصاء الذي يتعين عليه تحقيقه ببذل حياته، وبداية وماهية وكيفية السبر للتوصل إلى أهداف الاستقصاء العالية.

قال ياسوي غاورو أول رئيس لمجلس المعهد الدولي لدراسة فكرة زوتشيه بتأثر كما يلي:

«بما أن الرئيس كيم إيل سونغ تعلم من الشعب طوال حياته معتبرا إياه معلما، استطاع أن يبدع الفكرة العظيمة المتمحورة على الإنسان كفكرة زوتشيه، ويقدم الأفكار والنظريات الموسوعية. حين عرفت هذه الحقيقة، لا يمكنني الآن أن أعبر عن مشاعري. حقا إنه عظيم العظماء لأنه اعتبر الشعب معلما».

أما ياسوي غاورو الذي كان أستاذا في جامعة هوشي اليابانية وحامل الدكتوراه في القانون فقد فاز بجائزة لينين الدولية للسلام وجائزة السلام الألمانية تقديرا لقيامه بالنشاطات الاجتماعية الفعالة لمنع القنابل الذرية والهيدروجينية في خمسينات القرن الماضي، وعمل رئيسا لمعهد السلام العالمي بعد إقامته في عام ١٩٦٥. كما كان خبيرا معروفا بالشؤون الدولية وقد زار عددا كبيرا من البلدان وقابل كثيرا من مشاهير الساسة أيضا أثناء حياته.

إلا أنه حوّل مسار حياته ليغدو مؤمنا غيورا بفكرة زوتشيه وأصبح يحترم الرئيس كيم إيل سونغ احتراما لا حدود له منذ أن تعرف على هذه الفكرة، وبخاصة، أتيحت له فرص مقابلته أثناء زيارته مرات عديدة لكوريا الاشتراكية في أوائل سبعينات القرن الماضي.

في ذلك الحين، أعجبته حقيقة أن الرئيس واسع الاطلاع في كل الأمور.

فقد كتب في مقالته «إنني كنت أدرس الماركسية اللينينية منذ ٥٠ عاما، واكتسبت كثيرا من الدروس من قبل التراث التاريخي الذي تركه مؤسسو الماركسية اللينينية. لكن في سياق دراستها، شعرت دائما بضيق صدري. بيد أن الكيمئيلسونغية أعطت أجوبة واضحة للمسائل التي أبحث عنها، بصورة موسوعية وعميقة وغنية.»

تعجب غاية التعجب من معارف الرئيس الوافرة وأفكاره ونظرياته الحكيمة.

كان الرئيس واسع الاطلاع بالفعل على جميع القطاعات كالسياسة والفلسفة والاقتصاد والأدب وغيرها. بخصوص الشؤون الدولية، كانت معارفه عميقة وغنية إلى حد يثير إعجابه كونه خبيرا بها، وكان رأيه في كل الأمور واضحا جدا.

تساءل ياسوي غاورو في نفسه كيف يستطيع الرئيس بوصفه سياسيا في البلاد، لا عالما محترفا أن يعرف كل هذه الأشياء الكثيرة. عندما عرف في سياق تبادل الحديث مع وفد العلماء الاجتماعيين الكوريين في الفترة اللاحقة أن الرئيس استطاع أن يعرف تلك الأشياء الكثيرة لأنه تعلم من الشعب على مدى الحياة معتبرا إياه معلما له منذ انطلاقه إلى طريق الثورة، ضرب ركبته من شدة الإعجاب بشيمه البارزة الجديرة بالرجل العظيم والتي تختلف

اختلافا تاما عما لدى السياسيين والرجال العظماء السابقين.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يزور المصانع والأرياف دون توقف حتى في أواخر حياته حين بلغ من العمر ٨٠ عاما، ليسمع أصوات الشعب ويختلط به، وفي هذا المسار، واصل استقصاء وصياغة الأشياء الجديدة بلا انقطاع. في هذا السياق، صار يتحلى بالكفاءات والشيم كونه نبيها يدرك مشاعر الشعب أكثر من غيره وواسع الاطلاع يستوعب تماما الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، واستراتيجيا وتكتيكيا بارزا يوضح الخطط الاستراتيجية والتكتيكية للثورة الكورية على أكمل وجه.

هكذا، كانت حياة الرئيس كيم إيل سونغ حياة جليلة مجد فيها سيرته التعليمية حتى النهاية على مدى العمر من خلال مواصلة الاستقصاء معتبرا الشعب أفضل معلم له، وممارسة الثورة على أنها أعلى جامعة ومجال اختصاص ضروري له.

حين كان يدخل أوساط الشعب، اتخذ القضية العظيمة المسماة بالثورة وليس مجرد قطاع أو قطاعين مجال اختصاص له، وتعمق في دراسته طوال حياته.

بشأن حقل الأفكار والنظريات وحده، قام بتطوير الأفكار والنظريات السهلة الفهم للجميع والصالحة تماما لصياغة مصير جماهير الشعب، وجعلها أفكارا ونظريات موسوعية قابلة لحل المسائل الجسيمة والمعقدة للثورة الكورية.

إن الأفكار والنظريات الخاصة بالثورة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية والإقطاعية، والنظريات الخاصة بالثورة والبناء الاشتراكيين، وتثوير المجتمع كله وتحويله على نمط الطبقة العاملة وترقيته إلى مستوى المثقفين

وغيرها من النظريات المتعلقة بالتحرر الوطني والطبقي والإنساني، وجميع القطاعات مثل شؤون الحزب والدولة والقوات المسلحة والاقتصاد والثقافة هي أفكار ونظريات تنطوي على الحيوية الأبدية نظرا لطابعها العصري والأصيل والمتكامل.

إلى جانب تعمقه في دراسة المسائل الواقعية المفصلة للثورة الكورية بوضعها في المقام الأول، دأب في استقصاء التجارب التقدمية للبلدان الأخرى وأحوالها أيضا دون أن يعاملها البتة بلا مبالاة. كان يعارض تماما الاتجاهات الانعزالية والقومية في كل أوجه التفكير والاستقصاء سواء في دراسة الأفكار التقدمية أو في استقصاء الاقتصاد والعلوم والثقافة وغيرها.

إن ما كان يعترض عليه طوال حياته لم يكن الانعزالية على الإطلاق، وإنما اتجاه السير وراء الآخرين على نحو أعمى بعد فقدان الاستقلالية، والاعتماد على الآخرين دون الثقة بالقوة الذاتية، وابتلاع تجارب الآخرين لقمة واحدة دون أخذها مأخذ الانتقاد.

لذا، أكد في معرض الحديث عن ذلك على ضرورة معاداة اتجاه التبعية للدول الكبيرة تماما، بينما اعتاد أن يقول بجدية إنه لا يجوز لنا، في هذه الحالة أيضا، انتهاج سياسة إغلاق أبواب الدولة أو السير إلى الانعزالية مثل أحد الملوك القدماء، ولا معارضة قبول العلوم والتكنولوجيا الأجنبية.

حين تفقد مصنع السيارات في تشيكوسلوفاكيا السابقة أثناء زيارته لأوروبا في عام ١٩٨٤، اطلع بعمق على شؤونه وهو يسأل عن الوقت اللازم لإنتاج شاحنة واحدة، ووزنها، وكمية استهلاكها للوقود والمواد المعدنية المستعملة لسبك محركها وغيرها من تفاصيل إنتاج الشاحنات.

لم يتمالك كوادر ذلك البلد أنفسهم من شدة الدهشة والإعجاب لأن الرئيس

كيم إيل سونغ، السياسي البارز الذي يعترف به العالم، يسبر حتى أصغر المسائل التقنية في الفرع الاقتصادي الفردي كإنتاج الشاحنات.

هكذا، أولى الرئيس اهتماما دقيقا لكافة الأمور ودأب في دراستها واستقصائها، إذا كانت تفيد إغناء الوطن والأمة وتقويتهما وازدهارهما ولو قليلا.

حقا إن حياة الرئيس كيم إيل سونغ الذي بلغ قمة عالم العقل من خلال استقصائه الذي لا يكل بين الشعب وفي خضم الممارسات الثورية على مدى عمره، كانت حياة ثورية متواصلة بالسيرة التعليمية المتميزة في الواقع بكل معنى الكلمة.

المطالعة المتواصلة على مدى الحياة

لا يمكن تصور حياة الإنسان دون كتاب. كل من له عقل سليم وحماسة للتعلم يحب الكتاب والقراءة.

ولكن يندر في الدنيا رجل عظيم مثل الرئيس كيم إيل سونغ لم تفلت الكتب من يده على الرغم من أنه يحمل على عاتقه كل شؤون الثورة والبناء، وكان يحب الكتاب طوال حياته، ووجد قيمة حياته في المطالعة.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يحب الكتاب أكثر من غيره، ولم يتوقف عن القراءة على مدى الحياة. كانت حماسته الاستثنائية للقراءة تعبيرا عن نظرته السامية إلى الكتب والقراءة.

كان يعتبر الكتاب أهم سلاح في الحياة والنضال، ومعلما صامتا، لا

مجرد ناقل المعارف، وقال دائما إن الكتاب هو معلم صامت يزود الإنسان بالمعارف ويعلمه الحقيقة.

في أحد أيام شباط/ فبراير عام ١٩٨٧، تفقد رئيس تحرير مجلة أدب الأطفال في الاتحاد السوفييتي السابق البيت الموجود في مانكيونغداي حيث ولد الرئيس كيم إيل سونغ وقضى أيام طفولته وما حوله من الآثار التاريخية، ثم قدم للرئيس كيم إيل سونغ أسئلة عن تأثير الكتب في حياته والمضمون الذي علمته إياه الكتب في وقت الشدة.

عندئذ، رد عليه الرئيس كيم إيل سونغ قائلا إن فكره وإيمانه وإرادته لم تكن تظهر بين ليلة وضحاها، بل إنها تشكلت لديه في سياق نضاله وحياته الطويلة، وكانت أول نقطة انطلاقها هي أيام طفولته التي كان يحب فيها قراءة الكتب. وتابع يقول بلهجة مؤثرة إن الكتاب كان بالنسبة له معلما رائعا علمه حقيقة النضال والحياة، ورفيق طريق ساعده على أن يخطو خطوته الأولى من حياته الإنسانية الحقيقية.

في الواقع، كانت أسرته في مانكيونغداي التي أمضى فيها أيام صباه تعاني من الصعوبة حتى تعجز عن دفع نفقة دراسته. في تلك الظروف، شق عليه أن يحصل على الكتب لقراءتها كما يشاء. ففي أيام دراسته الثانوية، أضطر إلى قراءة الكتب الجديدة بعد شرائها باستهلاك أكثر من نصف نفقة إدارة مكتبة المدرسة التي كان مسؤولا عنها، لافتقاره إلى المال لشرائها، وأما الجرائد أيضا فقد قرأها دفعة واحدة بواسطة البطاقة التي تخول القراءة في المكتبة لمدة شهر.

هناك قصة تبين مدى حبه للكتب ومدى شدة رغبته في القراءة.

عشية تحرر الوطن (عام ١٩٤٥)، توجه إلى موسكو ليشارك في اجتماع

العمليات القتالية ضد اليابان مع بعض أفراد قيادة الجيش الثوري الشعبي الكوري. حين أوى إلى الفراش ذات يوم في إحدى دور الضيافة بموسكو، حلم حلما غريبا عن الكتاب.

رأى في المنام زوجته كيم جونغ سوك تملأ القاعة الكبيرة بالكتب الكثيرة وتقول له: «يمكنك، أيها الرفيق القائد، أن تختار ما تريده للقراءة كما تشاء. ولعلك لن تقرأها كلها في حياتك أبدا». قد أصبح غنيا بالكتب في الحلم.

بيد أن هذا الحلم ظل ماثلا في ذاكرة البطلة المناهضة لليابان كيم جونغ سوك، لا يفارقها أبدا. فبعد تحرر البلاد، عملت كيم جونغ سوك على ملء مكتبته بالكتب من مختلف الميادين، وقالت له: «الآن اقرأ الكتب كما تشاء، ما دام الوطن قد تحرر». هذا الأمر وقع حين أقام في البيت الواقع عند سفح جبل هايبانغ. التقطت له الصورة التذكارية عميقة المغزى معها أمام المكتبة، مسرورا بتحقيق رغبته التي أرادها حتى في منامه.

هكذا، كانت محبته للكتب وحماسته إلى القراءة قوية جدا إلى حد رؤيتها حتى في المنام.

على العموم، تكون فترة قراءة الكتب محدودة في أعمار الناس. إلا أن الرئيس كيم إيل سونغ اعتبر الكتاب غذاء لا غنى عنه للثوريين وأول رفيق طريق لا يجوز الابتعاد عنه على طريق الثورة، وتمسك بالقراءة التي تعود عليها منذ طفولته كبرنامج يومي ثابت طوال حياته.

في الحقيقة، كان الرئيس كيم إيل سونغ مشغولا على مدى الحياة. كان يحمل على عاتقه كل أعباء الحربين الثوريتين للدفاع عن مصير الشعب والعديد من مراحل الثورة الاجتماعية، وكل الأعمال الكبيرة والصغيرة للدولة مثل شؤون الحزب والدولة والجيش والاقتصاد والشؤون الخارجية.

فضلا عن ذلك، جاء إليه القادة والشخصيات من عدد كبير من البلدان في آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية دون انقطاع.

ما دام الأمر هكذا، لم تكن تفلت الكتب من يديه في أي وقت وفي أي يوم. وقت ومكان قراءة الكتب لم يكونا محددين، لأنه استفاد من كل فسحة من فسح قيادة الثورة والبناء. إذا استيقظ من النوم في الفجر، قرأ الجرائد وتقارير الأنباء الجديدة، وفي فسحة من فسح العمل، قرأ مختلف الكتب والمجلات، وفي أوقات الليل، قرأ الروايات وغيرها من كل أنواع الكتب.

لقد قرأ بشغف وهو في حدود العاشرة من عمره الكتب الكلاسيكية للمنظرين السابقين والتي يصعب حتى على الكبار فهمها، مثل «البيان الشيوعي»، «رأس المال»، «أسس الاشتراكية»، واستوعبها تماما. كما أنه قرأ الكتب التي تتناول تاريخ كوريا والحياة القديمة مثل «قصة لي سون سين»، «حكاية تشون هيانغ»، «حكاية سيم تشونغ»، وفضلا عن ذلك، الأعمال الأدبية الثورية والتاريخية الأجنبية مثل «على ضفة نهر آمروك»، «الأم» «قصة آه كيو الحقيقية»، «سيرة لينين»، «المتشرد الصغير»، «البركة»، «الهزيمة»، «كيف سقينا الفولاذ؟»، «تشابايف»، «نعرة»، و«الرحيل إلى الغرب».

ودرس الرئيس اللغات الأجنبية أيضا باجتهاد حتى كان يتقن عددا من اللغات المنطوقة والمكتوبة الأجنبية. كان ضليعا باللغة الصينية إلى حد يمكن معه الحوار والحديث وإلقاء الخطب بطلاقة دون النصوص المكتوبة. لذلك، تمكن من قراءة الكثير من الكتب السياسية والمجلات العلمية والتقنية الأجنبية دون توقف حتى تقدمت به السن.

كان الكتاب مصباحا يمنحه النور بالنسبة له. لذلك، كان يعايش الكتاب

طوال حياته. فقد قال أحد رجال الأقلام الأجانب مفعما بالتأثر إنه إذا أرادت البشرية الإدراك بعلو العقل الذي بلغه الرئيس كيم إيل سونغ فلا بد أن تكبر قامتها أكثر بالكثير من الآن.

بفهم ما يدور في خلد الجميع

كان الرئيس كيم إيل سونغ متضلعا في نفسية الإنسان يفطن بدقة إلى قلوب الناس الكثيرين بشتى أوساطهم، لأنه كان يعتبر الإنسان أعز كائن، ويختلط به طوال حياته.

كان أول مبادئه الثابتة في معاملة الناس هو قراءة ما في مكنون قلوبهم أولا. كان يتحدث وينظم العمل على أساس الإدراك الصائب لحالة نفسية الناس وبما يتلاءم معها. حتى عند طرحه مهمة يجب تكليف أحد الكوادر بها أو مسألة يجب عليه أن يستفسره عنها، كان يقابل صاحب الشأن مباشرة، وكلفه بالمهمة أو نظم العمل بعد المعرفة بتفاصيل حالة نفسيته.

ليس من السهل أن يعرف الإنسان نفس الآخر بدقة. لأن نفسية الإنسان وما في قلبه لا يظهر مباشرة عيانيا في كل الأحوال. لذا، هناك مثل يقول إن سبر أغوار البحر أمر ممكن لكن سبر أفكار الناس أمر متعذر. هذا يعني أن أعماق البحر يمكن رؤيتها ولكن لا يمكن رؤية ما في قرارة نفس الإنسان.

هكذا، إن إدراك ما في سريرة نفس الإنسان أمر صعب، إلا أن الرئيس لم يهمل هذا الأمر ولو للحظة واحدة، وإذا عامل أي شخص، ما لبث أن اطلع على ما في أعماق قلبه.

كان أكثر ما يوليه أهمية دائما في إدراك قلوب الناس هو مشاعر الناس وتطلعاتهم في أحوالهم المشخصة.

عندما كان يعامل آلاف وعشرات آلاف الناس على اختلاف أوساطهم، بدأ أولا بالإطلاع على حالة مشاعرهم ووجدانهم. انضمت إلى هذه المشاعر والوجدان كل الظواهر النفسية التي يمكن للإنسان أن يختبرها، بدءا من مشاعر الصبيان إلى مشاعر حب الجنسين الشابين والأهواء الشعورية والوجدانية التي يبديها الناس على تنوع مهنهم وتفاصيل مشاعر المسنين.

بما أن الرئيس كان يدرك ويفهم جيدا نفوس الناس، فقد همس تلميذ ابتدائي صغير في أذنه أسرار ما في نفسه، وأفضى له الشيوخ الطاعنون في السن بمكنون قلوبهم. حتى في الوضع القتالي الشاق والمعقد، كان يعتز بمشاعر الناس ووجدانهم، وعاملهم على أساس إدراك تفاصيلها.

في فترة نشاطاته الثورية الأولية ضد اليابان، كان في حدود العاشرة من عمره، لكن الناس كانوا يحترمونه ويتبعونه في كل مكان يذهب إليه، لأنه كان يفهم قلوبهم أكثر من غيرهم، ويعاملهم بما يتلاءم مع ذلك.

هناك حادثة وقعت في أواسط ثلاثينات القرن الماضي، حين كان يعمل في منطقة وانغتشينغ لحرب العصابات. في أحد الأيام، كان يسير برفقة إحدى الوحدات من سياووانغتشينغ إلى غاياهي، وصادف فتاة مجهولة. في البداية، نظرت إلى الصفوف باسمة، ولكنها حين رأت الصفوف تقترب منها، أحنت رأسها ومرت مستعجلة بجوارها. عندئذ، لاحظ الرئيس أن هناك مقاتلا في الصفوف نظر بسرعة إلى الوراء ثم أحنى رأسه وتابع سيره غارقا في تأملات عميقة. بعد أن تقدمت الصفوف لمسافات معينة، عاد للالتفات إلى المكان الذي اختفت فيه الفتاة.

استشف القائد كيم إيل سونغ مشاعر الشباب الملتهبة بالحب من خلال

تحركاتهما ونظرة الجندي التي يملؤها الحنين، على الرغم من أن أحدا لم ينتبه إليها. استدعى ذلك الجندي من الصفوف وسأله بصوت منخفض هل لك أي علاقة بهذه الفتاة التي مرت منذ قليل.

بدت عليه الابتسامة وفتح قلبه قائلا إنها خطيبته فيرغب في أن يريها نفسه وهو بالزي العسكري. قرأ قلب الشاب الذي يفيض بمشاعر الحب كالبركان الثائر، فقال له أن يقابل الفتاة ويريها نفسه بالزي العسكري، وأصدر أمرا للصفوف بأخذ الاستراحة. لا غنى عن القول إن ذلك الجندي ركض لمقابلة الخطيبة بسرعة الرصاص من شدة الفرح. فيما بعد، أبلى هذان الشابان الحبيبان بلاء حسنا في النضال ضد اليابان حتى النهاية كيلا يشعرا بالخجل أمام الوطن والأمة.

لم تقتصر هذه القصص المؤثرة على فترة النضال المسلح المناهض لليابان، بل تعدتها إلى الفترات اللاحقة أيضا بلا حدود.

قوة الحب كبيرة جدا. بيد أن الحب بين الجنسين من الشباب والذي يتبرعم في قرارة النفوس مثل سديم الأرض دون أن يعرفه الآخرون، لا تتفتح أزهاره جميلة دون الاهتمام والحفاظ عليه. ففي أيام الثورة المتمادية، كان الرئيس يستشف حب الشباب بعمق أكثر من غيره، وجعله يتفتح كأزهار جميلة، بقلب والديهم الحقيقيين.

هذا وكانت تطلعات الناس هي ما أعار الرئيس كيم إيل سونغ اهتمامه العميق له، بما لا يقل أهمية عن مشاعرهم ووجدانهم.

إذا كان إدراك مشاعر الناس ووجدانهم عملية أولى لا غنى عنها لإدراك نفوس الناس، فإن إدراك تطلعاتهم ومطالبهم بدقة كان هدفا آخر للغوص في أعماق قلوب الناس.

طـوال حياتـه الثوريـة، اعتبـر الرئيـس إدراك تطلعـات جماهيـر الشـعب ومطالبهـا بدقـة أحـد أهـم أعمـال لـه يجـب عليـه أن يؤديهـا، وأولـى اهتمامـه الكبيـر لـه فـي أي مـكان وزمـان.

لا يعـد ولا يحصـى عـدد النـاس الذيـن قابلهـم أثنـاء حياتـه. كانـت تطلعاتهـم ومطالبهـم الحياتيـة أيضـا تختلـف مـن شـخص لآخـر باختـلاف جنسـياتهم وتاريـخ حياتهـم وأعمارهـم ومهنهـم ومناشـئهم ومكانتهـم الاجتماعيـة،

إلا أن الرئيـس تابـع دائمـا تطلعـات النـاس ومطالبهـم المتنوعـة باهتمـام عميق، وعمـل بمـا يتـلاءم معهـا. حيـن زار المصنـع، كان يدخـل موقـع الإنتـاج المفعـم بالغـاز، بعـد أن قـرأ مـا فـي نفـوس العمـال مـن مشـاعر شـوقهم إليـه.

يمكننـا أن نعـرف جيـدا مـدى اهتمامـه الكبيـر لتطلعـات النـاس ومطالبهـم مـن خـلال قصـة عـن حمـل الكـوادر علـى اتخـاذ الموقـف والسـلوك الصائـب مـن شـكوى النـاس.

أمـا الشـكوى فهـو طلـب النـاس المقـدم إلـى أجهـزة الحـزب والدولـة والمؤسسـات والمنظمـات الشـعبية بشـأن منـع الاعتـداءات علـى حقـوق ومصالـح الفـرد أو الجماعـة مسـبقا أو اسـترجاع الحقـوق والمصالـح المعتـدى عليهـا. جـرت العـادة فـي أي مـكان أن يعالـج الشـكوى المقـدم بالاطـلاع الدقيـق علـى الوضـع الحقيقـي، واتخـاذ الإجـراءات العمليـة لحـل المسـألة.

غيـر أن الرئيـس كيـم إيـل سـونغ رأى أن ذلـك لا يكفـي لتلبيـة مطالـب النـاس برمتها.

ففـي أحاديثـه الكثيـرة مثـل الحديـث الـذي أدلـى بـه أمـام كـوادر اللجنـة المركزيـة لحـزب العمـل الكـوري فـي يـوم ١٨ مـن تشـرين الأول/ أكتوبـر عـام ١٩٦٦، أعطـى تعليماتـه القيمـة بخصـوص الموقـف والسـلوك الجديـد الـذي يجـب

علـى الكـوادر أن يتخـذوه فـي معالجـة شـكاوى أبنـاء الشـعب.

انتقـد بصرامـة بعـض الكـوادر الذيـن يكشـفون ظواهـر معالجـة شـكاوى النـاس كيفمـا اتفـق علـى نحـو بيروقراطـي، فيمـا هـم يتصرفـون تصـرف «ملـك الجحيـم»، وقـال بلهجـة جـادة إنـه إذا تلقـى الكـوادر رسـائل الشـكاوى فيجـدر بهـم أن يفكـروا مليـا كـم كان صاحـب الشـكوى يشـعر بالضيـق ليكتـب رسـالة الشـكوى، وكـم كان مظلومـا إلـى حـد تقديـم الشـكوى، ثـم يجـدوا بدقـة طريقـة علميـة صائبـة لحـل المسـألة.

كان أهـم مؤهـلات الرجـل الثـوري فـي رأي الرئيـس هـو المعرفـة بالإنسـان وقلـوب الجماهيـر بدقـة. إن العمـل مـع النـاس هـو بطبيعتـه عمـل مـع نفـوس النـاس وفكرهـم ومشـاعرهم. ليـس مـن المسـتطاع القيـام بـكل الأعمـال بنجـاح، دون ارتـكاب الشـكلية والنزعـة الذاتيـة والبيروقراطيـة والجمـود العقائـدي إلا عنـد المعرفـة الصائبـة بفكـر النـاس ومشـاعرهم وتحريـك الجماهيـر بمـا يتـلاءم معهـا.

لـذا فـإن الرئيـس رأى أن أول مؤهـلات الإنسـان الثـوري هـو إدراك قلـوب النـاس واسـتيعاب حالتهـم النفسـية بدقـة، وقـال للكـوادر بجديـة فـي كل مناسـبة إنهـم ملزمـون بإجـادة إدراك نفـوس النـاس مثـل معلمـي المدرسـة الابتدائيـة الذيـن يفطنـون إلـى مـا فـي قـرارة نفـوس الأطفـال، ويعملـوا بمـا يتـلاءم مـع ذلـك.

كمـا أنـه كان يسـتوعب نفـوس النـاس الذيـن ينتمـون إلـى كل الأوسـاط، مـن خـلال سـياق نضالـه الثـوري الطويـل. كان يطلـع جيـدا علـى نفـوس الطلبـة الشـباب والناشـئين، لأنـه قضـى أيـام دراسـته الابتدائيـة والثانويـة، وكان يفهـم نفـوس الجنـود أكثـر مـن أي شـخص آخـر، إذ أنـه عـاش الحيـاة العسـكرية الطويلـة.

ففي فترة النضال المسلح ضد اليابان، رأى المقاتلين يودون لو يأكلون البطيخ الأصفر أثناء مرورهم بحقله، وأمر بتزويدهم به، وبنفس حبه ومودته، قدم توجيهات جدية بتزويد أفراد الجيش الشعبي بكعك الأرز والشعيرية والذرة الخضراء المسلوقة والبطيخ الأصفر وأمثالها دون نفاد كما كانوا في بيوتهم كيلا يحنوا إليها. عندما زار المصانع والمزارع، أدرك ما يدور في خلد العمال والمزارعين وهو يمسك بأيدي العمال الملوثة بالزيت ويقول إن أيدي المزارعين الملطخة بالتراب هي كنوز.

حدثت القصة أدناه، حين كانت هيئة القيادة العليا في قرية كونزي، بعد أن استهلت إعادة تقدم الجيش الشعبي في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥١، أثناء حرب التحرير الوطنية. بدأ وضع الحرب تدخل مرحلة انعطاف كبير، إلا أن حالة المعيشة في هيئة القيادة العليا كانت بالغة الصعوبة آنذاك.

في أحد تلك الأيام، جاء أحد الضباط الآمرين إلى سرية الحرس الخاص لهيئة القيادة العليا حيث قال للجنود إن القائد الأعلى سيأتي إلى السرية قريبا ويستفسر عن حالتهم المعيشية في نظره. إذا رآهم لا يتناولون أحسن الطعام، سيتألم كأبيكم الحقيقي، وطلب منهم أن يجيبوا للقائد الأعلى بأنهم تناولوا الأرز الأبيض المسلوق وحساء اللحم، إذا سألهم عن نوعية وجبة الطعام.

حسب قوله، جاء القائد الأعلى إليهم بعد قليل، وسألهم بلطف «ماذا تناولتم صباح اليوم؟».

أجمع الجنود على الإجابة بأنهم تناولوا الأرز الأبيض وحساء اللحم، لذا، استغرب القائد الأعلى الأمر، وفتح بنفسه طبق القدر.

حين رأى القدر مغسولة بعد طبخ حساء الملح فيها، استغرق في التفكير لبرهات، ثم أعاد سؤاله «أي نوع من اللحم قد تناولتم؟». تبادل الجنود

نظراتهم فيما بينهم لأنهم لم يعدوا الجواب على ذلك السؤال، فقد أجاب أحد الضباط كاذبا عن غير قصد من شدة الحيرة والارتباك : تناولنا لحما مثلجا بعد طبخه.

آنذاك، قال القائد الأعلى: «أنتم تجيدون حقا تدبير الحياة الاقتصادية. لقد غسلتم القدر نظيفة، دون ترك قطرة واحدة من زيت اللحم».

عندئذ، انفجر الجنود ضاحكين دون وعي منهم.

ألقى القائد الأعلى نظرته إليهم لبرهات، كما لو أنه قرأ قلوبهم. وقال بصوت خافض وبنبرة صارمة «ما كذبت دهري لكم، فلا تقولوا أكاذيب لي».

قال الجندي الأصغر سنا بصراحة إنهم أكلوا في الواقع وجبات السليق من الحبوب المختلطة مع حساء الملح، بينما لم يجب الآخرون مطأطئي الرؤوس.

بعد أن رمق القائد الأعلى الجنود بنظرة يملؤها الحنان، لام الضابط بشدة قائلا: منذ متى بدأت تعليم الجنود طريقة الكذب؟ لم لا نشبع الجنود مهما نكن في حالة الصعوبة؟ وأخبره بمكان وجود الأرز والاسقمري المملح، وأمره بنقلهما سريعا لتموين الجنود بهما.

بعد أيام، تم نقل الأرز واللحوم والسمك والخضار وغيرها إلى السرية وتغذية الجنود بها، كما أشار إليه.

لوجود هذه المحبة الدافئة للرئيس كيم إيل سونغ الذي يقرأ حتى أفكار الناس بقلب الأب الذي يعتني بالأبناء الحقيقيين، أصبح أبناء الشعب الكوري يخلقون المعجزات والمآثر في الثورة والبناء مسحورين به إنسانيا بكل جوارحهم.

ذاكرته الخارقة

يمكن القول إن المثقف الحقيقي هو مالك الذاكرة الخارقة الذي يحفظ الأشياء الأكثر من غيره في رأسه بصورة واضحة مع النظرة الثاقبة إلى العالم. فإن الممثل لعقل البشر هو رجل لا يعرف كثيرا بالتفصيل فقط، بل يتذكر المبادئ والوقائع التي أدركها مرة بصورة واضحة مهما كرت السنون.

كان الرئيس كيم إيل سونغ مالك الذاكرة الخارقة الذي كان يحفظ في ذاكرته معظم ما رآه وسمعه وعاناه واختبر به طوال عشرات السنين من مسارات قيادته للثورة الكورية، ويسترجعها في أي لحظة.

فقد تذكر ما لا يعد ولا يحصى من الحقائق والحوادث المتروكة في طيات تاريخ البشر الطويل وعددا كثيرا من الناس المتعلقين بها بصورة واضحة حتى اللحظة الأخيرة من حياته، ومنها الحوادث الصغيرة والكبيرة التي وقعت في القرن العشرين والملايين من الوقائع والناس الذين قابلهم خلال معالجة مسائل الثورة الكورية الهائلة.

هناك قصة واحدة تدل على مدى وضوح تذكره لمضمون الكتاب حتى بعد مرور زمن طويل.

في إحدى المرات، وجه الرئيس إلى أحد الكوادر سؤالا عما إذا سبق له قراءة مجلة «كايبيوك» المطبوعة في كوريا قبل تحررها. حين سمع الرئيس منه أنه لم يقرأها، طلب منه أن يبحث عنها قائلا إنها نشرت مقالات رائعة كثيرة.

بعد أن سمع منه تقريرا عن الحصول على أكثر من ٧٠ نسخة من تلك المجلة، قال له إن المجلة تتضمن مقالة كتبها لي دون هوا، الفيلسوف المعاصر الكوري، مضيفا بالتفصيل أن تلك المقالة تشتمل على الكثير من الأشياء الجديرة بالقراءة. بما أن الرئيس كيم إيل سونغ المتقدم في السن يتذكر مضمون المجلة الصغيرة بجلاء أكبر والتي قرأها قبل نصف قرن تقريبا، تعجب ذلك الكادر كثيرا.

لم يتذكر الحوادث والحقائق التي أدركها من خلال القراءة والدراسة فقط، بل تذكر بصورة واضحة طول عمره مجمل الأعمال التي شاهدها بأم عينيه أو جربها.

كان يتذكر الحقائق والحوادث بكمية هائلة وحتى أشياء تافهة أهملها الآخرون، بالإضافة إلى الأمور الصغيرة والكبيرة التي وقعت في فترات النضال المسلح المناهض لليابان الذي خاضته الأمة الكورية والنضال لبناء الوطن الجديد من أجل بناء الحزب والدولة والجيش بعد التحرير، وحرب التحرير الوطنية، والثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية.

فتذكر بالتفصيل أسباب الأعمال الكثيرة التي اختبرها بنفسه، ومجرياتها، وظروفها وحالاتها، ونتائجها وأهميتها وغيرها، واسترجع الذكريات عنها في أي لحظة، مما أثار إعجاب الناس.

في يوم العشرين من تموز/ يوليو عام ١٩٨٣، قدم له أحد الكوادر الذي عمل معه طويلا معلومات أصداء الأجانب بعد زيارتهم إلى موقع الآثار التاريخية الثورية في ريونغبو.

في اليوم التالي، عندما وصل ذلك الكادر إلى مكتبه تلبية لاستدعائه، تذكر الرئيس بتأثر عميق أن موقع ريونغبو للآثار التاريخية الثورية يقع

في قضاء بوبدونغ بمحافظة كانغواون، وقام بالتوجيهات الميدانية لهيئة قيادة الوحدة المرابطة فيها حين ذاك في الفترة من يوم ٢٦ حتى يوم ٢٩ من نيسان/ أبريل عام ١٩٥١.

فيما اقترب من النافذة مستغرقا في تفكير عميق، سأله قائلا « ربما كنت ترافقني حينذاك». بهذا السؤال المفاجئ، عاد بذاكرته إلى الماضي قبل أكثر من ٣٠ سنة، لكن كان ذلك أمرا مستحيلا.

بعد ما أومأ الرئيس إلى أنه كلفه حينذاك بالمهمة الخاصة بسياقة السيارة المعطلة، تذكر ذلك الأمر الذي سهر فيه طول الليلة حراسة السيارة لوحده.

فيما يلي مضمون الحادث:

انطلق الرئيس برفقته على طريق التوجيهات التفقدية للجبهة، وفي منتصف الطريق، تعطلت السيارة قبل وصوله إلى المكان المقصود. اضطر الرئيس إلى استقلال الأخرى بينما كان يحرس السيارة المعطلة طول الليلة الباردة والمظلمة التي لم يعرف متى تحدث تحركات فلول العدو. أمضى أوقاتا عصيبة تحت وطأة البرد والخوف، باقيا بوحده في السيارة. حتى هذه الليلة التي طار فيها قلبه من الخوف صار ينساها تماما مع مرور الزمن الطويل.

ولكن الرئيس كيم إيل سونغ تذكر بدقة ما نسي نفسه من ذلك الحدث الذي وقع قبل عشرات السنين. حقا، كان الرئيس كيم إيل سونغ نابغة تذكر كل شيء بجلاء دون نسيانه حتى ولو واحدا منه طوال حياته.

كانت معظم الحوادث والحقائق التاريخية التي عاد الرئيس كيم إيل سونغ بذاكرته إليها على مدى الحياة، تهدف أساسا إلى ذكرى أصحاب شأنها.

فقد تذكر الرئيس حتى الفترة الأخيرة من حياته كلا من رفاقه الذين

فارقوا الدنيا بعد أن اجتازوا معه تلال محن الثورة.

في أحد أيام أيار/ مايو عام ١٩٦٤، زار إحدى الوحدات الواقعة في منطقة محافظة هوانغهاي الجنوبية أثناء توجيهاته الميدانية لهذه المنطقة.

عندما كان الرئيس يتلقى تقريرا من مسؤول هذه الوحدة، تفرس في وجهه لبرهات.

وعلى طريق العودة، سأل أحد الكوادر من هو أبوه. أجاب الكادر أنه لا يدري جيدا. كلفه الرئيس بمهمة الاطلاع على تاريخ عائلته، قائلا إنه يحن إلى رفاقه في السلاح الذين سقطوا شهداء، كلما يقابل الكوادر الشباب من الجيل الجديد.

لم يدرك أحد حتى ذلك الحين أن صورة الرفيق في السلاح الذي فارق الدنيا تبادرت إلى ذهن الرئيس في اللحظة الأولى من رؤية وجه ذلك المسؤول.

بعد أيام، تلقى تقريرا مفاده أنه ابن المفوض السياسي لجيش حرب العصابات في هيلونغ إيان النضال المسلح المناهض لليابان، وأعرب عن غاية سروره كأنه وجد ولده المفقود قائلا «نعم، نعم، عيناه صنوا أبيه».

وقال إن صورة لي يونغ تشان المفوض السياسي لجيش حرب العصابات في هيلونغ خطرت بباله عند رؤية ذلك المسؤول، وتحدث عن طابعه وخصائصه بالتفصيل، موضحا أنه كان مفوضا سياسيا ماهرا وقد كفله أحد المناضلين القدماء المناهضين لليابان عند انضمامه إلى الحزب. تعجب الكوادر غاية التعجب من ذاكرته الخارقة الذي يتذكر وجه رفاق السلاح قبل عشرات السنين بصورة حية. والأكثر من ذلك، كانت مدة نشاطات أبيه كمفوض سياسي لجيش حرب العصابات في

هيلونغ وجيزة جدا لا تزيد عن سنة واحدة.

لم يقابله إلا عدة مرات. قد سبق أن استدعاه وأعطاه المهام لعدة مرات في فترة توجيه الاجتماع لرؤساء المنظمات الثورية السرية والعاملين السياسيين في الكوخ في دالاجى من أجل إعادة بناء المنظمات الثورية المخربة عقب انتفاضة ٣٠ مايو (انتفاضة يسارية مغامرة متهورة شنها الفئويون في منطقة منشوريا الشرقية من الصين في أيار/ مايو عام ١٩٣٠ بمناسبة الذكرى الخامسة لمذبحة ٣٠ أيار/ مايو في شنغهاي) وفي فترة إعداد تأسيس الصفوف المسلحة المناهضة لليابان بعد اجتماع مينغويكو في الربيع عام ١٩٣١. وبعد تأسيس الصفوف المسلحة المناهضة لليابان، تم تقديم التقرير إليه عن حالة جيش حرب العصابات في هيلونغ من خلال المراسلين.

ومع كل ذلك، قد تبين الرئيس ابنه لأول وهلة والذي تشبه بعض ملامحه بما في والده. فليس أمرا صعبا تصور مدى وضوح ملامح رفاق السلاح التي تبقى حية في ذاكرته إلى الأبد.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يتذكر الأجانب أيضا لحقبة طويلة من الزمن، فضلا عن أبناء الشعب الكوري.

ذات يوم من عام ١٩٩٤ بعد مرور نصف القرن تقريبا بعد انتهاء الحرب المناهضة لليابان، استدعى الرئيس إلى بيونغ يانغ عقيلة تشاي شي رونغ المشارك الصيني في النضال الثوري المضاد لليابان، والتقى بها على نحو مؤثر. استقبلها بحرارة قائلا إنها قد تحملت عناء كبيرا للوصول إلى هنا، وإنها افترقت عنه ربما في آب/ أغسطس عام ١٩٤٥، وحينذاك كان ولدها الثاني الذي يرافقها في الثانية من عمره. وعاد بذاكرته إلى الماضي قبل

أكثر من ٥٠ سنة حيث كان يشاطر تشاي شي رونغ السراء والضراء.

أعلمها الرئيس باسم القائد تشاي شي رونغ الأصلي، وقال إنه كان يشغل منصب رئيس مركز الشرطة في مكان ما من محافظة هيلونغ قبل انتمائه إلى جيش الإنقاذ الوطني، واشترك في الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ ومعركة لوزوكو أيضا معه، وقام بالنشاط معه في الاتحاد السوفييتي أيضا، وبعد نقل حلبة نشاطه إلى منشوريا الشمالية، ارتقى إلى منصب قائد الفيلق الخامس من القوات المتحدة المناهضة لليابان في شمال شرقي الصين، وقام نفسه بالعديد من العمليات المشتركة مع وحدته في أثناء حملته الثانية إلى منشوريا الشمالية. واسترجع في ذاكرته مختلف الأمور الواقعة في الأيام الماضية حيث تبادل معه مشاعر المودة الحارة قائلا إن تشاى شى رونغ كان يحترمه ويعتبره معلما ثوريا له، ويتواضع دائما أمامه، على الرغم من أنه كان أكبر سنا لنحو عشرين سنة.

دهش الكوادر المساعدون ناهيك عن عقيلة تشاي شي رونغ أشد دهشة على ذاكرته الخارقة الذي ما زال يذكر بها تفاصيل ما حدث قبل ٥٠ سنة.

حتى في السنوات الأخيرة من حياته، تذكر رجالا كثيرين بصورة واضحة إلى درجة أنه تذكر أسماء شرطيي القرية وملاك الأراضي التي استمع إليها في طفولته بالإضافة إلى الأجانب الكثيرين.

وإنه لأمر يصعب تصديقه أن يذكر رئيس دولة يشرف على كل شؤونها، لا مؤرخ كثيرا من كل الحقائق والحوادث الكبيرة والصغيرة والعديد من الرجال المتعلقين بها. لكنه حافظ في ذاكرته معظم ما شاهده وسمعه وشعر به واختبره طوال حياته دون أن ينسى كلها تقريبا.

لم يعتبر كل لحظة من لحظات التاريخ كمجرد لحظة تتضمن حقائق

وحـوادث الماضـي، بـل اعتبرهـا صفحـة مـن صفحـات التاريـخ التـي تسـتحق بالاسـتفادة مـن تجاربهـا وتلقنـه دروسـا مـن أجـل اليـوم والغـد.

تتضمـن مذكراتـه «فـي دوامـة القـرن» ذات خلاصـة حياتـه، جـزءا هامـا أوضـح بوضـوح الطريقـة الأكثـر عموميـة للحـرب العدوانيـة الإمبرياليـة وطبيعـة الغـزاة علـى أسـاس تحليـل الوضـع التاريخـي لانـدلاع حادثـة ١٨ أيلـول والحـرب الكوريـة.

فـي مذكراتـه، تذكـر الرئيـس خلفيـة الحادثتيـن حادثـة ١٨ أيلـول/ سـبتمبر والحـرب الكوريـة اللتيـن افتعلتهمـا القـوى الإمبرياليـة المختلفـة فـي مـكان مختلف وفـي وقـت مختلـف، وحلـل ميـزة متشـاركة واضحـة واردة فيهمـا بصـورة علمية. هـي بالـذات أن المسـتفزين بهاتيـن الحربيـن قـد تحـرك كلاهمـا سـواء بسـواء بمـا لا يتـلاءم مـع انـدلاع الحـرب بقصـد تغطيـة أعمالهـم العدوانيـة بالسـتار المنمـق.

بينمـا كان مشـعلو النـار علـى فتيـل الحـرب الشـاملة لغزو منشـوريا يسـتمتعون «بالراحـة»، محتسـين الخمـر فـي عـام ١٩٣١، كان ترومـان مشـعل الحـرب الكوريـة يمضـي «أوقاتـا هادئـة» فـي فيلتـه عشـية انـدلاع الحـرب الكوريـة فـي عـام ١٩٥٠ .

فضـح الرئيـس بوضـوح أن النقطـة المشـتركة البادية فـي هاتيـن الحربيـن مـا هـي إلا تظاهـر للمكـر والوقاحـة المميـزة للإمبرياليين وطبيعتهـم العدوانيـة.

ومـن خـلال تحليـل هاتيـن الحربيـن، أعـرى كليـا الطبيعـة الحقيقيـة للإمبرياليين، وكتـب فـي مذكراتـه كيفيـة اتخـاذ الموقـف وكيفيـة رؤيـة الحقائـق والحـوادث المختلفـة التـي تحـدث فـي مختلـف عصـور التاريـخ وفـي مختلـف الظـروف والمناسـبات كمـا يلـي:

«علـى الرغـم مـن وجـود أنـاس يعتبـرون أن التاريـخ هـو تراكـم لأحـداث

لا تتكـرر، إلا أننـا لا نسـتطيع أن نهمـل علـى الإطـلاق التشـابه والميـول المشـتركة بيـن حـوادث معينـة.»

إن التاريـخ هـو ليـس مجـرد تراكـم طـارئ لأحـداث لا تتكـرر كمـا كتـب الرئيـس.

هنـاك نقطـة مشـتركة وحقيقـة ثابتـة موجـودة تربـط وتتخـم تاريـخ البشـر برباطـة واحـدة مهمـا لـكل الحقائـق والوقائـع أسـباب وعمليـات ونتائـج أصيلـة. لهـذا تكمـن فـي كل الوقائـع والحـوادث تجـارب ودروس لا يجـوز إهمالهـا.

بمـا أن الرئيـس أدرك هـذه الحقيقـة التاريخيـة أكثـر مـن غيـره، تذكـر مـا لا يعـد ولا يحصـى مـن الحقائـق والحـوادث المتروكـة فـي كل طيـات التاريـخ.

إذا اسـتطاع الرئيـس أن يحفـظ فـي ذاكرتـه عـددا كبيـرا مـن المعلومـات التاريخيـة والشـخصيات بصـورة حيـة طـوال حياتـه، إلـى حـد يفـوق المفهـوم العمومـي السـابق، فـإن السـبب الآخـر فـي ذلـك يعـود إلـى ذاكرتـه خارقـة العـادة.

مـن إحـدى ميـزات ذاكرتـه هـي أنـه يحفـظ فـي ذاكرتـه مـا هـو جديـد أو معقـد بأكثـر دقـة وصحـة فـي لحظـة تناولـه. تتميـز ذاكرتـه بحفـظ أي شـيء فـي أسـرع وقـت، ولكـن دقتـه وصوابـه يكـون علـى أعلـى المسـتويات.

حيـن تفقـد الرئيـس مركـز تيتـو التـذكاري أثنـاء زيارتـه ليوغوسـلافيا السـابقة عـام ١٩٨٤، حـدث أمـر أدهـش المرافقيـن والعامليـن فيـه.

كان يعـرض فيـه جلـد الـدب الكبيـر. عندمـا شـرح المشـرف للرئيـس وهـو يشـير إلـى جلـد الـدب ذلـك أنـه جلـد الـدب الـذي اصطـاده الرئيـس يوسـف بـروز تيتـو فـي البوسـنة والهرسـك، وأنـه حصـل علـى الميداليـة الذهبيـة فـي المهرجـان العالمـي. حيـن أنهـى المشـرف شـرحه، قـال الرئيـس إنـه قـد سـمع مـن الرئيـس تيتـو الـذي زار كوريـا فـي السـابق أنـه حـاز علـى جائـزة المرتبـة الأولـى

بالحصول على ٤٩٣ درجة في مباراة صيد الدب.

فيما يسمع الكوادر المرافقون والعاملون في المركز قول الرئيس، لم يكبحوا جماح إعجابهم وتأثرهم متطلعين إليه لأنه يذكر حتى درجة مباراة الصيد بدقة، ناهيك عن القصة التي استمع إليها من الرئيس تيتو قبل ٧ سنوات.

بما أنه تحلى بذاكرة سريعة ودقيقة لا تعرف ترددا أو غلطة، فقد تذكر حتى الأرقام التي سمعها قبل زمان بعيد جدا.

كانت تتميز ذاكرته برسوخ واستمرارية لا تعرف التغير الفسيولوجي من ضعف الذاكرة التي يحدث للجميع كلما تتقدم بهم السن.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» ما يلي:

«إن الزمن يدمر ويمحو أشياء كثيرة ليطويها عالم النسيان. يقال إن الأفراح والأتراح تخبو وتتلاشى تدريجيا على مر الأيام والشهور والسنوات.

ولكن هذا الأمر لا ينطبق علي دائما. فأنا لم أستطع مطلقا أن أنسى كل واحد من رفاقي في السلاح الذين سقطوا شهداء. ربما كان السبب في ذلك هو الحزن العميق الذي كان يتملكه من مضوا ومن بقوا على السواء. لقد انطبعت صورهم في ذاكرتي بمئات وآلاف النسخ الواضحة.»

فإن النسخ الواضحة المنقوش عليها تاريخ الحياة المليئة بالعثرات، هي تقدير التاريخ لذاكرته البارزة التي حملها أثناء عيش طول حياته المضطلعة بكل الأمور الصغيرة والكبيرة الناشئة في الثورة الكورية المتميزة ببالغ التعقيد.

أما مذكراته فهي موسوعة كبيرة خالدة متشربة بآثار قيادة الرجل العظيم الذي حمل على عاتقه مصير العصر والتاريخ، الوطن والثورة والشعب

على مدى عشرات السنين في دوامة القرن وقادها على طريق التمهيد والتطوير بصورة مظفرة.

تتناول مذكراته ذكرياته الكثيرة المفصلة عن العدد الكبير من الناس الذين قابلهم قبل نصف قرن بكثير وتفاصيل حياتهم وعن الحقائق والحوادث التاريخية المعقدة. يقوم كل ذلك على أساس ذاكرته الخارقة.

حقا إن الرئيس كيم إيل سونغ الذي عاش حياته كلها في الذكريات عميقة المغزى، متحليا بالذاكرة البارزة التي لا يباريها أحد، فهو نموذج رائع لعقل البشر أوضح للناس مغزى وارتفاع العقل الحقيقي.

مصباح الفطنة

تشكل الفطنة أحد المعايير الهامة لتحديد علو عقل الإنسان.

إن الواقع الذي يعيش فيه الناس يكون على امتداد المسار الزمني السائر من الماضي من جهة، ومن جهة أخرى مرحلة سابقة لمسار المستقبل الجديد. في هذا المسار التاريخي، يعيش الإنسان متذكرا ماضيه، ومستبصرا واقعه الحاضر، ومتنبئا مستقبله. لأنه فقط حينما يعود بذاكرته إلى الماضي، يستطيع أن يحصل على التجارب والدروس، وفقط حينما يستبصر الواقع، يمكنه أن يختار الوسائل والطرق العلمية، وفقط حينما يتنبأ بصواب المستقبل، يمكنه أن يشق مصيره بهدف معين واتجاه واضح. في امتلاك الرؤية للماضي والحاضر والمستقبل، يكون أصعب الأمر هو امتلاك الفطنة التي يستشرف الإنسان بها المستقبل البعيد.

يمكن القول إن الفطنة العلمية هي مصباح الرجل العظيم. يتخذ الرجل العظيم الحقيقي فطنته البارعة، لا المال أو السوط كأحد أقوى أسلحته لتفتيح عيون عشرات ملايين الناس وإرشاد تطور المجتمع.

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا عظيما عبقريا قدم حلولا أكثر كمالا عن المسائل النظرية والعملية الكثيرة، الناشئة في الثورة والبناء ببصيرته بعيدة المدى. إحدى خصائصه الهامة الجديرة بالرجل العظيم هي بالذات قيادته لقضية استقلالية جماهير الشعب ببعد نظره هذا.

بعد النظر يعني تحديدا قدرة من يستشرف الأمور التي ستقع في وقت لاحق.

كما أنه سلاح روحي هام يتوقف عليه نجاح الإنسان في كل نشاطاته، إلا أن الجميع لا يستطيعون التحلي به بمجرد رغبتهم في ذلك. لذا، صدر المثل «من لا يرى أبعد عن أنفه».

كان بعد النظر الذي يتحلى به الرئيس قدرة الروح المعنوية المتميزة له. إن الأوضاع التي كانت تتطلب الحل المستقل لكل المسائل الناشئة في الثورة الكورية التي قادها سالكا طريقا غير مطروقة لم يسلكها أحد جعلته يتحلى بتلك قوة الروح المعنوية المتميزة.

كانت أصعب المشاكل وأقساها التي واجهها في فترة فتح طريق تقدم الثورة الكورية هي أنه لم يجد في داخل البلاد أي نوع من القواعد الثورية الإرشادية التي يمكن قبولها وأي رائد جدير بالتعلم منه. ولكن لم يكن بوسعه أن يحل مسألة مصير البلاد والأمة بالاعتماد على القوى الخارجية في أي حال من الأحوال. كانت الثورة الكورية هي بالذات ما لم يكن بوسعه أن يتقدم بها قدما ولو خطوة واحدة دون حل كل المسائل بالقوة الذاتية والاستقلالية.

انطلاقا من ظروف الثورة الكورية هذه، اتخذ الرئيس إصدار الحكم والقرار العلمي بالاستقلالية كمبدأ له.

دون الحكم والقرار العلمي والواقعي، لا يمكن النجاح في النضال لوضع الخطط والسياسات المستقلة وتطبيقها.

ومن هنا، اتخذ الرئيس كمبدأ حديدي غير مخالف له أن يضع كل الخطط والسياسات والاستراتيجيات والتكتيكات، على أساس الحكم العلمي للظروف الموضوعية والذاتية القادمة والأوضاع المتغيرة في المستقبل، بعد أن استبصر بدقة طريق تقدم الثورة.

كان الإصلاح الزراعي في كوريا هو أحد أهم مضامين الثورة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية والإقطاعية، الذي حققه الشعب الكوري أولا بقيادة زعيمه العظيم على أساس الانتصار العظيم في حرب التحرر الوطني في المستعمرة. كان الإصلاح الزراعي الذي نفذ في كوريا بعد تحرر البلاد هو التغير الاجتماعي المتميز الذي لم نجد مثيلا له في التاريخ على كل الأصعدة مثل تحديد من تصادر أراضيهم وأهداف النضال وعمليات التنفيذ في كل مرحلة من المراحل. وكان أكثر ما يجدر بالذكر هو تنفيذه ببعد النظر، على أساس مبدأ توفير الظروف المقدمة لتنفيذ الثورة الاشتراكية القادمة.

في ظروف كوريا التي كانت بلدا زراعيا متخلفا، كان أكبر أماني الفلاحين الذين احتلوا ٨٠ بالمائة من سكانها هي مزاولة الزراعة في أراضيهم الخاصة. ولذلك، كان لا بد من توزيع الأراضي لهم، بغية تحقيق الرغبة الدهرية لجموع الجماهير الغفيرة وكسبها. بعد أن رأى الرئيس بصواب هذا المطلب الواقعي، حرص على مصادرة أراضي الإقطاعيين الذين يبلغ

عددهم ٤٤٠٠٠ أسرة وتوزيعها للفلاحين الذين يبلغ عددهم أكثر من ٧٢٠ ألف أسرة حتى حقق رغبتهم الدهرية. في هذه الحالة أيضا، حرص بحكمة على أن يغدو الإصلاح الزراعي مناسبة لتوفير الظروف الصالحة للانتقال إلى الثورة الاشتراكية وتطور البلاد الاشتراكي في المستقبل. ففي بداية وضع مسودة قانون الإصلاح الزراعي، استشرف التعاون الزراعي في مرحلة الثورة الاشتراكية الآتية، حتى حرص بوضوح على عدم بيع أو إكراء أو رهن الأراضي الموزعة. وحرص بذلك على منع انبعاث نظام التحاصص أو إعادة حدوث المزارعين الأغنياء وانتعاشهم في الريف، مع إعطاء الحق في امتلاك الأراضي للفلاحين، بما يتلاءم مع أماني الفلاحين الذين يرغبون في امتلاك أراضيهم. كما اتخذ إجراءات تقييد الفلاحين الأغنياء بمثل فرضهم على مزاولة الزراعة بأيديهم وعدم استخدام الفلاحين المأجورين الدائمين وغير ذلك. كانت هذه الإجراءات تهدف إلى تقييد تطور اقتصاد الفلاحين الأغنياء لتوفير الظروف المقدمة الصالحة لنشر التعاون في الريف، بما يتلاءم مع المطلب الاشتراكي للاقتصاد الزراعي. بما أن أهداف النضال الرئيسي في نشر التعاون للاقتصاد الريفي هي الفلاحون الأغنياء فكان من الضروري تقييد اقتصادهم مسبقا عند القيام بالإصلاح الزراعي، حتى لا يتطور أكثر من ذلك.

بفضل بعد نظر الرئيس كيم إيل سونغ، تم إنجاز الإصلاح الزراعي تماما في فترة قصيرة لا تزيد عن الشهر الواحد في كوريا، وتم توفير الظروف المقدمة الأكيدة لتحويل الاقتصاد الريفي على النهج الاشتراكي على أعلى المستويات بعد الحرب.

كما أن خط السيادة والاستقلال الاقتصادي والدفاع الذاتي أيضا طرحه

الرئيس كخط إستراتيجي للثورة الكورية ببصيرته الثاقبة التي يتطلع بها إلى المستقبل البعيد للعصر والثورة. أما خط السيادة والاستقلال الاقتصادي والدفاع الذاتي فهو المبدأ الهادي الهام لفكرة زوتشيه وخطها الثوري. حدد الرئيس طريق الثورة الكورية كطريق الاستقلالية، على أساس بصيرته العلمية التي تتجلى في أن الاستقلالية هي شريان حياة كل بلد وأمة والعصر الراهن هو عصر الاستقلالية الذي تدور فيه الثورة والبناء على وحدة كل بلد وأمة، وحكمه عن قوانين تطور عصر الاستقلالية.

كما أن بعد نظر الرئيس كيم إيل سونغ هو توقعه العلمي الذي يتنبأ تيار العصر والوضع السياسي بأكثر صحة.

كان يستشف دائما الحقائق والحوادث التي تدور على الحلبة الدولية بانتباه عميق، وعمم بدقة نتائج تحليله للحوادث الفردية، ولذلك، كان ينبئ الأمور بأكثر وضوحا.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، زار أحد كبار السياسيين الروس إلى كوريا، وقال: «إن الكثير من الافتراءات وجهت إلى كوريا في الأيام الماضية لأنها لم تنضم إلى ‹السيف› وأصرت على اقتصادها المستقل، ولكن في النهاية، انهارت كل الدول المنضمة إلى ‹السيف›، وحافظت كوريا وحدها على الاشتراكية. حقا إن كوريا نجحت في بناء الاشتراكية».

هذا هو تعبير عن ثناء العصر على بصيرة الرئيس الثاقبة البارزة الذي تطلع بها إلى المستقبل البعيد بعد القرن.

إن بعد نظره تجلى بأكثر بروزا في خضم حرب التحرير الوطنية (٢٥ حزيران/ يونيو ١٩٥٠-٢٧ تموز/ يوليو ١٩٥٣) القاسية التي تقرر مصير البلاد والأمة.

استبصر الرئيس علميا أن أهمية الدفاع عن السواحل تزداد أكثر كلما توسعت نجاحات العمليات الهجومية في خصائص كوريا الطبوغرافية حيث تحيط بها البحار من ثلاث جهات، وعلى أساس ذلك، حرص على دفع الفيلقين إلى سواحل البحرين الشرقي والغربي بالتوافق مع النجاحات الموسعة في الجبهة، ليعزز الدفاع الساحلي. برهنت كل مراحل حرب التحرير الوطنية على مدى صحة خطته الإستراتيجية الخاصة بتعزيز الدفاع الساحلي.

حاول الإمبرياليون الأمريكيون مرارا منذ عام ١٩٥١ حتى نهاية الحرب نزولهم إلى منطقتي واونسان وهانتشون على سواحل البحرين الشرقي والغربي حتى يقطعوا كوريا من خاصرتها، ويدفعوا الجبهة إلى أعماق الشمال. إلا أنهم لم يستطيعوا حتى النهاية تحقيق أهدافهم، وأخيرا ركعوا أمام الشعب الكوري.

بفضل بصيرته الثاقبة التي تطلع بها إلي الغد المنتصر، شهدت كوريا وقائع مدهشة مثل وضع خطة إعادة الإعمار والبناء بعد الحرب في أيام الحرب الضروس في عام ١٩٥٢ وإرسال المقاتلين في الجبهة إلى الجامعات والمعاهد العالية.

ذات يوم من أيام الحرب الضروس، زار أحد المراسلين الأجانب مقر القيادة العليا حيث يعمل الرئيس كيم إيل سونغ لكي يسأله عن آفاق الحرب بخصوص «الهجوم الجديد» واسع النطاق الذي يلجأ إليه الإمبرياليون الأمريكيون.

دخل المراسل مكتب القائد الأعلى شاعرا بالأسف والتوتر لقتل وقته القيم لقيادة شؤون الحرب، لكنه دهش أشد دهشة على هدوء المكتب، بغير توقع منه.

كان القائد الأعلى ينظر إلى شيء ما أمام طاولة العمليات الواقعة في ركن من المكتب الواسع، فيما هو يسمع قول الجندي الشاب الواقف بجانبه.

حينما نظر المراسل إلى مرافقه بنظرة الاستغراب، همس المرافق في أذنه بأن القائد الأعلى يفتش الآن حالة دراسة الجندي.

ألقى المراسل نظرته مرة أخرى إلى هذا المرافق، كما لو أنه لا يفهم قوله. فشرح المرافق له مجددا أن الجنود الذين سيرسلون إلى البلدان الأخرى من أجل إعادة الاعمار والبناء بعد الحرب يقومون بالدراسة قبل مغادرة الوطن.

فدهش المراسل دهشة بالغة مرة أخرى.

(هذا يعني أن الرئيس العظيم يكون على ثقة راسخة بالانتصار في الحرب!)

بعد لحظات، خرج المراسل من الغرفة بهدوء دون صوت خطاه كما لو أنه قد اقتنع بشيء. حين سأله المرافق عما هو السبب، أجاب المراسل قائلا ما يلي: «قد فرغت من تغطية الأخبار».

هكذا، قاد الرئيس الثورة والبناء إلى النصر ببصيرته الثاقبة، ووضع الشعب الكوري في ذروة المجد.

لا يمكن تصور النصر الرائع في ثورة وبناء كوريا الذي تحقق تحت قيادته بهذه البصيرة بمعزل عن معارفه العميقة ونظرته الواسعة التي لا يباريها أحد.

كان الرئيس واسع الاطلاع ذو خبرات تطبيقية وافرة يحترس دائما من الميول إلى التشبث بما هو قديم وعدم إيجاد الطرق لحل المشاكل من زاوية جديدة.

في أحد أيام تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٥٤، زار الرئيس قرية إيآب

من قضاء زونغسان بمحافظة بيونغآن الجنوبية، وقضي الليلة مع رئيس مجلس إدارة المزرعة آنذاك، بعد أن تعرف على حالته المؤلمة، فقد قتل الإمبرياليون الأمريكيون أكثر من ٣٠ من أهله وأقربائه في فترة التراجع.

في اليوم التالي، ذهب شخصيا إلى قرية نامو، فيما هو يشق الأعشاب الضارة التي بلغت الركب. كانت هذه المنطقة حتى ذلك الحين مغطاة بمستنقعات ومفتقرة إلى درب صالح. استغرق الرئيس في التفكير العميق وهو ينقل خطاه ببطء على ساحل المستنقعات، ودعا رئيس مجلس الإدارة إلى الجولة، وركب على زورق صغير.

قام بالتفقد الميداني وهو يجتاز أجمة القصب شخصيا، وقال للفلاحين بأنه يمكنهم الحصول على حوالي ١٠٠ ألف بيونغ من الأراضي الخصبة باستصلاح الأراضي بعد بناء السدود في المستنقعات، ومن الممكن بلوغ مستوى حياة الفلاحين إلى مستوى الفلاح المتوسط الغني بزراعة الحبوب في تلك الأراضي. لم يصدق الفلاحون آذانهم عند لحظة استماعهم إلى كلامه هذا. إنهم قد عاشوا عشرات السنين مع هذه المستنقعات. فرؤوها واجتازوها بالزورق كل يوم وما عرفوا مساحة الأرض تحت هذه المستنقعات. مع كل هذا، توقع الرئيس مساحتها بأنها تبلغ حولي ١٠٠ ألف بيونغ في لمحة واحدة لجولته الأولى على الزورق.

فيما بعد، أثبت الواقع بأن توقعه كان صحيحا. بعد زيارته، قام المزارعون بالنضال الإصلاحي، حتى حولوا المستنقعات التي كانت موضع الإهمال إلى أراض خصبة. و قاسوا مساحة الحقل واحدا بعد واحد مفعمين بالابتهاج والانفعال، ولم ينبسوا ببنت شفة على ما حدث أمامهم. فكان الأمر غريبا ونادر الوقوع. كانت مساحته تبلغ ١٠٠ ألف بيونغ كما توقع الرئيس. من

خـلال هـذا الحـادث، أدرك أهالـي قريـة إيـآب مـرة أخـرى بعمـق أن معارفـه العميقـة وخبراتـه الواسـعة وذكاءه السـحري هـي بصيـرة بعيـدة المـدى بـكل معنـى الكلمـات.

هكـذا، أصبحـت البصيـرة بعيـدة المـدى التـي تحلـى بهـا الزعيـم العظيـم الرئيـس كيـم إيـل سـونغ أساسـا رئيسـيا جعـل قيادتـه لثـورة وبنـاء كوريـا قيـادة أكثـر حكمـة وعلميـة.

٢ تقديس الشعب الفائق

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا حنونا ومتأجج العواطف بلا حدود.

بعد أن ولد في عائلة مانكيونغداي التي كانت تعتبر حب الإنسان أكبر عادة عائلية، تأصلت في قلبه أثناء نموه الشيم السامية المتمثلة في حب الإنسان والتي اكتسبها من تثقيف والديه وجسدها وسط مشقة العيش التي يفوق تصورها، وعاش طوال حياته متحليا بهذا الحب.

كان الرئيس مجسدا لحب الإنسان، حب الشعب، استهل به الثورة الكورية، وقاد الحربين الثوريتين إلى النصر وخلق تاريخا جديدا للإبداع والبناء باتخاذه كأقوى سلاح. إذا تم جمع كل ما منحه الرئيس للشعب الكوري من الحب، فإن ذلك عبارة عن الوطن والثورة وعالم العدالة والحقيقة.

بما أن الرئيس قد صب حبه الدافئ كله على أبناء الشعب الكوري، فإنهم لا ينسونه مهما طال الزمن، وينادونه اليوم أيضا بالأب العطوف لهم. يقال بأن عقدا من الزمن كاف لتغيير هيئة الجبال والأنهار، لكن ما لم يتغير إلى الأبد هو المحبة الأبوية الدافئة التي منحها الرئيس كيم إيل سونغ لأبناء الشعب الكوري.

اعتبار الشعب كالسماء \ ٤٨
محور تفكيره ونشاطه \ ٥٤
ثقة ثابتة لا تتغير \ ٥٩
مشاعر المودة الواسعة كالبحر \ ٦٦
نداء الشعب - «أبونا» \ ٧٧
محبة إنسانية لا تعرف حدودا \ ٩٢
المتعة الكبرى - كسب الرفاق \ ٩٨

اعتبار الشعب كالسماء

يعد الحب أخلاقا أصيلة في عالم البشر الذي يكون جميلا بوجودها، وتمكن الإنسان بها من صياغة مصيره عبر التلاحم والتعاون.

كان حب الإنسان الذي حمله الرئيس كيم إيل سونغ يتمثل في التقديس المطلق للشعب الذي يرفعه كالسماء والثقة المطلقة به والحب العميق الذي لا يعرف النهاية والحد. يجد حبه للإنسان تعبيرا عنه في رحابة صدره وشهامته الواسعة التي يضم بها جميع أبناء الجلدة وعددا كبيرا من الأجانب في صدره، ويمنح لهم حبه، ومحبته الرفاقية الثورية السامية التي تستطيع تفتيح الأزهار حتى على الصخرة.

كان الرئيس كيم إيل سونغ مجسدا نموذجيا لحب الإنسان، يتحلى به كشيمه السامية المتميزة.

ليس من باب المصادفة أن كل من أتيح لهم اللقاء بالرئيس قالوا إن سبب انجذابهم لشخصيته يكمن في ما يحمله من حب الإنسان والفضيلة النبيلة. فإن ابتسامته الوضاحة وصوته الجهوري المفعم بالحنان ورحابة صدره وأريحيته، كل ذلك يمثل جاذبيته القوية ومحبته الإنسانية الدافئة اللتين يلامسهما كل من قابله.

تكون عائلة مانكيونغداي هي منبت تجذر ونما فيه حبه العظيم للإنسان.

من الطبيعي أن يخطو الإنسان درجه الأول داخل سياج العائلة الضيق، ويتعلم فيها مبدأ الحياة والشخصية والكفاءة الجديرة به. إن عائلة مانكيونغداي

التي تعتبر حب الإنسان كخلق أكبر جمالا كانت هي بمثابة تربة جعلت الرئيس ينمو منذ طفولته مجسدا بحب الإنسان والأسرة والأمة والوطن والشعب بكل جوارحه.

كما يعد حب الرئيس للإنسان فضيلة سامية متمثلة في اعتبار الإنسان كائنا أكثر قيمة وأهمية في العالم.

إن فكرة زوتشيه التي أبدعها الرئيس هي فكرة احترام وحب الإنسان والتي أبرزت الإنسان كائنا ذا أسمى كرامة وقيمة في العالم، وأعلنت بقوة أن جماهير الشعب تغدو ذاتا فاعلة أكثر ذكاء وقوة في التاريخ.

إن ذروة النظرة والموقف الثابت للرئيس في احترام الإنسان وإيلاء الأهمية الكبيرة له تجد تعبيرا عها في تقديس الشعب.

كان الرئيس أبا عطوفا للشعب يمنح له كل حبه ومودته، ويقدسه طوال حياته.

تتطلع جماهير الشعب ليس إلى المحبة الأبوية المتوارثة في حياتهم فقط، بل إلى أخلاق الحب الاجتماعي المتمثلة في أن جميع أفراد المجتمع يتعاملون ويحترمون الآخرين كأناس ذوي شخصية وكرامة متساوية، ويعتني ويساعد جميع أفراد المجتمع فيما بينهم.

قد كرس الرئيس حياته كلها للنضال الرامي إلى بناء بستان أزهار حب الإنسان. بما أنه اعتبر احترام كرامة الإنسان وشخصيته محبة أولية له، كان يسلك دروبا شائكة من أجلها على مدى حياته، بعدما اتخذ حب الإنسان واحترام جماهير الشعب راية في صنع الثورة.

حبه للإنسان هو بالذات تقديس كبير للشعب الذي يبجله كالسماء، فتنطوي نظرة الرئيس إلى الشعب على أن جماهير الشعب هي بالتحديد

هـدف التقديـس الـذي لا بـد مـن تبجيلـه ورعايتـه بتكريـس حياتـه كلهـا.

فالقصـة التـي تـروي عـن الأواصـر الإنسـانية المرتبطـة بيـن الرئيـس والقـس بـاك إيـن جيـن لديـن تشـوندو (الديانـة الأصيلـة الكوريـة التـي تـم تنهيجهـا علـى أسـاس فكـرة الدونغهـاك الناشـئة فـي أواسـط القـرن التاسـع عشـر) وعقيلتـه تمكـن النـاس مـن تقديـر الارتفـاع والقيمـة لتقديـس نقـي يجـوز للبشـر أن يحملـوه.

إن القـس بـاك إيـن جيـن هـو الرجـل الوطنـي فـي الثـورة المناهضـة لليابـان الـذي حقـق المآثـر علـى طريـق التحالـف مـع الشـيوعية وإنقـاذ الوطـن. عقـب بدايـة اعتناقـه لديـن تشـوندو القومـي الكـوري مضـى فـي اضطلاعـه بالمراتـب المختلفـة فيـه، وفـي عـام ١٩٣٢ شـغل منصـب القـس فـي مبشـرة زيـواون. آنـذاك كانـت هـذه الديانـة تضـع مقـر تبشـيرها فـي ٢٩ فرعـا علـى نطـاق البـلاد، فـإن مبشـرة زيـواون أكبـر حجمـا فـي البـلاد إذ تضـم مـن حيـث الأسـاس بونغسـان وسامسـو وكابسـان وتشـانغباي وغيرهـا. عنـد أخـذ هـذه النقطـة بعيـن الاعتبـار فيمكـن التخميـن بأنـه كان يحتـل مكانـة رفيعـة جـدا فـي ميـدان ديانـة تشـوندو.

أثنـاء انتفاضـة الأول مـن آذار الشـعبية لعـام ١٩١٩، عمـل علـى تنظيـم المظاهـرات المناهضـة لليابـان فـي بونغسـان، وقادهـا علـى مقدمـة الجماهيـر البالغـة عددهـا أكثـر مـن ألـف شـخص إلـى أن تـم القبـض عليـه إثـر إصابتـه بالرصـاص للعـدو، إلا أنـه حافـظ علـى معتقداتـه وإرادتـه المقاومـة بصمـود فـي غمـار مـرارة سـجن سـودايمون.

لاحقـا عـاش حيـاة الالتجـاء فـي المنطقـة الجبليـة النائيـة وهـو يقـوم بمسـاعدة جيـش الاسـتقلال وتبشـير الديـن، وأخيـرا نجـح فـي ربـط الصلـة بخـط العمـل السياسـي السـري لجيـش حـرب العصابـات، حينمـا كان الرئيـس كيـم إيـل سـونغ ينهمـك فـي النضـال النشـيط لتوسـيع الجبهـة الوطنيـة المتحـدة ضـد اليابـان بعـد

أن قام بتأسيس جمعية استعادة الوطن (منظمة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان) في يوم الخامس من أيار/ مايو عام ١٩٣٦ .

حينما قرأ القس «البيان التأسيسي لجمعية استعادة الوطن» و«برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن» لأول مرة أعرب عن تأييده لهما، وأعلن موقفه الإيجابي أثناء لقائه مع مبعوث الجيش الثوري، وفي مطلع شتاء عام ١٩٣٦، وصل إلى المعسكر السري للقاء الرئيس.

حدث ذلك ذات يوم من أيام قيامه مع الرئيس بتبادل الآراء ليل نهار فيما يتعلق بالأوضاع الداخلية والخارجية وحالة الحركة القومية، ومسار تطور النضال المسلح المناهض لليابان وغيرها من القضايا المختلفة.

لم ينس الرئيس وقت التشونغسو بونغزون (وقت التعبد أمام ماء نقي مملوء في قصعة من النحاس في دين تشوندو)، وأرسل جندي اتصال لإحضار الماء الصافي في إناء وناشده أن يؤدي هذا الفرض. لكن القس باك أصر على رفض أدائه قائلا إنه كيف له أن يؤديه أمام القائد فيما طلب القائد بإلحاح أداءه مشيرا إلى أنه لا يجوز له هو المعتصم بإلزامية الفروض مخالفتها ولو مرة.

في نهاية تبادل الرفض والدعوة، لم يجد القس بدا من تلاوة دعاء وشرب رشفة واحدة من الماء، ثم قال للرئيس ما يدور في أعماق قلبه متسائلا: «إن ثمة أمرا أريد أن أعرفه منكم أيها حضرة القائد، هل لديكم شيء تقدسونه مثلما نقدس هانووليم (إلاه)؟ وإذا فما هو؟.»

تعني كلمة هانووليم معبودا أعلى في دين تشوندو، الدين القومي الكوري، بكونه مصدرا للدنيا وأصلا جذريا لكل الأشياء. من ناحية المعرفة الأساسية كان من غير المنطقي أن يعبد معتنقو الشيوعية كيانا ما مثل المتدينين.

ومن البديهي أن كان القس على علم بأن الشيوعيين هم ملحدون.

إلا أن القائد فكر بأن هذا السؤال جاء من ثقته به واستطرد قائلا:

«...هنالك بالطبع شيء أقدسه، مثلما تقدسون أنتم الرب. وهذا الذي أقدسه هو الشعب. إنني أقدره وكأنه السماء واحترمه كإله. فإلهي هو الشعب ولا أحد سواه. وليس هنالك في هذا الكون كائنات تضاهي الجماهير الشعبية بذكائها وقوتها. ولهذا، فان معتقدي طوال حياتي هو اعتبار الشعب كالسماء.»

بعد سماعه لقول القائد تحدث بلفظ ينم عن الثقة أنه كان مجديا حينما قدم إلى جبل بايكدو حيث أدرك بوضوح ما هو الهانووليم الحقيقي وأين هو.

إن الشعب هو السماء، هذه نظرة فريدة لم يكن أحد حاول التفكير فيها قط، وتتجسد فيها وجهة نظره المقدسة إلى الشعب التي كسبها أثناء عمله لرفع قدرة وقيمة الشعب الكيان العملاق إلى الشوط الأعلى. الثقة بالشعب ورفعه كالسماء هي عقيدة تمسك الرئيس بها على مدى الحياة. عقيدته المقدسة هذه التي لا مثيل لها في أي صفحة من صفحات التاريخ تتشرب كليا في عبارة «اعتبار الشعب كالسماء».

ركيزته الروحية التي أسند إليها الرئيس في إبراز الشعب كالسماء، بعدما ظل منبوذا كموضع احتقار خلال حقبة طويلة من الزمن، كانت هي ثقته الوطيدة بالقوة الجبارة الكامنة في الشعب الواعي والمتلاحم. كان من رؤيته الثابتة أن هذه القوة لا ينضب معينها، أي وإن كان لكل الأشياء لها الحد فلا نهاية لقوة الشعب، ولا مستحيل التغلب على أي محنة كانت عند تعبئة قوة الشعب، هنا بالذات تكمن قدرة جماهير الشعب التي يؤمن بها أيما إيمان.

أما القس باك المذكور سابقا فتم القبض عليه من قبل شرطة الإمبريالية اليابانية وأطلق سراحه مؤقتا في ربيع عام ١٩٣٩، بعد أن أصبح عاجزا ومقعدا على إثر التعذيب الوحشي. ذات يوم، على وشك رحيله ترك لزوجته وصية بأن تزور القائد كيم إيل سونغ مع أبنائه بعد تحرر الوطن.

وقال لتلميذه الأحب إليه ما يلي:

«ما دام يبقى القائد كيم والجيش الثوري سليما في جبل بايكدو سوف تستقبل أمتنا يوما مشرقا، وأنتم ستعيشون في بلد الهانووليم حيث تتفتح مختلف الأزهار الزاهية، وأرى الآن هذا اليوم كصورة حية.»

ذات يوم في صيف عام ١٩٩٢، تلقى الرئيس التقرير بأن زوجة الراحل القس باك ما زالت على قيد الحياة مناهزة على التسعين من العمر، فسر عظيم السرور حتى أوصاهم لأن يحضروها حالا حتى ولو اقتضى الأمر حملها على الظهر.

عندما وصلت الأرملة أمام الرئيس استعملت لقب الاحترام «الهانووليم» طوال حديثها. رفض الرئيس ذلك بجدية فلم تنثن إرادتها وهي تقول: «لقد رأيتكم أيها الهانووليم في حلمي». لم يكن حديثها طويلا ولكن نابضا بالمشاعر المتدفقة من أعماق فؤادها.

تاريخه الجليل الذي صنع فيه بستانا لحب الإنسان قد ترك إثرا بارزا لا يمحى إلى الأبد في أعماق قلوب الكوريين. فلا غرو أن أنشد الشعب الكوري بالرئيس كيم إيل سونغ محسنا له إذ اعتبر رأي عامة الشعب رأيا مطلق الصحة وأبرز جماهير الشعب ككائن كلي العلم وكلي القدرة وبجلها كل التبجيل. كما لاحظنا كان الشعب سماء للرئيس وكائنا أكثر قيمة وذكاء وقوة لا يمكن مقارنته بأي شيء على هذا الكوكب.

محور تفكيره ونشاطه

كان كل تفكيره ونشاطاته تقوم دائما على الحب للشعب. ابتدأ وانتهى كل تفكيره ونشاطه بالحب اللامتناهي للشعب.

كان أكبر أمانيه هو توفير سعادة لا تقل عما لدى الآخرين لأبناء الشعب الكوري.

حدث هذا الأمر في تسعينات القرن الماضي. ذات يوم، كان الرئيس يتنزه في البستان حيث رأى دجاجا نادر الصنف. كان دجاجا تزيينيا اقتناه الكوادر حديثا بغية ضمان الوقت المريح للرئيس ولو لحظة من التنزه. كان الدجاج الصغير في غاية الجمال لما له شعور ملونة عند كعبه بحيث يسمى بـ «الدجاج ذي القدم الفروية».

التفت الرئيس إليه بنظرة تنم عن الفضول برهة من الوقت حتى سأل الكادر كم بيضا يبيض هذا الدجاج في السنة. عند سماعه بأنه يبيض نحو ٨٠ بيضا تطلع إلى الوراء نحوه وعلى محياه إمارة خيبة الأمل ثم قال:

«ما هي منفعة هذه الدجاج التي تبيض ٨٠ بيضا بينما تبيض نظيراته الأخرى ٢٠٠ إلى ٢٥٠ حبة في السنة.»

أمام قوله بنبرة توحي بخيبة الأمل رد الكادر قائلا: أيها الرئيس، لكنها دجاج للزينة لا يتم تربيتها بغرض إنتاج اللحم أو البيض. أ لا يعجبك منظرها المحبب والجميل؟

فنوه الرئيس بأن الدجاج لا تنفع إلا بإنتاج كثير من البيض ولا بالجمال،

وأنـه مستعد للمجـيء إلـى هنـا كل يـوم إذا كان هنـاك دجـاج تبيـض كثيـرا مـن البيـض حتـى لـو كان منظرهـا شـديد القباحـة، واسـتطرد قائـلا:

«حبـذا لـو كان ثمـة دجـاج تبيـض نحـو ٤٠٠ بيـض فـي السـنة. يمكـن، عندئـذ، إمـداد أبنـاء شـعبنا بمزيـد مـن البيـض.»

إن الشـيء العاجـز عـن ضمـان المنفعـة الفعليـة للشـعب فـلا جـدوى منـه، وإن كان أكثـر روعـة وجـدة، هـذا هـو معيـار الحكـم الـذي وضعـه الرئيـس.

إن أول مراتـب الشـعب الـذي أحبـه الرئيـس كيـم إيـل سـونغ كان يحتلـه دائمـا الأطفـال الذيـن أبرزهـم الرئيـس كملـوك للبـلاد. علـى ذلـك، أحبهـم الرئيـس أكثـر مـن سـواهم طـوال حياتـه، وعمـل كل مـا بوسـعه مـن أجلهـم.

مـن المعـروف للجميـع أن الرئيـس كان يحتفـل بعيـد رأس السـنة الجديـدة عـادة مـع الأطفـال. بيـد أن مـن يعرفـون عـن إقامـة الحفلـة لاسـتقبال رأس السـنة فـي مطعـم أوكريـو بحضـور الرئيـس ليسـوا كثيريـن.

عشـية العـام الجديـد ١٩٦١، كان الرئيـس يشـغل بالـه بتحديـد المـكان لإقامـة حفلـة اسـتقبال العـام الجديـد التـي كان يحضرهـا مـع الأطفـال تقليديـا كل سـنة. لأنـه رأى أن دار دايدونغمـون للسـينما التـي كانـت تقـام تلـك الحفلـة فيهـا حتـى ذلـك الحيـن لـم تعـد مناسـبة مـن حيـث حجـم الحفلـة وعـدد المشـتركين فيهـا.

أثنـاء نقاشـه مـع الكـوادر بشـأن هـذه المسـألة، سـألهم عـن رأيهـم فـي إقامتهـا فـي مطعـم أوكريـو الجديـد المزمـع افتتاحـه قريبـا. فـي بـادئ الأمـر لـم يصـدق الكـوادر آذانهـم، إذ أن هـذا المطعـم كان مـن المقـرر اسـتعماله كمـكان المأدبـة الحكوميـة فضـلا عـن عـدم افتتاحـه بعـد. قـال أحدهـم للرئيـس عـن رأيهـم بصراحـة.

فتطـرق الرئيـس إلـى القـول إنـه مـن الأحسـن اسـتعمال مبنـى غيـر منفتـح بعـد،

ومن الأجدر أن نحمل نظرة وموقفا صائبين من الأطفال، علينا تخصيص هذا المطعم لهم كي يرقصون ويغنون فيه بملء رغبتهم حتى لو اقتضى الأمر إقامة المأدبة الحكومية في مكان آخر. هكذا تم تحديد مطعم أوكريو، مكان المأدبة الحكومية، كمكان العرض الفني لاستقبال السنة الجديدة ١٩٦١ من أجل الأطفال.

وفي يوم الثامن من نيسان/ أبريل عام ١٩٧٣، حين بنيت قاعة بيونغ يانغ الرياضية، قال: ما فائدة هذه الدار الكبيرة دون استعمالها، وإذا تم إزالة صف منصة الرئاسة في هذه الدار فيمكن لكافة سكان بيونغ يانغ المشاهدة باستعمال رقعته أيضا، وبما أن عدد الكوادر لا يعدو إلا قليلا فلا بد من تشكيل مقاعدهم بحجم صغير في أحد الأركان، وعندئذ سيكون من الممكن تنظيم حفلة استقبال السنة الجديدة بشكل كبير.

بفضل محبته للأطفال هذه، تم تحديد موقع بناء القصر للأطفال في المكان الأنسب بقلب العاصمة بيونغ يانغ حتى انتصب قصر بيونغ يانغ للتلاميذ والأطفال حيث صارت أصوات أغاني الأطفال تتعالى أعلى فأعلى، رغم أن كوريا كانت تسير على الطريق الصعب لدفع البناء الاقتصادي وبناء الدفاع الوطني بالتوازي.

هكذا، سلك الرئيس طريق التفاني للشعب طوال حياته، حاملا في قلبه المحبة السامية له.

في يوم الخامس عشر من نيسان/ أبريل عام ١٩٩٢، أقامت حكومة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية مأدبة بمناسبة الذكرى الثمانين لميلاد الرئيس كيم إيل سونغ، وألقى فيها الرئيس خطابا، حيث قال ما يلي:

«لقد انطلقت على طريق الثورة عازما على تكريس نفسي كليا من

أجل الوطن والشعب، ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا كان قلبي يتدفق بحب الشعب على الدوام.»

اعتبر الرئيس الثورة بحد ذاتها حبا للبشر منذ وقت مبكر. إن اليوم الذي عانى فيه أشد الآلام في حياته كان أثناء الحرب المناهضة لليابان في معسكر مآنشان السري المعتم حيث لاحظ مشهدا يرثى له لأعضاء رابطة الأطفال الذين بقوا يتعرضون لشتى المآسي تحت التهمة الجائرة لـ «مينساينغدان» (منظمة تجسسية نظمها الإمبرياليون اليابانيون في شباط/ فبراير عام ١٩٣٢ على أمل تحطيم الصفوف الثورية المناهضة لليابان من داخلها).

آنذاك قال الرئيس لعاملي قسم التموين في المعسكر بلهجة مبحوحة، فيما هو يكبح بصعوبة آلام فؤاده إنه لا بد لي اليوم أن أدقق مجددا مفهوم قيمة الثوري، لماذا بدأنا الثورة؟ ولماذا نواصلها الآن متغلبين على الشدائد بشتى أنواعها؟ وتابع قوله بصرامة كما يلي:

«لقد انطلقنا على طريق الثورة لا رغبة منا في تدمير شيء ما، بل لأننا نحب الإنسان. ألم نرفع راية النضال ضد هذا العالم البغيض من أجل تحرير الإنسان من جميع أشكال الجور والعادات السيئة، وحماية ما هو إنساني، والدفاع عن الجمال وكل الثروات التي أبدعها الإنسان؟»

بما أن الرئيس يعتبر الثورة بأنها عبارة عن حب الإنسان، فلم يتهاون مع ظاهرة المساس بمصالح الشعب أو إلحاق الضرر بها ولو أبسط تعبير عنها وخاض نضالا مشددا.

أثناء توجيهاته الميدانية كان أكثر ما سره هو الوقت الذي تعرف فيه على كادر يعمل جاهدا من أجل تحسين حياة الشعب، ولكن إذا رأى كوادر نزلوا إلى الوحدات الدنيا ليقذفوا بالشتائم والتوبيخات في وجوه أبناء الشعب،

وجـه لهـم نقـدا صارمـا دون التغاضـي عنهـم ولـو قليـلا.

إن تفكيـره ونشـاطه الرامـي إلـى الحـب الدافـئ للشـعب وصـلا إلـى ذروتهمـا فـي اهتمامـه الخـاص بمعيشـة الشـعب وتوجيهـه الدقيـق لهـا.

كان الرئيـس ربـا لـكل عائـلات البـلاد، أجهـد نفسـه مـن أجـل حـل مسـائل الأكل واللبس والسكن لأبنـاء الشـعب بأسـرهم، حامـلا إياهـا علـى عاتقـه طـوال حياتـه. وإن أكثـر مـا جعلـه قلقـا كان مسـألة نقصـان الطعـام لـدى الشـعب، إذ لـم يكـن بوسـعه التنـازل أو التسـامح قيـد أنملـة أمـام مسـألة نقصـان طعـام الشـعب فيمـا يمكـن تأجيـل حـل مسـألة اللبـس إلـى حـد مـا. وكلمـا تلقـى تقريـرا عـن منغصـات الشـعب لعـدم توفيـر الأطعمـة علـى نحـو طبيعـي، كلمـا جافـاه النـوم لشـدة القلـق.

لعـل ثمـة قلـة قليلـة ممـن يعرفـون حقيقـة أن المسـألة المطروحـة علـى بسـاط البحـث فـي الاجتمـاع التشـاوري للجنـة الشـعبية المؤقتـة لشـمالي كوريـا التـي كان يرأسـها بعـد تحـرر البـلاد كانـت مسـألة عجينـة فـول الصويـا.

الحـق أنـه مـن المسـتحيل ذكـر جميـع القصـص المتعلقـة بحـب الرئيـس لأبنـاء الشـعب، إذ أنـه كـرس نفسـه كليـا مـن أجـل سـعادة الشـعب طـوال حياتـه، بعـد وضعهـا فـي محـور كل تفكيـره ونشـاطه. كان طـول حياتـه هـو حيـاة موسـومة بالحـب الحـار للشـعب والتفانـي مـن أجلـه، معتبـرا إيـاه كالسـماء.

ثقة ثابتة لا تتغير

بما أن الحب الإنساني للرئيس يتجذر في الثقة المطلقة للإنسان فإنه يتصف بأقصى حرارته ومتانته. كانت ثقة الرئيس بالإنسان هي منطلق حبه للشعب، وطابعه الفطري، ومضمونه الأهم، وحجر الأساس الرئيسي الذي جعل تاريخ كوريا الثوري يتألق بتاريخ الحب الإنساني.

استهل الرئيس الثورة حاملا الثقة بالإنسان، وقادها باتخاذ هذه الثقة كقوة محركة لها. يمكن القول إن طول حياته ممهور بثقته بأبناء الشعب والرفاق، فيما صارت هذه الثقة قوة محركة جبارة لإنجاز الثورة، أولاها الرئيس أهمية قصوى، وفلسفة الحياة المجسدة في طول حياته.

كانت الثقة بالإنسان التي حملها كعقيدة فلسفية في الحياة مطلقة وثابتة انعكست عليها الحقيقة العميقة للنضال الثوري وحياة البشر. ثقته الفلسفية هذه تم نشوءها وتطويرها منذ أيام الثورة المناهضة لليابان حيث أعلن حربا ضد الإمبرياليين اليابانيين الغاشمين في حالة لا تختلف عن الأيدي المجردة.

حين انطلق الرئيس على طريق الثورة غير المطروقة حاملا في قلبه رسالة استعادة الوطن، لم يكن هناك أي نوع من الأمل في الانتصار ولا أي رصيد مادي متين، ما عدا أيد مجردة بكل ما في الكلمة.

والشيء الوحيد لديه إنما كان الثقة بالشعب الذي سيكون عمادا روحيا، وتلك الثقة بالإخلاص والواجب الأخلاقي اللامتناهي للرفاق الثوريين، الثقة

بـذكاء وقـوة لا ينضـب معينهـا لجماهيـر الشـعب وحماسـتها الوطنيـة، كانـت وسـيلة وحيـدة لإنجـاز الثـورة اختارهـا الرئيـس.

فـي ظـل ثقتـه، نمـا عـدد لا يحصـى مـن المناضليـن الثورييـن المعروفيـن والمجهوليـن الذيـن أظهـروا روح التضحيـة بالنفـس والإرادة القتاليـة منقطعـة النظيـر فـي النضـال مـن أجـل الوطـن والثـورة والحـزب والشـعب. والأبعـد مـن ذلـك، حتـى أولئـك الذيـن انسـاقوا إلـى معـاداة الثـورة أو قامـوا بـدور الخـدم للعـدو قـد عـادوا إلـى طـرف الثـورة بعـد تأثرهـم التـام بثقتـه الإنسـانية.

وردت فـي المجلـد السـابع لمذكـرات الرئيـس «فـي دوامـة القـرن» قصـة بعنـوان «صيـاد ابـن عـرس».

حدثـت هـذه القصـة أثنـاء قيـام الجيـش الثـوري الشـعبي الكـوري بالتدريـب العسـكري والسياسـي فـي معسـكر ماتانغكـو السـري عـام ١٩٣٧. إن أحـد صيادي ابـن عـرس الـذي سـبق أن قـدم المسـاعدة لجيـش حـرب العصابـات وقع فـي براثن الإمبرياليين اليابانييـن حتـى تحـول إلـى خائـن. علـى الرغـم مـن ظهـور العلائـم الغريبـة مـن هـذا المأجـور فـي بعـض المناسـبات فلـم يبـد الرئيـس وأفـراد جيـش حـرب العصابـات أي تعبيـرات مميـزة، بـل عاملـوه بحفـاوة متعاطفيـن مـع حالتـه التـي يسـد رمقـه فيهـا بصيـد ابـن عـرس. فتـارة أحضـروه لتقديـم وجبـة الأرز لـه مخالفيـن لنظـام المعسـكر السـري الخـاص بمنـع دخـول المدنييـن إليـه آنـذاك، وتـارة أخـرى أجهـدوا أنفسـهم لتنويـره وهـم يصاحبونـه ليتفقـد الوحـدة مثـل جلسـة التسـلية والمحاضـرة العامـة والمناقشـة الدراسـية، بحيـث تأثـر تمامـا مـن الثقـة المطلقـة التـي يغدقهـا عليـه القائـد وجميـع أفـراد جيـش حـرب العصابـات.

ذات يـوم، أمـاط الصيـاد اللثـام عـن وجهـه الحقيقـي بنفسـه فـي فرصـة لقائـه بالقائـد الـذي دعـاه للحديـث. دخـل الصيـاد مـن الخـارج بالفـأس الـذي كان أخفـاه

تحت شجرة البتولا وهو يفشي بكل صراحة بما كلفه الإمبرياليون اليابانيون من مهمة إلحاق الأذى بسلامة مقر القيادة. لقد أطلعه على أنه أخفى الفأس دون تسليمه في حينه، رغم تلقيه الثقة التامة والحفاوة البالغة، ولم يخبر مقر القيادة بما يعلمه جيدا من أن ثمة شخصية يعمل عميلا للعدو يشاركه في العملية السرية ويساعده على أخذ الصلة بجيش حرب العصابات.

ذكر الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته أن هيئة القيادة والوحدة على السواء كادتا تتعرضان للدمار، مضيفا أن الثقة بصياد ابن عرس مكنته من العودة إلى شخصية ذي ضمير أصيل للإنسان بعد التخلص من النية الخبيثة، واستطاع أن يتفادى المصيبة النكراء بفضل هذه الثقة.

لم تقع مثل هذه الحادثة مرة أو مرتين في حياته الثورية، فكلما وقع مثيلها، حول الرئيس العسر إلى يسر والمصيبة إلى بركة باستخدام هذا السلاح، الثقة بالإنسان. اعتاد أن يثق بأن المرء لا يجني شيئا من الريبة، بينما الثقة تجديه نفعا كثيرا بالحق.

كانت ثقته بالإنسان تجد تعبيرا عنها في الاعتناق الحقيقي والائتمان المطلق للرفاق الثوريين وأبناء الشعب وأفراد الجيش.

صب جماع جهوده طوال حياته لإبراز الإنسان كذات فاعلة مقتدرة للتاريخ وصاحب مستقل لمصيره، وهذا ما لم يكن من أجل أي شخص فردي أو جماعة معينة، وإنما لأجل العمال والفلاحين والمثقفين العاملين، حملة المطارق والمناجل والأقلام، وأفراد الجيش الممسكين بالسلاح وأبناء الشعب في جميع أنحاء البلاد.

ربما لا يكثر من يعرفون بالتفصيل سبب انقضاء زمن طويل من سنتين منذ طرح مسألة الهدنة على بساط البحث لأول مرة حتى تحقيقها في الواقع

إبان حرب التحرير الوطنية الماضية.

على الرغم من أن الإمبرياليين الأمريكيين تشدقوا بأنهم قادرون على احتلال كوريا بأكملها خلال ثلاثة أيام منذ بداية الحرب، إلا أن طموحاتهم انقلبت على أعقابها إذ أن الجيش الشعبي قام بتوجيه الهجوم المضاد الحازم ليحقق تحرير أكثر من ٩٠ بالمائة من مساحة أراضي جمهورية كوريا العميلة وأكثر من ٩٢ بالمائة من سكانها خلال مدة لا تزيد على شهر واحد إلا قليلا.

بيد أن الجيش الشعبي اضطر إلى التراجع المؤقت الاستراتيجي لافتقاره إلى الأسلحة، بعد أن ضغط العدو تماما في المنطقة الضيقة من محافظتي كيونغسانغ الشمالية والجنوبية. بيد أن أبناء الشعب والجيش الكوري تغلبوا على هذه المحن القاسية مستمدين القوة من ثقة الرئيس الثابتة بهم.

أنجزوا عمليات المرحلة الثالثة من الحرب بنجاح، بعد إحباط «الهجوم العام لعيد الميلاد» للعدو تماما، حتى طردوا القوات العدوانية الإمبريالية الأمريكية إلى خارج جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية.

بعد فشل هذا الهجوم العام، صرح ماك آرثر «... من المستحيل أن تكسب الولايات المتحدة نصرا في كوريا». لم يمر الوقت إلا سنة واحدة منذ اندلاع الحرب حتى طرحت الولايات المتحدة المذعورة الهدنة فورا.

غير أن الحرب استمرت سنتين منذ ذلك الحين. بالطبع، توجد ثمة بعض الأسباب مثل المحاولة البغيضة للولايات المتحدة التي كانت تسعى لإعداد «الهجوم» الجديد وهي تعمل على تأجيل الوقت وراء ستار الهدنة. يعود أحد الأسباب الرئيسية لمضي وقت طويل حتى تحقيق الهدنة الواقعية إلى مسألة الأسرى.

رأى الرئيس كيم إيل سونغ أن طرح مسألة الهدنة من جانب الولايات المتحدة التي أشعلت نيران الحرب لا يختلف عن اعترافها بالاستسلام. لذا، قدم توجيهات باتخاذ الإجراءات المشددة للتوصل إلى الهدنة من خلال عرض متطلبات جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية عن جدارة.

كانت مسألة الأسرى هي إحدى المسائل الرئيسية الواجب تنفيذها حتما من بينها. منذ أن بدت إمكانية الهدنة في الواقع ظل الرئيس يخوض معركة لا يسمع فيها صوت الرصاص ضد الإمبرياليين الأمريكيين بغية استرجاع الجنود الأسرى على يد العدو.

من الطبيعي أن يكون الأسرى في أي حرب. بموجب النظام المحدد من حيث القانون الدولي لا بد من معاملة أسرى الحرب على مبدأ الإنسانية ولا يجوز استهتارهم وتعذيبهم وقتلهم واستخدامهم كأهداف الاختبار وينبغي استرجاعهم إلى بلادهم دون قيد أو شرط.

ولكن الإمبرياليين الأمريكيين اقترفوا أشرس الأعمال ضد الإنسانية مثل تعذيب وتهديد وترويع الأسرى في فترة حرب التحرير الوطنية الماضية، سعيا وراء تحويل أفكارهم وجعلهم يعادون جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية.

شعر الرئيس كيم إيل سونغ بألم فؤاده أكثر من غيره حول ذلك وبذل جهوده لاسترجاعهم جميعا. اعتبر مسألة تبادل الأسرى وحدها على أنها مسألة لا يمكن التنازل عنها مطلقا، ففي تلك الفترة، اتصل هاتفيا برئيس ممثلي طرف جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية للجنة الهدنة العسكرية أكثر من مائة مرة بقصد حل مسألة تبادل الأسرى.

فيما بعد، قال الرئيس مستذكرا هذه الفترة إن النضال المتعلق بمسألة

تبادل الأسرى دام أكثر من سنة، ولو لا هذه المسألة لتم إبرام اتفاقية الهدنة في وقت أسرع. وكانت الثقة هي التي جعلته يكرس قصارى جهده من أجل استرجاع الأسرى متغلبا على شتى صنوف الآلام والمصاعب في تلك الأيام حيث التهمت نيران الحرب كل جبال الوطن وأنهاره ولا يمضي الوقت إلا بسيل دماء الناس جسدا وروحا.

نظرا لأنه كان يحمل في قلبه الثقة الإنسانية النقية بجنوده ليس بدافع من مجرد الواجب الأخلاقي للقائد في الاعتناء بهم، تلك الثقة الأكيدة بأبناء جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، قد اهتم كل الاهتمام بمسألة تبادل الأسرى. على ذلك حينما عاد بذاكرته إلى تلك الفترة التي بذل فيها جهوده الكبيرة لتحقيق هذه المسألة، قال إنه لم يعمل على استرجاعهم لو لم تكن لديه الثقة بهم.

كان الرئيس يقول إن من يميل إلى الشك في الآخرين دون الثقة بهم هو مستحق بالعيش في جزيرة نائية بوحده، وكلما ظهرت هذه الانحرافات لدى الآخرين قام بتصحيحها في حينها.

أثناء فترة حرب التحرير الوطنية، قال أحد الكوادر في قطاع القوات المسلحة الذي عاد بعد إنجاز مهمته لتفتيش إحدى فرق الجيش الشعبي إن ٨٥ بالمائة من أفرادها هم العناصر السيئة، فوجه الرئيس إليه نقدا قاطعا بقوله إن أخطر شيء هو فعلك وليس أولئك الأفراد، وفي الآونة الأخرى التي ظهرت فيها عيوب الكوادر الذين يعاملون الناس ذوي البيئة العائلية المعقدة بضيق أفق قام بتقويمها عن طريق المحاسبة الصارمة في حينه.

كما رأيناه، كانت ثقته بالإنسان ثقة مطلقة لا تعرف التمييز البتة. بفضل ثقة الأب العظيم الذي يهبها لأي شخص دون التمييز ولا المحدودية، كان

فـي الاسـتطاعة ولادة سياسـة الفضيلـة والكـرم التـي لا يعـرف التاريـخ مثيلهـا، وظهـور الملامـح الجليلـة للوحـدة المتلاحمـة بقلـب واحـد علـى هـذه الأرض.

إن الثقـة بالإنسـان المتجسـدة فـي مجمـل حياتـه كانـت تتسـم بنقاوتهـا ولا تقـوم علـى حسـاب قـط. مـن هنـا أكـد الرئيـس حـول الثقـة بالإنسـان قائـلا علـى الـدوام «إنـه لا يمكـن تزييـف الثقـة».

كانـت ثقتـه بالإنسـان تتميـز بصفـة حقيقيـة ولا تعـرف الحسـبان. نظـرا لكونـه مجسـدا لحـب الإنسـان السـامي لا يقـوم علـى أي حسـاب فـي الثقـة بالنـاس، انطلـق إلـى سـاحة النضـال لحمايـة الإنسـان دون تـردد معرضـا حياتـه للخطـر.

كان مـن عادتـه أن يقـول للنـاس دون تحفـظ إنـه علـى ثقـة فيهـم. عنـد لقائـه سـواء أ كان الرفيـق فـي السـلاح أو العامـل أم الفـلاح أبـدى جليـا موقفـه الحقيقـي تجاههـم قائـلا إنـه يثـق بهـم كل الثقـة. لـذا إن مـن حملـوا ثقتـه هـذه اعتبروهـا كحبـل حياتهـم وكرسـوا كل مـا لديهـم مـن أجـل الحفـاظ عليهـا حتـى لحظـة أخيـرة مـن حياتهـم.

حـدث ذلـك حينمـا طرحـت مسـألة إرسـال عـدد كبيـر مـن التقنييـن إلـى البلـدان الأخـرى للتدريـب أثنـاء حـرب التحريـر الوطنيـة الماضيـة بغيـة تربيـة عامليـن تقنييـن محتاجيـن فـي إعـادة البنـاء والتعميـر بعـد الحـرب تطلعـا إلـى يـوم الانتصـار. آنـذاك قـال الرئيـس لبعـض الكـوادر ضيقـي الصـدر الذيـن يرتابـون فـي منشـأ الموفديـن وسـيرة حياتهـم إن أبنـاء وبنـات العمـال والفلاحيـن الكورييـن لـم يكـن بوسـعهم حتـى الوقـوف أمـام بوابـة المدرسـة لافتقارهـم إلـى النقـد، وإن بعـض الدارسـين كانـوا مـن بنـى الأغنيـاء دون اسـتثناء، فعنـد الجـدال حـول المثقفيـن لبلادنـا لـن يكـون هنـاك شـخص سـليم بهـذه الذريعـة أو تلـك، فإننـي علـى يقيـن بـأن التقنييـن المدرجيـن فـي القائمـة لـن يقومـوا بأعمـال تجسسـية خـلال

فترة التدريب في البلدان الأخرى ولا أعمال مضرة في الوطن أيضا بعد عودتهم، فمن الواجب إرسال قائمة المدربين إلى الجهاز المعني لتلك البلدان مع عريضة ضماني.

بفضل حبه وثقته الحارة هذه، شهدت كوريا تاريخا عظيما لمشاطرة القائد الشعب للمصير مرتبطين بقرابة الدم.

مشاعر المودة الواسعة كالبحر

حينما نتحدث عن محبة الإنسان الحقيقية فهي المساعدة والعون والاعتناء ببذل الروح والمهارة والقوة كليا. ليس الحب مجرد تدفق المشاعر، وإنما التفاني الحقيقي الدافئ والتضحية بالنفس للشخص المحترم الموثوق به.

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا عطوفا أكثر حنانا عامل الناس بمشاعر المودة الرحيبة كالبحر وكرس نفسه في سبيل الشعب طوال حياته.

فمشاعر المودة الدافئة كانت عنصرا هاما يجعل محبته للإنسان أكثر صدقا وإخلاصا.

تكمن الميزة الرئيسية لمحبته السامية للإنسان، المحبة الأبوية، في معاملته للناس والاعتناء بهم وقيادتهم دائما بما يحمله من المشاعر الإنسانية المعطاءة.

يحتل رئيس الدولة مكانة أعلى من حيث ترتيبات الوظيفة. غير أن الرئيس اعتنى بالناس وقادهم بحبه ومودته ومشاعره الأبوية الحنونة وليس بإنزال الأوامر والتوجيهات.

نظرا لدفء عالم مشاعره العاطفية، كان الناس طفلا ورجلا ينسون كل الهموم في أحضانه.

بخصوص العسكريين البارزين وقادة الثورة العظماء، اعتاد الناس أن يتصوروا أولا ملامحهم المهيبة. فكانوا يظنون عموما أن المحيا المفعمة بالعطف غير متلائمة مع شخصيتهم.

التقى المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت بستالين في موسكو في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤١ ، ثم قال عن ميزة ملامحه: «لم أجد فيه أي حركة الجسم غير اللازمة ولا سيماء الوجه غير الطبيعية. بدا لي كأنني أتحدث مع آلة منضبطة معقولة إلى حد الروعة».

اعتبر الناس منذ القدم مشاعر المودة على أنها أكبر الأخلاق الجميلة التي تزين المجتمع الإنساني. لكن مشاعر المودة للرئيس كيم إيل سونغ متسمة برحابتها التي تستولي على أفئدة كل الناس كالبحر.

مشاعره العاطفية المميزة وجدت تعبيرا مركزا عنها في ما يمنحه لأبناء الشعب من الابتسامة الوضاحة البشوشة. إن وجهه المملوء بالابتسامة المشرقة التي تستحوذ على قلوب الناس كان صورة ثابتة دامت طوال ثمانين سنة من حياته.

صورة الرئيس التي انطبعت في أعماق قلوب الشعب الكوري هي صورة الأب الحنون ذي المودة غير المحدودة، صورة تغمره الابتسامة العريضة دوما.

كانت محياه لم تفارقها الابتسامة المشرقة في كل وقت ومكان. إذ أن هذه الابتسامة علت على وجهه دائما سواء أثناء لقائه مع العمال والفلاحين والأطفال والكوادر أم جلسة الحديث مع أفراد الجيش الشعبي والمبرزين

في العمل على طريق توجيهاته الميدانية. أبعد من ذلك حتى أولئك الكوادر أو الأشخاص الذين يشعرون بالضيق والأسف أمامه دون أن يعرفوا ماذا يفعلون، لأنهم سببوا له القلق بارتكابهم العيوب، قد عاملهم الرئيس بوجهه البشوش مصححا أخطاءهم واحدا واحدا. أثناء الاجتماعات والأحاديث الرسمية وعلى منصات الفعاليات الحزبية والحكومية كان وجهه مرسوما بالابتسامة الوضاحة دائما.

ابتسامته المشرقة هذه التي تسر وتريح قلوب جميع الناس لم تكن سوى تعبير عن مشاعر الحب الصادقة والمودة الدافئة. بما أن الرئيس كان يمتلك مشاعر المودة هذه التي لا نظير لها لم تتغير أساريره المفعمة بالابتسامة أبدا رغم أنه اجتاز مختلف أنواع محن ومصاعب التاريخ والآلام الممضة بدافع من الإرادة التي تفوق طاقة البشر.

يتمثل أريج الرجل العظيم المتميز للرئيس كيم إيل سونغ في أنه يعتني بالجنود الثوريين اعتناء يفوق لما لدى الأب الحقيقي ويصب لهم جل المحبة الدافئة وعلى محياه الابتسامة الوضاحة.

إن من سنحت له فرصة زيارة بيونغ يانغ ومقابلة الرئيس كيم إيل سونغ لأول مرة بصفته سياسيا أمريكيا بعد الحرب الكورية هو رئيس اللجنة المصغرة لآسيا والمحيط الهادئ التابعة للجنة الشؤون الدبلوماسية لمجلس النواب الأمريكي.

تم إعلان محضر تلك المحادثات بعد عشرين سنة منذ ذلك الحين. في المؤتمر الصحفي الذي عقد في عام ١٩٨٠ بعد إعلانه، فتح هذا الشخص قلبه بصراحة ردا على سؤال الصحفيين عن انطباعه في لقائه بالرئيس كيم إيل سونغ وهو يقول: «آنذاك، تبادلت الحديث مع

الرئيس كيم إيل سونغ خلال أربع ساعات تقريبا حيث تحدث بوجه مبتسم طول الوقت فضلا عن خلقه النادر والليين مما ترك في نفسي انطباعا بأنه ذو القلب الطيب».

يمكن القول إن تصريحه هذا اعتراف قلبي لشيم الرئيس الفريدة التي يعامل بها أبناء شعبه المحبوبين وحتى الأجانب معاملة الشهامة والتسامح وعلى وجهه الابتسامة المشرقة الفائضة بالمحبة الإنسانية.

أبعد من ذلك، حتى أولئك الذين يعملون عبثا في الوراء لابسين الأقنعة في الأمام، كان يعاملهم الرئيس في الأغلبية بكرامة وابتسامة سخية وهو على علم تام بوجوههم الحقيقية، ويعطيهم فرصة الاعتراف بالذنب وسلوك الطريق الجديد بدلا من توبيخهم.

حينما يعامل الشعب كانت صورته مشرقة دوما بينما تقدح عيناه شررا وترتعش فرائصه غضبا أمام العدو.

والحقيقة المعروفة واسعا أن السيد هونغ ميونغ هوي الذي كانت تحبه الأمة الكورية كعلامة شهيرة في تلك الفترة حيث عانى عامة البلاد من السخط وآلام المستعمرين المحرومين من الوطن تلقى ذات يوم بعد تحرر البلاد سؤال ابنه عما هي شخصية القائد كيم إيل سونغ، وهل هو كفيل بأن يتولى مصير عائلتنا وقال إنه قد تعجب كليا بابتسامة القائد الوضاحة.

لم يكن ذلك سوى صوت الرجل الذي أتيح له اللقاء بالقائد واستقبل مناسبة الانعطاف لحياته بل كان تعبيرا عن مشاعر الشعب الكوري وكثير من أناس العالم المتعجبين لصورته الباسمة المشرقة دوما.

حينما زار الرئيس يوغوسلافيا السابقة في حزيران/ يونيو عام ١٩٨٤، اعترف أحد مراسلي التصوير لهذا البلد بعيبه لعدم تصوير اللحظة التاريخية

لترجل الرئيس من القطار وعلى وجهه الابتسامة العريضة قائلا ما يلي:

«كانت ابتسامته رائعة للغاية بفتنتها وحنانها. لن يكون ثمة على كرة الأرض مصور قادر على إعادة نقل ابتسامته كما هو عليها دون شائبة، تلك الابتسامة الموحية برحابة الصدر والشهامة الواسعة كالبحر والجاذبية العظيمة ومشاعر العطف السامية.»

لا ضير أنه قد نسي تماما رسالته كالصحفي إذ افتتن كليا بتلك الابتسامة الوضاحة المرسومة على محيا الرئيس.

إذا كان الشعب الكوري انتحبوا بمرارة دون انقطاع في ساعة تشييعه الأخير في تموز/ يوليو عام ١٩٩٤، فذلك لأنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحنين العارم المتدفق من أعماق قلوبهم لحظة رؤيتهم الصورة الباسمة للرئيس الذي كان يعتني بهم ويحبهم بكل عناية.

ابتسامة الإنسان هي بالذات التعبير الأكثر عموما ووضوحا للمشاعر والمودة المكتسبة في الحياة مثل السرور والرضا والمرح وغيرها. بهذا المعنى يمكن القول إن الابتسامة عبارة عن المشاعر الأكثر صدقا للإنسان.

صورة الرئيس المستوطنة في قلوب جميع أفراد الشعب الكوري الذين تمتعوا بحياتهم في أحضانه كانت صورة الأب المبتسم ابتسامة الرضا والفرح العريضة. هذا هو ما يعرفه الشعب الكوري جيدا وكذلك جميع ناس العالم أيضا.

إذا كان الرئيس يتميز بمعاملته الدافئة لأبناء الشعب والأطفال والأصدقاء الأجانب مع ابتسامته المشرقة، فلعل هناك عدد قليل من الناس يعرفون ما دار في خلد الرئيس المتميز بكثرة الدموع.

لـم يعـش الرئيـس حياتـه لثمانيـن سـنة كلهـا فـي سـرور ورضـا، وبهجـة وابتسـامة فقـط مطلقـا، بـل عاشـها مـع الدمـوع الأكثـر مـن البسـمة حامـلا فـي طيـات قلبـه آلام الخسـائر الأكثـر وجعـا مـن الآخريـن.

لقـد عانـى مـن الألـم والشـقاء فـوق مـا يحتمـل الإنسـان ولـم يكـن يمضـي يـوم بالـكاد دون أن يبتـل قلبـه بالدمـوع السـائلة لمـا تكبـده مـن الـكأداء التـي لـم يذقهـا أحـد.

علـى الرغـم مـن كونـه القائـد اللامـع فـولاذي الإرادة والمظفـر دائمـا وأقـدم الأقطـاب علـى حلبـة السياسـة الدوليـة إلا أنـه كان يعيـش حياتـه بالقلـب الأكثـر ألمـا والعيـن الأكثـر دموعـا مـن الآخريـن لأنـه كان يحمـل المحبـة والمشـاعر الحـارة والرحبـة للإنسـان.

إذا كانـت المشـاعر الإنسـانية هـي الحـب الأكثـر صدقـا وحـرارة بيـن شـتى أشـكال المشـاعر الفكريـة للإنسـان، فالدمـوع المشـربة بالصـدق هـي نـوع مـن أكبـر التعابيـر الصريحـة للمشـاعر الإنسـانية.

كان الرئيـس كيـم إيـل سـونغ المتميـز بالمشـاعر اللطيفـة والدمـوع الغزيـرة يحمـل رؤيـة فريـدة تفيـد بـأن المـرء لا يمكـن أن يصيـر بطـلا حقيقيـا إلا حينمـا يعـرف الدمـوع.

فـي حديثـه مـع مسـؤولي الحـزب والدولـة والجيـش فـي يـوم الثانـي مـن كانون الثانـي/ ينايـر عـام ١٩٨٨، ويومـي الثامـن مـن حزيـران/ يونيـو والسـادس مـن تشـرين الثانـي/ نوفمبـر عـام ١٩٨٩ ، قـال الرئيـس كيـم إيـل سـونغ كمـا يلـي:

«مـن الجيـد أن يكـون الإنسـان كثيـر الدمـوع. شـخص بـارد وصلـد القلـب لا يـذرف قطـرة واحـدة مـن الدمـوع حتـى وإن كان مجبـرا علـى البـكاء. إن البطـل الحقيقـي هـو مـن يعـرف الدمـوع» .

لقد ذرف الرئيس كثيرا من الدموع طوال حياته، لأنه يتحلى بالحب للشعب والمودة للرفاق الثوريين. إن الوقت الذي ذرف الرئيس دموعا أكثر ألما وكآبة هو حينما فقد رفاقه الثوريين الأعزاء.

كلما تلقى الخبر المأسوي عن استشهاد رفاقه لم يتمالك سيل الدموع المنهمرة، بينما لا يجد جرح قلبه السبيل إلى الالتئام أبدا.

كلما فارق رفاقه الدنيا دون أن يروا يوم تحرر الوطن إبان الحرب المناهضة لليابان، أمضه الحزن وتفطر فؤاده ألما فنسى الأكل والنوم شاعرا بكل جوارحه بالآلام والوجع المبرح وكتب بنفسه كلمة التأبين ودفن رفات الشهداء والدموع تنهمربغزارة من عينيه.

حدث ذلك حينما سمع التقرير عن استشهاد مبعوث الكومنترن على رصاص العدو هو الذي لم يمض الوقت إلا عشرة أيام فقط منذ تعرفه عليه، أقفل الرئيس الباب من الداخل وبقي في سحابة النهار على ذكرى الراحل والدموع تسيل مدرارا من خديه. وعقب التحرير، كلما توفي الرفاق الثوريون مثل كيم تشايك، وآن كيل، وباك دال، والوطنيون مثل هو هون، وهونغ ميونغ هوي، كان يحس بوخز الآلام المسببة من فقدانهم بما لا يوصف وهو يذرف الدموع بغزارة.

ليس ذلك بالنسبة للكوادر فقط. كلما جاءه الخبر بوفاة الأناس العاديين المعروفين له لم يتمكن من تجاوز مشاعر اليأس والحزن المتدفقة والدموع تنهمر من مآقيه.

أثناء الحرب، فوجئ بوفاة سائقه بشلل القلب ممسكا بمقود السيارة، ولم يكن بوسعه تعليل النفس من شدة الحزن وقام بنفسه بتنظيم جنازته وتحديد مكان قبره وهو يذرف الدموع. عقب الجنازة أجل وقت المغادرة قائلا إنه

ينبغي إقامة يوم واحد معه مهما كانت المشاغل الكثيرة والدموع تنهمر في عينيه طول النهار دون تناول الطعام.

لشدة ألم فؤاده من استشهاد الجنود الثوريين، عد خسائر الأرواح معيارا رئيسيا يقرر النصر والهزيمة في المعركة ضد العدو، إلى جانب نتيجة القتال.

وذات يوم من حرب التحرير الوطنية التي كانت في معمعانها، وجه الرئيس نقدا صارما لبعض الضباط العسكريين الذين عملوا على إدخال «تكتيك الحركة» المزعوم وأمثاله بخلاف خطة حزب العمل الكوري لخوض القتال في الأنفاق، مما سبب فقدانا لا يقل من الجنود، آنذاك ندد بهم قائلا: «إن قتال العدو الذي أسفر عن خسائرنا الروحية الكثيرة ليس قتالا منتصرا».

وأكد بنبرة قوية على أننا ننبذ أسلوب تفكير العسكريين البرجوازيين الذين يشربون نخب النصر بغض النظر عن هول خسائر البشر، معتبرين جماهير الجنود على أنها مجرد وسيلة الحرب.

إذا عدنا بذاكرتنا إلى تاريخ الحروب العالمية فنجد أن ثمة عددا كبيرا من الأمثلة لإطلاق هتافات النصر بعد نصب علم النصر في الحرب على كومة الجثث. أثناء معركة الهجوم على ميناء ليوشون التي شنها الإمبرياليون اليابانيون في أوائل القرن العشرين، تبجحوا بأنهم كسبوا نصرا عظيما بالاستيلاء عليه خلال سبعة أشهر حيث تم زج أكثر من ١٣٠ ألف نسمة من قواتهم التي ذهب أكثر من ١١٠ ألف نسمة منها كضحايا علما بأن هذا الميناء كان يدافع عنه أكثر من ٥١ ألف نسمة من الجنود.

وفي فترة الحرب العالمية الثانية، كانت القوات الأمريكية والبريطانية

أعلنت أن عمليات الإنزال إلى نورماندیا بفرنسا هي «نموذج» عمليات الإنزال الحديثة رغم أنها قد فقدت أكثر من ١٢٢ ألف نسمة من قواتها، بينما صار ماك آرثر يرتقي إلى «جنرال ذي خمسة نجوم» معدود على الأصابع في القوات العدوانية الأمريكية في أعقاب عملية الإنزال إلى جزيرة إيأو اليابانية التي لا تزيد مساحتها عن ٢٠,٣ كيلومتر مربع، على الرغم من أنه فقد كثيرا من القوات المسلحة.

أثناء النضال المسلح المناهض لليابان الذي قاده الرئيس بممارسة تكتيك حرب العصابات البارعة، كان يحقق النصر دون التعرض للخسائر الروحية بالكاد، ولكن، إذا استشهد بعض جنوده الثوريين، لم يستطع كبح سيل الدموع من عينيه. وفي فترة حرب التحرير الوطنية، لم يعترف الرئيس بالنصر في المعركة التي حصلت كثيرا من خسائر القوام.

بما أن الرئيس كان مجسد المحبة والمودة الدافئة، كان يمقت من يفتقر إلى الشعور الإنساني أكثر من غيره.

كما أن المشاعر الإنسانية للرئيس كانت صادقة وراسخة إلى أبعد الحدود دون أن تتغير للأبد مهما طال الزمن.

ذات يوم بعد التحرير، زاره الشاعر جو كي تشون الكاتب للملحمة الطويلة «جبل بايكدو». استمع الرئيس إلى تلاوة شعر الكاتب بكونه أول مستمع له.

كان الشعر يحتوي على كثير من الفقرات التي تلامس شغف أفئدة الناس، وما أثره تأثيرا بالغا من بينها هو الفقرة التي تعبر عن المشاعر المؤلمة التي يحس بها بطله حين أهال التراب على رفات يونغ نام الحبيب المستشهد بالرصاص المعادي. كان جزء من تلك الفقرة كما يلي:

...

يا حطاب هذه الجبال الشماء!

لتقطع جذوع الأشجار هنا بحذر...

فهي تصون في الغابة أرواح

المقاتلين الشهداء من أجل الوطن!

يا جوال هذه الجبال الشماء !

لا تمس الحجارة عند الطريق الجبلي...

فمن يدري، لربما كانت تحتها

عظام المقاتلين الشهداء من أجل الشعب!

...

ريثما استمع الرئيس إلى أبيات الشعر، كانت عيناه مغرورقة بالدموع لعجزه عن كبح مشاعر التأثر المتدفقة، إذ أن الشوق العارم إلى رفاقه في السلاح جعله يتذكر بألم المستشهدين المعروفين والمجهولين الذين فارقوا الدنيا دون نصب شواهد على قبورهم ولا دفنهم كما يجب. إن المشاعر الإنسانية الصادقة المستوطنة في أعماق قلبه لم تبرد وتفتر رغم مرور الزمان.

بما أنه كان يجسد المشاعر الإنسانية الفريدة التي يفتتن بها جميع الناس للوهلة الأولى، فقد عاش مدى الحياة متمتعا بتأييد الناس المطلق وثقتهم الحارة.

تجتاز مشاعر المودة الإنسانية الصادقة أي جدار عال.

إن الأشخاص الذين أيدوا ودعموا الرئيس كيم إيل سونغ بعد افتتانهم بمشاعره الإنسانية السامية لم ينحصروا على الثوريين وأبناء الشعب الكوريين

فحسب، بل إن عددا كبيرا من القوميين المتعنتين وذوي الضمير النقي من الرأسماليين القوميين والملاك العقاريين الوطنيين والشخصيات من الفئة العليا في الأوساط الدينية أيضا أيدوه ودعموه في أيام نضاله المناهض لليابان رغم أنه كان شابا ناهز عمره عشرين سنة. وبعد تحرر البلاد مباشرة أيضا، كان أولئك الأشخاص الذين يدعون بأنهم زعماء بعد أن ظهروا هنا وهناك يضطرون إلى إحناء رؤوسهم أمام شهامة الرئيس ومشاعر مودته الإنسانية.

ليس من باب الصدفة أن ذكر الباحث الأعلى في أحد الصناديق المالية الأمريكية للسلام الدولي ما قاله الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر «إني تأثرت جدا من الرئيس كيم إيل سونغ»، و«إني أحترم الرئيس كيم إيل سونغ كقائد سياسي»، مشيرا إلى أنه «إذا وجب علي أن أقدر الرئيس كيم إيل سونغ، فإني أود أن أقول إنه رجل ذو مودة إنسانية دافئة».

إذا كان ناس العالم يحسون كرجل واحد بالدفء منه ويطرقون رؤوسهم أمامه، فضلا عن الكوريين، فإنما يكمن السبب في ذلك فيما يتجسد به من المشاعر الإنسانية الخارقة التي تهز أوتار قلوب الناس أكثر من فكره وقيادته البارزة. إن شخصيته الفاتنة التي تتمثل في السيطرة على قلوب الناس بالمشاعر الإنسانية السامية قبل تحريكهم بفكره وقيادته الجذابة قد جعلت عددا غفيرا من الناس المعجبين به يتجمعون حوله مشكلين وحدة متآلفة متجانسة.

بما أنه رجل يبتسم ويذرف الدموع بسبب المشاعر الإنسانية، ويعتني ويراعي بحياة أبناء الشعب بمشاعر المودة الدافئة لا ينساه الناس في العالم فضلا عن الشعب الكوري.

نداء الشعب – «أبونا»

عاش الرئيس كيم إيل سونغ عاش حياته كلها في تواضع تام. بما أنه اعتبر نفسه ابنا للشعب وخادما له، ظل يرفض مدح الشعب به ولم يسمح مرة بأي سعي وتصرف لإبرازه.

غير أن ثمة النداء الذي تقدم به الشعب إليه، وقبل بدوره في منتهى الرضا وباختيار ذاته أثناء حياته، وذلك كانت التسمية «أبونا». هذه الكلمة مصطلح يستعمله المرء لمن يرزقه.

في تموز/ يوليو عام ١٩٨٥، قال الرئيس أثناء حديثه مع وفد حزب الشيوعيين السويديين اليساري كما يلي: «... إن كوادرنا يسمونني أبا لهم. أنا لا أعارض هذه التسمية».

خلال حديثه هذا اليوم، شرح لهم بالتفصيل عما حققتها في جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية من النجاحات والتجارب في النضال الثوري والأعمال البنائية. فيما يقول حول التجارب المكتسبة في حل مسألة الكوادر في البلاد، ذكر لهم قائلا بنبرة تنم عن العزة إن كوادرنا للحزب والدولة، المشاركين في هذه الجلسة هم الآخرون ممن ربيتهم بشكل منهجي، لذا، فإن كوادرنا يسمونني أبا لهم.

وأنا لا أعارض هذه التسمية، بل أقول لهم دائما إن واجبهم هو أن يكونوا مخلصين للبلاد والشعب وثوريين ثابتين مطيعين لأبيهم.

كلمة «أبونا»، هذه هي تسمية قبلها الرئيس بصورة أكثر رضا، ويعتز

بهـا بالـغ الاعتـزاز والفخـر مـن بيـن آيـات الاحتـرام ونـداءات الإنشـاد الكثيـرة التـي تقـدم بهـا الرفـاق الثوريـون وأبنـاء الشـعب إليـه منـذ الفتـرة الأولـى مـن نشـاطاته الثوريـة.

رغـم أنـه كان رئيسـا لجمهوريـة كوريـا الديمقراطيـة الشـعبية وأمينـا عامـا للجنـة المركزيـة لحـزب العمـل الكـوري، ويحـوز علـى كثيـر مـن ألقـاب الشـرف علـى الصعيـد الدولـي، إلا أنـه اعتبـر تسـمية الشـعب لـه بـالأب أكثـر عـزة وفخـرا مـن أي مناصبـه الرسـمية.

إن مفهـوم الأب الـذي يرمـز إلـى مـن أنجـب المـرء ورباه صـار يسـتعمل كمعنـى جديـد تمامـا يعكـس رابطـة الـدم بيـن الرئيـس والشـعب الكـوري. شـعر الشـعب الكـوري قاطبـة مـن تسـمية الاحتـرام هـذه بمـودة أكثـر مـن نظيراتهـا الأخـرى العديـدة ومـا زالـوا يحبـون اسـتعمالها. وبـدوره أحـب الرئيـس كلمـة الأب حبـا أكثـر مـن الألقـاب الرسـمية مثـل رئيـس جمهوريـة كوريـا الديمقراطيـة الشـعبية أو الأميـن العـام للجنـة المركزيـة لحـزب العمـل الكـوري طـوال حياتـه.

إذا كان الكـوادر وأبنـاء الشـعب الكـوري طـوروا اسـتعمال مفهـوم الأب المتجمـد عبـر تاريـخ البشـر للغـرض الآخـر الـذي هـو تبجيـل رئيسـهم بإكبـار، فيمـا لـم يرفضـه الرئيـس مـن جانبـه، فـإن السـبب فـي ذلـك يعـود إلـى أن تسـمية «أبـو الشـعب» هـذه كانـت تعبيـرا عـن المشـاعر المتدفقـة مـن أعمـاق قلـوب الشـعب الكـوري الـذي ظـل يتمتـع بمحبـة عظيمـة فـي كنـف الرئيـس، محبـة لا يمكـن تلقيهـا حتـى مـن الوالديـن الحقيقييـن، وكان الرئيـس يعتبـر عيشـه بكونـه أبـا للشـعب بأنـه أمنيـة كبيـرة لحياتـه.

مـن الطبيعـي أن لـكل فـرد أبـاه وأمـه أنجبـاه وربيـاه. إن أبنـاء الشـعب الكـوري جميعـا قـد بجلـوا ودعمـوا الرئيـس كيـم إيـل سـونغ بـكل صـدق

وإخلاص باعتباره ممثل والديهم.

بالنسبة للشعب الكوري كان الرئيس أبا عطوفا يستندون إليه استنادا تاما وأما ذات المشاعر الحنونة والدقيقة، قبل أن يكون قائدا أعلى للحزب والدولة. إن ما يتميز به حبه لأبناء الشعب هو العمق والعرض غير المتناهيين اللذين يتجاوزان مدى الحب لوالديهم. جعل الرئيس نفسه طوال حياته بمثابة درع يحمي سلامة أبناء الشعب وبستاني يعتني بحديقة سعادتهم.

نظرا لأنه كان يتحلى بالحب الحار للشعب قد واصل زيارته للمصانع والمزارع ووحدات الجيش حيث اعتنى اعتناء دافئا بمعيشة أبناء الشعب والجنود مدفوعا بقلب أبوي حقيقي غير آبه بالندى البارد والأمطار والثلوج.

كما بذل كل ما له من الجهود من أجل حل مسألة الأكل واللبس والسكن لأبناء الشعب على مدى حياته.

نما الرئيس مختبرا منذ سنواته المبكرة بؤس الأمة الكورية الواقعة في غمار الهلاك. بعد ولادته في العائلة الفلاحية النموذجية في كوريا، التي كانت ترزح تحت الفقر المدقع والصعوبة المعيشية، قضى أيام طفولته محسا بكل جوارحه بمآسي الأمة المحرومة من الوطن. جعله الفقر يعاني ما يكفي من الجوع دون لبس الثياب والحذاء السليمة.

كلما اشتهى تناول اللحم تمنى لو يصاب بالورم، وعندما حصل على حذاء نادرا ما لم يلبسه إلا في المدرسة وبقي حافي القدمين حاملا إياه في يده أثناء الذهاب والعودة منها. إن البيت المسقوف بالقش في مانكيونغداي الذي زوره الناس اليوم كان في الأصل بيت حارس المقبرة حيث لم تكن ممتلكات عائلته الكبيرة إلا بضعة أوان مثل الجرة المشوهة وأدوات الزراعة.

كان جميع أفراد عائلة مانكيونغداي يتناولون حساء المكنس المغلي مع

قشوره، ولم يسعها تعليق ساعة الحائط إلا بعد تحرر البلاد رغم شدة الرغبة فيها. قد ولد ونما الرئيس في هذه العائلة التي هي من أكثر العائلات الكورية فقرا أثناء الحكم الاستعماري.

كان الرئيس أدرى من غيره بما هو الحزن الآتي من الجوع ومدى ألم الفقر الذي لا يمكن فيه لبس الثياب والحذاء كما ينبغي. زد على ذلك، لقد اختبر حتى نخاع عظامه حالة عدم الإمكانية لتلقي العلاج والتعلم مهما كانت الرغبة فيهما.

لم ينس الرئيس ولو مرة تلك المشاعر المكتسبة في الحالة الصعبة لحرمان الوطن على مدى حياته لثمانين سنة. لذا وضع هدفا رئيسيا للاشتراكية هو جعل أبناء الشعب يعيشون في البيوت المسقوفة بالقرميد، مع ارتداء الملابس الطيبة، على أكل المرق من اللحم بالأرز الأبيض المطبوخ وبذل قصارى جهده لتحقيقه طوال حياته.

في الماضي لم يكن بوسع أبناء الشعب الكوري توفير ولو طبق واحد من الأرز الأبيض حتى لتحضير مائدة الطقوس لذكرى الأجداد، فوضعوا في أسفل الإناء الحبوب غير الأرزية مثل الذرة على أن يوضع فوقها بعض الملاعق من الأرز الأبيض.

لقد بذل الرئيس كل جهوده كي لا يعاني الشعب الكوري المحبوب وأجيالهم الصاعدة مرة أخرى من تلك المآسي المؤلمة التي لامسها عند طفولته من عدم إمكانية تناول الأرز الأبيض. لم يتوقف تفكيره وشغله لتوفير الأطعمة الجيدة للشعب حتى الشبع ولو لحظة واحدة أثناء حياته الثورية العظيمة.

نظرا لعظمة جهوده المبذولة من أجل توفير الأطعمة الحسنة للشعب، حدث ذات مرة أن قدم له رئيس إحدى البلدان المواد الصالحة لاستعمالها

في الحياة الشعبية هدية بمناسبة ميلاده وليس برقية التهنئة أو الهدايا الثمينة.

حدث الأمر التالي في مساء يوم الرابع عشر قبل يوم واحد من عيد ميلاد الرئيس الموافق بيوم الخامس عشر من نيسان/ أبريل عام ١٩٥٢ حيث كان دوي مدافع الحرب يصك الآذان. لشدة صعوبة وضع البلاد، بقي الكوادر قلقين كثيرا على عدم إمكانيتهم من الاحتفال الكبير بالذكرى الأربعين لميلاد الرئيس.

حينما كان الوقت الساعة الثالثة والعشرين، زاره كادر في سفارة الاتحاد السوفييتي السابق وأخبره بوصول البرقية المرسلة من ستالين، وفيما يلي مضمونه:

«إلى الرفيق كيم إيل سونغ،

بيونغ يانغ

إليكم التحية،

صرت أعرف حقيقة أن الشعب الكوري في حاجة إلى الحبوب الغذائية. وفرنا ٥٠ ألف طن من دقيق القمح في سيبيريا، ونحن على استعداد لإرساله إلى الشعب الكوري هدية منا. فتفضلوا بإرسال موافقتكم بالبرقية. سنرسله حالا حسب رأيكم.

إي. ف. ستالين

١٤ نيسان/ أبريل ١٩٥٢»

لما أخذ الرئيس تلك البرقية لم يتمالك نفسه من السرور وهو يقول ما أحسن إرسال الهدية هكذا بدقيق القمح بدلا من عدة البرقيات. آنذاك كانت ظروف الحبوب للبلاد في غاية الصعوبة. فكيف لا يعتلج قلبه بهجة لخبر

تلقي هدية دقيق القمح لإطعامه لدى الجنود وأبناء الشعب.

اغرورقت عيون الكوادر بالدموع وهم يحسون مرة ثانية بحبه للشعب غير المحدود، هو الذي يعتبر الهدية الخليقة بتوفير الأطعمة الجيدة للجنود وأبناء الشعب أكثر سرورا من أي برقية التهنئة والأشياء النادرة.

بما أن ستالين كان على علم جيد بمكنونه الذي يصبو إلى توفير الأطعمة والملابس والأحذية الطيبة لأبناء الشعب، حينما التقى الكوادر الكوريين فيما بعد، قال إنه اعتقد بأن الرفيق كيم إيل سونغ سيشعر بسرور أكبر عند تلقيه دقيق القمح في يوم ميلاده بدلا من برقية التهنئة، فحرص على شحن دقيق القمح في العربة ووصوله في يوم الخامس عشر من نيسان/ أبريل.

وأثناء فترة الحرب حامية الوطيس حيث يدوى أزيز القنابل والرصاصات، حرص الرئيس على بناء حظيرة الدجاج والمزرعة السمكية قرب مقر القيادة العليا ليربي فيها بنفسه ٣٠٠ دجاج و١٠٠٠ من السلمون المرقط، وزرع مختلف أنواع الخضار في الحقل وهو يضع الآفاق المشرقة لتربية الدواجن والمواشي وزراعة الخضروات بدافع من شدة رغبته في توفير المأكولات الأكثر جودة للشعب.

حرص الرئيس على إنتاج اللحم والبيض على قدم وساق، وإذا دعت الحاجة قام بإرسال طائرة إلى البلدان الأخرى بغية استيراد سلالات الحيوانات الممتازة حتى في منتصف الحرب. في هذا السياق تم تشييد مزرعة كوانغبو الآلية للبط الواقعة في قضاء زونغبيونغ بمحافظة هامكيونغ الجنوبية أثناء الحرب بكونها مركزا لتربية الطيور الداجنة في كوريا.

لم يرتاح له البال بشأن الأعمال الزراعية وهو يواصل سلوك دروب الحقول الوعرة والبعيدة حتى اللحظة الأخيرة من حياته الجليلة حاملا في طيات قلبه الأمنية العارمة لتوفير الأطعمة الطيبة على مائدة الشعب. خير

مثال لمدى اهتمامه بمسألة أكل الشعب هو حقيقة أن قابل ذات مرة الأطفال المارة الذين أوقفهم وعاين علب غذائهم ليراها مملوءة بالأرز الأبيض، الأمر الذي أرضاه كل الرضا فضحك ضحكات جهيرة لوقت طويل.

لقد قال الرئيس إنه حبذا لو يكون مستشارا يشرف على الزراعة بعد الاستقالة من منصب رئيس الدولة إذا كان ذلك سبيلا لحسن الزراعة وإشباع الشعب بتوفير الحبوب الغذائية الكافية له، فإن قوله هذا المتشرب بمشاعره الدافئة يمكن من تخمين مدى الدفء والقيمة الحقيقية لحب الشعب.

لفرط انشغال باله بمسألة الأطعمة للشعب حدث أن قام الرئيس ذات مرة بتأجيل لقائه بالوفد الأجنبي المدرج في جدول الأعمال الخارجية ليوجه الشؤون الخاصة بتربية الطيور الداجنة.

وفي يوم السادس من أيار/ مايو عام ١٩٩٣، حصل أمر سره سرورا كبيرا بتقرير رفعه أحد الكوادر الذي عاد بعد الاطلاع على حال مزرعة سوبو الآلية للدجاج، إذ سمع منه الخبر بأن ٥٦ رأسا من ديدان الأرض التي أرسلها القائد كيم جونغ إيل في حزيران/ يونيو عام ١٩٧٨ تنمو نموا جيدا بعد تكاثرها العظيم.

لشدة سروره من الخبر، توجه في اليوم التالي إلى المزرعة المذكورة حيث تأمل صندوق الديدان الموضوع خارج مكان التربية وطالب بإحضار رفش اليد لعدم رؤيته الديدان. حدس أحد الكوادر قصد الرئيس فأسرع إلى إحضار رفش اليد الذي نبش به نبشات في مختلف أماكن الصندوق. كلما تحركت يده ظهرت في العيان الديدان الحمراء ملوية أجسامها السمينة.

علت على محياه إمارات البهجة وهو يقول «حسن، حسن جدا». ثم دعا الجميع إلى دخول مرتع تربية الديدان موجها خطوته إليه.

لحظتئذ وقع الكوادر في حيرة، إذ أن الرائحة داخل المرتع كانت كريهة جدا لأن تربية الديدان كانت تجري حيث يخلط روث الحيوانات الداجنة مثل الدجاج والبقر بقش الذرة.

أمام دعوتهم لامتناعه عن دخول المرتع، نظر إليهم سائلا عما إذا كان ذلك بسبب الرائحة الكريهة. بعد سماع جوابهم بالإيجاب قال لهم: «لا مشكلة من سوء الرائحة بعض الشيء. من غير المنطقي أن نعود أدراجنا مكتفين بالوقوف على ساحة مزرعة الدجاج الآلية دون الدخول إلى مرتع تربية الديدان، أليس كذلك؟ لا بأس، هيا نذهب». وبادر إلى دخوله في المقدمة.

كما قالوا له، كان المرتع عابقا بالهواء السيئ ورائحة عفن الروث.

لكن الرئيس دخله وطلب نبش الأرض بإحضار رفش اليد كما جرى قبل قليل. فيما يرى مشهد الديدان السمينة الملتوية بعضا لبعض لوقت طويل، لم تفارق وجهه ابتسامة الرضى الكبير.

ثم تفقد الرئيس حتى كن الدجاج العابق بالرائحة والهواء الكريهين حيث اطلع على حالة نمو الدجاج ووضع البيض، وبعده، وجه الاجتماع التشاوري لمسؤولي قطاع تربية الطيور الداجنة في المكتب البسيط بالمصنع بعد تأجيل حتى اللقاء مع الوفد الأجنبي المدرج في جدول العمل التالي.

بالنسبة إليه لم يكن مشكلة سوء الطقس ووعورة الطريق إلى عين المكان للتوجيه على الإطلاق. رغم أنه كان ثمة مرات عديدة لوقوعه في التعب المفرط وتجاوز وقت الوجبة إلا أن كل ذلك لم يكن مشكلة البتة. المسألة الوحيدة التي كرس الرئيس نفسه من أجلها هي كانت كيفية توفير الأطعمة الجيدة لأبناء الشعب. امتدت خطواته الممهورة بالحب من أجل مسألة أكل الشعب باطراد من المصانع إلى الأرياف، ومن المدن إلى

المناطق المحلية، فمن المدارس إلى وحدات الجيش.

وعند زيارته للمصنع حينا عرج أولا على مطعم المسكن الجماعي للعمال قبل اطلاعه على حالة الإنتاج، وعند توجهه للأرياف حينا آخر، يفتح حتى مخزن الأرز وخزانة السفرة في مطبخ البيت وهو يحدس كمية المأكولات ويجرب مذاقها، وأصبح ذلك عادة له على طريق التوجيهات الميدانية المستمرة لم تتغير ولو مرة حيثما كان طوال حياته.

ولهذا السبب إن الصور المتعلقة بالآثار التاريخية لتوجيهاته الميدانية لكل أرجاء البلاد حيث يعمل ويسكن الشعب تحتل النسبة الكبيرة منها صوره في المطاعم والمطابخ وأمكنة لصنع المأكولات الثانوية وغيرها التي يستعملها أبناء الشعب بما لا يقل عددها عن صوره لإلقاء الكلمات والحديث في الاجتماعات.

لم تنحصر الأماكن التي ترتبط بيد حبه المعطاء للشعب على ما يتعلق بمسألة الأكل فقط، بل ولم تكن كل الاحتياجات الحياتية اليومية مثل الملابس والأحذية للشعب خارج نطاق اهتمامه حتى أتفه موضوعاتها.

أثناء فترة الحرب العسيرة المناهضة لليابان قد بذل جهوده الكبيرة كيلا يحصل من بين الأطفال في قواعد حرب العصابات حافي القدمين. وبما أنه كان أبا عطوفا لأبناء الشعب والجنود يجسد هذا الحب، حينما زار إحدى وحدات الجيش حيث سمع من جندية قصة تلقيها الرسالة من أختها الصغيرة شكت فيها من نقصان الأحذية، فاعتبر الأمر بأنه مطلب الجماهير، وطرح مسألة عدم إنتاج الأحذية بشكل مطلوب كمسألة بالغة الشأن في اللجنة السياسية للجنة الحزب المركزية، وعمل على إيجاد حلها.

أثناء ذهابه بالسيارة لإسداء التوجيه الميداني، كلما رأى الأطفال مرتدي الملابس غير الجيدة أوقف السيارة للاطلاع على السبب حتما وعمل على

اتخاذ الإجراءات اللازمة، وفي كل فصول السنة، حرص على إمداد جميع أطفال البلاد بالملابس الجديدة مجانا بموجب نظام الدولة الذي خططه من أعماق قلبه منذ أيام الحرب المناهضة لليابان.

حدث ذلك في يوم الثاني عشر من نيسان/ أبريل عام ١٩٧٧ حيث زار الرئيس مدرسة يونبونغ الثانوية (آنذاك) بمدينة آنزو ليعاين الملابس المدرسية المقدمة كهدية لجميع التلاميذ في أنحاء البلاد. لما نظر إلى التلاميذ المفرحين بارتدائهم الملابس المدرسية البديعة الملونة سر سرورا بالغا قائلا «إنهم يبدون أكثر أناقة مني»، وبذل طول النهار لالتقاط صور الأطفال بملابسهم الجديدة تاركا كل الشؤون إلى الجانب. ولشدة بهجته هذا اليوم قال بالتكرار: «اليوم أكثر ما يسرني طوال حياتي العائدة إلى ستين عاما! حقا، أشعر بغاية الارتياح على هذا النحو لأول مرة».

وفي الاجتماع التشاوري لمسؤولي قطاع الاقتصاد الذي جرى في الأيام الأخيرة من حياته العظيمة ابتهج أعظم الابتهاج بعد سماعه لتقرير الكادر المعني الخاص بإلباس جميع الأطفال للبلاد، وأعرب عن شكره له مرارا وتكرارا. هذا المشهد الذي لا مثيل له في تاريخ البشر السياسي حيث يتقدم رئيس الدولة بتحية الشكر لمرؤوسه بإلباس أطفال البلاد هو منظر سام لا يمكن إظهاره سوى الرئيس الذي يعتبر جميع أطفال البلاد بأنهم أبناؤه الحقيقيون.

حينما عرج على مخزن ريونغيون بقضاء آنزو في حزيران/ يونيو عام ١٩٥٨، سأل عامليه عما إذا كان من بين السلع سروال خاص بالجدات مشيرا بجدية إلى أن عاملي التجارة ملزمون على الوقوف موقف المشترين أيضا بدلا من انعكافهم في مجرد بيع البضائع، وعند وضعه خطة البلاد

لإنتاج الأقمشة حسب في مذكرته كمية قماش ستقدم لكل فرد وأسرة.

حتى في أيام الحرب الضروس، كان يذهب الرئيس إلى السوق، حيث قابل من يبيعون رقائق العجين واللحوم، ليطلع على حالة معيشة الشعب في زمن الحرب، واتخذ إجراء لإقامة السوق تحت الأرض. حقا إن معيشة الشعب كانت أهم اهتمام طول عمره وأكبر شؤون الدولة الذي أولاه كل روحه وقلبه.

كان مكنون قلبه ملآنا دائما بتأشيرات معيشة الشعب مثل الحبوب الغذائية والملح والبيض والسمك والصابون والحذاء والحطب وغيرها. انطلاقا من وجهة نظره السامية لحب الشعب تم إقامة نظام العلاج المجاني ونظام التعليم المجاني اللذين لا يشتهي الناس بهما ما لدى الآخرين.

إنه من عادة الناس أن يجدوا ظروف العمر المديد في التدريب الجسدي والتغذية والمقويات. بيد أن الرئيس كيم إيل سونغ كان يجد هذه الظروف في ما لا يمكن لأحد أن يجده ولا يتصوره.

لقد عد الحياة الموفورة للشعب ظرفا أولا لصحته رغم أنه كرس عصارة روحه وجهده من أجل ضمان الصحة العافية والعمر المديد لدى الشعب الذي يعتني بهم في أحضانه الدافئة. كلما رجاه الكوادر وأبناء الشعب صحة عافية، قال الرئيس لهم إنه يستطيع أن يحيا حتى مائة سنة لو تسنى لشعبنا أن يعيش بالأكل الجيد واللباس الرائع في البيت الحسن.

تعبيرا عن مشاعرهم الإجماعية، يناديه أبناء الشعب الكوري بأنه الأب العظيم، أب الشعب، إذ أن لديهم ليس أنسب عبارة من ذلك نحوه هو الذي يصب عليهم ما يفوق حب الوالدين الحقيقيين.

لو لم يتوجه الرئيس إلى قضاء تشانغسونغ حيث علم سكانها بالطرق

لتحسين معيشتهم وهو يجرب شخصيا ذوق الهلام من حبوب البلوط العفصة لما كان بوسع أهل تلك المنطقة الجبلية النائية حتى رؤية الأرز الأبيض حتى الآن، ولو لا مودة الأب العطوف الذي يشغل باله لإطعام أطفال المدن وسكانها بالذرة الخضراء والبطاطس الحلوة لما كان بإمكان اليوم أن يشهد المناظر النادرة حيث تسير العربات الحاملة للفواكه والخضار والبطاطس المشربة بالمحبة حسب الفصول.

وبالنسبة لجنود الجيش الشعبي كان الرئيس أبا حقيقيا يغدق عليهم المحبة الدافئة العميقة فضلا عن كونه قائدا أعلى لهم.

لم يستطع الجيش الشعبي أن يظهر قدرته إلا في كنف الأب العظيم الذي يضع يده حتى في الحذاء المبطن بالقطن الذي تفوح منه رائحة قدم الجندي بغية حدس سماكته، وزد على ذلك، يُلبسه قبعته وقفازتيه رغم أن كونه القائد الأعلى الذي يتحمل على عاتقه شتى صنوف أعباء الحرب.

كانت مثله العليا تتمثل في بناء البلاد كلها كعائلة متآلفة كبيرة. في النضال الهادف إلى تحقيقها، كانت المكانة التي اختارها هي موقع الأب الحقيقي للشعب، رب العائلة الكبيرة للبلاد، قبل المنصب الرسمي كرئيس الدولة والأمين العام للحزب.

تميزت نظرته إلى الأجيال الصاعدة، بكونه ربا لكل عائلات البلاد، بإبراز الأطفال كملك البلاد وبقضاء الوقت الأكثر فرحا فيما يشاطرهم التغني والرقص.

عندما كان مرافقوه والكوادر يشعرون بانقباض الصدور بسبب موعد العمل المضغوط، ردد في نفسه من حين لآخر قائلا: «لا يمكنني الانتباه إلى مرور الوقت بمجرد لقائي مع الأطفال»، وذلك لأن تأجيل موعد

العمل المخطط قد حدث في مرات كثيرة نظرا لشعوره بصعوبة الفراق مع الأطفال الذين زارهم.

في أوائل سبعينات القرن الماضي، وردت في صحيفة «يوميوري شيمبون» اليابانية، مقالة تعلق «أنه ليس ثمة في العالم بلد مثل كوريا التي ينادي جميع أطفالها رئيس الدولة ‹أبا› لهم»، و«أن المارشال كيم إيل سونغ يزيل تعبه المتراكم للإشراف على شؤون الدولة لمدة سنة أثناء بقائه مع الأولاد الذين يحتفلون بعيد رأس السنة»، و«أن كوريا هي مملكة للأطفال وتنعكس على ذلك سياسة الدولة»، مما أثار أصداء واسعة في المجتمع الياباني. كانت هذه المقالة كتبها أحد مراسلي هذه الصحيفة بعد أن رأى عن كثب ملامح الرئيس كيم إيل سونغ الذي يختلط بالأطفال، عندما تشرف بمقابلته، لدى دعوته إلى حضور حفل عيد رأس السنة أثناء زيارته لكوريا.

على وشك بداية العرض الفني في الحفل، ربط له طفل رباط العنق لرابطة الناشئين، فربت الرئيس وجنته ولاطف رأسه وضمه إلى صدره، ثم توجه إلى غرفة التسلية حيث استمتع بالتسلية مع الأطفال. في الأصل كان المراسل المذكور قد خطط لالتقاط صور الرئيس والأطفال الذين يتعلقون بذراعيه مناديه دائما بـ «أبتي»، إلا أن الانفعال والتأثر الكبير حال دون تصويره كما ينبغي.

أثناء أداء العرض الفني، كان الرئيس يقول حينا بعزة «تلاميذنا ممتازون» وحينا آخر يطلق عليهم المدح والثناء قائلا «إن التعب يزول مني وأشعر بانشراح صدري، حينما أكون مع الأطفال»، ويطلب إعادة الأداء. فيما يرى المراسل مشهد الرئيس هذا، شرع ينظم شعرا ارتجاليا على مفكرة التغطية بالأخبار، وكان الشعر هو ما يلي:

...

بحضور حفل رأس السنة للأطفال المحبوبين
يستقبل المارشال كيم إيل سونغ العام الجديد
في هذا البلد لا حاجة إلى «بابا نويل»
لأن الرئيس يقدم الهدايا للأطفال
يرسم لهم عاما جديدا مفعما بالمجد
يسمع الرئيس أغاني الأطفال في كل رأس سنة جديدة

...

يتحلق الأطفال حول الرئيس منادينه «يا أبتي»
يشكل الأطفال موجات البحر التي تندفع وتتوافد
يستمتع الرئيس بمتعة ركوب الزورق عليها

...

رغم أنه قد أجهد نفسه لتنظيم الشعر، شعر بأنه غير قادر على التعبير عن عالم السعادة ذلك بين الأب العظيم والأطفال بحيث كتب في مؤخرته كما يلي:

«إن من قابل المارشال كيم إيل سونغ وحده يستطيع أن يعرف عظمة الرئيس وبساطته وعالم حبه. حتى إذا استطاع من لقي به بقدرته الرائعة على الكتابة أو البلاغة، أن ينقل شعوره الصريح إلى كلمة أو مقالة، فإن تلك الكلمة أو المقالة لن تحتوي حتى على جزء من مائة أو ألف من شخصية الرئيس وعظمته.»

لم يكن شعره ومقالته هذه مجرد انطباعه عن الواقع المميز الذي كشفته حاسة المراسل المحترفة، بل إن ذلك كان نوعا من المبادئ الأخلاقية الأكثر

عموما في هذه العائلة الكبيرة من كوريا، التي يمكن لأي شخص في العالم أن يحس بها بسهولة إذا زارها، ومودة دافئة قائمة بين الأب العظيم والأطفال، لا يستطيع لأي شخص أن يراها دون دموع وتأثر، إذا كان له دم وشعور.

إن قضاء أيام ميلاده والأعياد بتواضع وبساطة بين ظهراني الشعب كان أسعد أمر بالنسبة للرئيس. فإنه إذا رأى أي تحرك كوادر لتحضير حفلة ميلاده كان يؤنبهم بصرامة قائلا إن سعيكم إلى إعداد وليمة أو مأدبة وأمثالهما بمناسبة اليوم الخامس عشر من نيسان/ أبريل ليس أمرا يسعدني، فإياكم أي عمل لإعداد شيء في يوم ميلادي، بل ينبغي إعداد الوجبة بما لا يختلف شيئا عن الأيام العادية. لم يكن مرة أو مرتين حيث قضى الرئيس يوم ميلاده بإعطاء توجيهاته الميدانية غير المقررة سابقا للمناطق المحلية للبحث عن السبل الآيلة إلى تحسين حياة الشعب.

هكذا، بما أن الشعب كان يعيش بسعادة في كنف أبيهم العظيم، كان جميعهم رجالا وصغارا يبكون بحرقة مذرفين دموعهم الحارة بغزارة، حين توقف قلب الرئيس عن النبضان.

وليس من باب الصدفة أن الرئيس السابق لجبهة بيرو التحررية الوطنية، الدكتور أنهيل كاسترو الذي لم يكن بوسعه أن يفهم هذه الأواصر المربوطة بين الأب الرئيس وأبنائه، قد كتب في مذكرته كما يلي: «إن الكوريين يسمون الرئيس كيم إيل سونغ المحترم بـ ‹الزعيم الأب› مدحا وتكريما.

... ...

حين زرت كوريا لأول مرة، لم أستطع أن أفهم تماما ما يدور في خلد أبناء الشعب في هذا البلد، الذين ينادون قائدهم أبا لهم. ولكني أصبحت أناديه اليوم كـ‹الزعيم الأب› دون أدنى تردد وتكلف، تمجيدا له.

لا أستطيع أن أعامله بخلاف ذلك، مهما تعمق تفكيري وتأملي».

كما أن أحد أساتذة الشرف بجامعة ريكّيو اليابانية صرح بخصوص وقائع كوريا قائلا: «مهما طالت أزمنة تاريخ البشر، لم يكن ثمة مكان تحقق فيه حب حقيقي للإنسان تماما. ولكن كوريا زوتشيه هي بلاد تزدهر فيها أزهار حب الإنسان كامل الازدهار. إنني استطعت أن أجد حبا للإنسان الذي شدما تطلعت إليه منذ طفولتي في كوريا تحديدا. يا له من الواقع المدهش والرائع»، هكذا، أشاد بالرئيس كيم إيل سونغ قائلا إنه أب حقيقي لأرواح البشر.

كما كان في الماضي والحاضر، سيمجد الشعب الكوري في الغد أيضا الرئيس كيم إيل سونغ الذي أتى إليهم بحديقة أزهار حب الإنسان التي اعتنى بها بمحبته الملتهبة، وسيسمونه بأبيهم العطوف ويبايعونه إلى الأبد.

محبة إنسانية لا تعرف حدودا

يمكن القول إن عالم الحب للرئيس كيم إيل سونغ هو عالم المودة الإنسانية غير المحدود الذي لا يعرف حدودا. فقد أقام علاقات الصداقة مع كثير من الشخصيات الأجانب برحابة صدره وأريحيته الواسعة طوال حياته، وخصص لهم العناية والرعاية المخلصة دون تحفظ.

فكل من تسنى له لقاء الرئيس عقد معه أواصر المودة الإنسانية العميقة، وتمتع بحبه الدافئ. ليس ذلك لأن مدة قيادته للثورة طويلة ولا كونه رئيسا للدولة، بل لأن لقاء الناس هو بالذات سياسته، وتبادل المودة معهم وقيادتهم

إلى طريق الصواب كان أهم عمل له.

لقد التقى الرئيس عددا لا يحصى من الأجانب وتبادل معهم المودة الإنسانية وعقد علاقات الصداقة وأحاطهم برعايته وعنايته الصادقة.

في غضون ما يقرب من خمسين عاما منذ بعيد التحرير حتى آخر لحظة من حياته، التقى وعمل الرئيس مع من يزيد عددهم على ٧٠ ألف أجنبي في ١٣٦ بلدا، ويحتوي هذا العدد على الأشخاص على اختلاف الطبقات والفئات، ذوي الجنسيات والآراء السياسية والمهن والأعمار المختلفة بدءا من رؤساء الدول.

هذا يعني أن الرئيس قام خلال هذه المدة باللقاء والعمل مع أكثر من ١٤٠٠ أجنبي في سنة واحدة أي نحو أربعة أجانب في يوم واحد وسطيا.

إنه لأمر لا يمكن تصوره أبدا بالرأي العادي أن لقي هذا العدد الكبير من الأجانب الذين ليسوا من أبناء شعبه.

لم يكن ذلك بعيد التحرير فحسب، بل منذ فترة النضال المسلح من أجل تحرير البلاد في سهول منشوريا، وثق عرى الصداقة مع كثير من الثوريين الصينيين والأعضاء المسلحين في الجيش المتحد المناهض لليابان وأبناء الشعب الصيني في القتال ضد الإمبرياليين اليابانيين اللصوص. وأثناء مرحلة الاستعداد للهجوم النهائي الهادف إلى تحرير البلاد، قام بتشكيل الجبهة المشتركة مع الثوريين والأعضاء المسلحين للاتحاد السوفييتي السابق المنتسبين إلى قوات التحالف الدولي ومارس نشاطاته معهم. في الحقيقة إنه لمن المستحيل عد عدد الأجانب الذين قابلهم الرئيس وعمل معهم قبل تحرير البلاد.

مع أن هناك كثيرا من القادة وأقطاب الدبلوماسية المعروفين في العالم،

لكن لا أحد منهم لقي هذا العدد الكبير من الأجانب طوال حياته مثل الرئيس كيم إيل سونغ. حتى إذا كان المرء دبلوماسيا محترفا عاش طول حياته بالشؤون الدبلوماسية، فربما لم يقابل هذا العدد الكبير من الأجانب مثل الرئيس.

بلغ عدد الأجانب الذين قابلهم الرئيس بكونه قائدا أعلى للحزب ورئيسا للدولة ١٢٠ شخصا على مستوى رئيس الدولة و٢٠٦ شخصا على مستوى قائد الحزب و٧٦ شخصا على مستوى رئيس الحكومة حتى ينوف على أربعمائة شخص إجماليا ويصل إلى واحد من المائة لمجموع الأجانب الذين قابلهم.

يعني ذلك أن معظم الأجانب الذين قابلهم ليسوا شخصيات على مستوى الرؤساء بل كانوا من مختلف الأوساط والفئات مثل السياسيين، والمراسلين، والإعلاميين، والدبلوماسيين، والمتدينين، والعمال، والفلاحين، والعسكريين، والعلماء، والطلاب الموفدين وحتى الأطفال الصغار.

من الطبيعي أنه ليس ثمة أعراف دبلوماسية أو قانون دولي يستوجب من رئيس الدولة مقابلة الأجانب الأفراد ذوي المراكز الاجتماعية المختلفة الذين لا يمثلون دولة أو حكومة أو حزبا. والواقع أن كثيرا من الأجانب على المستوى الرفيع لا يريدون حتى إظهار وجوههم إلا في الجلسة الدبلوماسية حيث يتوقعون المصالح الملحة أو يبرزون مكانتهم الدولية. وأبعد من ذلك، في حالات كثيرة تجدهم يسعون لحماية وقارهم وإظهار كبريائهم من خلال تهربهم من المحادثات مع الأجانب عمدا.

إلا أن الرئيس كيم إيل سونغ كان يختلف اختلافا تاما عن أصحاب السلطة في الأحزاب أو الدول الأخرى الذين يراهم الناس في العالم عادة.

كان يلتقي بالأجانب من مختلف الطبقات والفئات ويتبادل معهم المودة الإنسانية الدافئة رغم أن جدول أعماله كان مكثفا إلى أقصى درجة. وفي بعض الأحوال، خصص وقته الثمين للتوجيه الميداني المشغول للقاء الأجانب قائلا إنه لا بد من لقائهم هم الزوار القادمين من الأماكن البعيدة.

لم يكن تقريبا بين ذوي المعرفة السياسية العامة من لا يعرف مدى علو مكانة الرئيس ومدى ثقل أعباء أعماله. ومع ذلك، كان كل من زاروا كوريا ودوا لو يقابلونه، وإذا قابلوه، كانوا يفضون إليه بمكنون أفئدتهم دون كلفة، ذلك لأنهم ينساقون إلى حبه الإنساني السامي.

وكان الفن الدبلوماسي العبقري للرئيس يختلف اختلافا جذريا عن الفن الدبلوماسي الذي كان الناس يعرفونه حتى الآن. ذلك لأن الفن الدبلوماسي للرئيس كان خاليا تماما من أي حساب أناني أو تجميل خارجي، بل كان تظاهرا ساميا لحبه الإنساني واحترامه وثقته الكبيرة بالأناس ذوي الطابع الاستقلالي.

الحب الإنساني للرئيس كان قائما على الركيزة المتينة لرحابة صدره وشهامته الواسعة كالبحر التي يعامل بها كل الشخصيات الأجانب الذين يؤيدون قضية الشعب الكوري والبشرية التقدمية التي تتطلع إلى الاستقلالية كأصدقاء أعزاء له. وتكمن في هذه الركيزة الوطيدة بالذات الجاذبية البارزة والفتنة الفريدة لحبه الإنساني الذي لا يباريه أحد.

كثيرا ما استخدم الرئيس كلاما عن «علاقات الصداقة الشخصية»، حين كان على قيد الحياة، وعلى الأخص، حين كان يتحدث عن العلاقات الإنسانية التي لا تنفصم بينه وبين الأجانب. هذا الكلام القصير أبدعه الحب الإنساني المتميز الذي حمله الرئيس الذي رأى علاقاته مع الأجانب على أنها علاقات

وديـة إنسـانية، لا مجـرد علاقـات دبلوماسـية سياسـية أو علاقـات روتينيـة.

حينمـا علـم الرئيـس أن أحـد العلمـاء الأجانـب الـذي تعـرف عليـه فـي وقـت مـا يعانـي مـن الآلام الروحيـة لعـدم الـرزق بطفـل، اعتبـر ذلـك كأمـر يخصـه، حتـى أرسـل إليـه السينسـونرو (وعـاء الإحمـاء الكـوري الشـهير) والجنسـنغ الدوائـي المطهـي ليسـتفيد منهمـا لتحسـين صحتـه، وذات مـرة، سـرّ سـرورا عظيمـا حيـن سـمع خبـرا يفيـد بـأن المناضـل المقـاوم فـي أحـد البلـدان تولـى منصـب رئيـس الدولـة، أهـدى إليـه هديـة مؤلفـة مـن السـاعة الذهبيـة التـي كتـب عليهـا اسـمه وقمـاش البدلـة رفيـع الجـودة ليظهـر أمـام أبنـاء الشـعب، لابسـا البدلـة الأنيقـة المصنوعـة بـه.

وحيـن فقـد الملـك الكبيـر الكمبـودي نـوردوم سـيهانوك صلاحياتـه الفعليـة مـن جـراء الانقـلاب الواقـع فـي بلـده، لـم يكـن يتخلـى أبـدا عـن عـرى الصداقـة الإنسـانية معـه، بـل إنـه عاملـه بأكثـر دفـءا وأمـده قـوة وإلهامـا وعونـا سـخيا لاسـترجاع بلـده.

تشـرف ابـن داكاكـي داكيـوو رئيـس المجلـس السـابق لجمعيـة التبـادل الثقافـي اليابانـي الكـوري وأفـراد أسـرته بمقابلـة الرئيـس، فـي ظـل حبـه الـذي يتواصـل مـن جيـل أبيـه وقـال كمـا يلـي: «قابلنـا الرئيـس كيـم إيـل سـونغ بملامحـه العظيمـة التـي كنـا نسـمعها مـن والـدي حيـن كان علـى قيـد الحيـاة. أصبحنـا نحـس لأول وهلـة بأنـه متميـز بالـود الحـار ورحابـة الصـدر للغايـة. حقـا إن الرئيـس كيـم إيـل سـونغ هـو أب عطـوف يعتنـي بنـا جميعـا اعتنـاء دافئـا». وهـذا لـم يكـن سـوى مصارحـة صادقـة لحبـه الإنسـاني الـذي لا يعـرف حـدودا.

وحتـى أولئـك الأجانـب الذيـن قدمـوا مـن بلـدان معاديـة لكوريـا أو يضمـرون مشـاعر سـيئة تجاههـا كانـوا يفتتنـون بشـخصيته فـور لقائهـم بـه حتـى صـاروا

مؤيدين ومؤمنين به ودعاة له.

أفادت صحيفة «ليبيراشيون» الفرنسية «أن الرئيس كلينتون قد صرح في لقائه الصحفي مع المصادر الإعلامية للبلدان السبع المتقدمة الغربية قبل مغادرته لواشنطن لاشتراكه في ‹مؤتمر القمة للبلدان السبع المتقدمة› الذي يعقد في نابولي بأنه ‹يثق بحسن نوايا الرئيس كيم إيل سونغ› ».

تدور كل الأشياء نحو أشعة الشمس الدافئة ويتطلع الإنسان إلى الحب الصادق. بما أنه قد صب مودته وصدقه الخالص للأجانب برحابة صدره وشهامته الواسعة، احترمه جميع الناس في العالم إنسانيا، ووثقوا به، وكانوا يتبعونه ويبجلونه أيما تبجيل. كان منهم رجال على مستوى رئاسة الدولة، احترموه كأخيهم ومن احترموه مسمين إياه بوالدهم وجدهم.

كان رؤساء البلدان الكبيرة المجاورة ذوو السمعة والمكانة العالمية مثل ستالين وماو تسي تونغ، ورؤساء الدول الشهيرون بشدة الكبرياء مثل تيتو هم الآخرون كانوا يحترمونه ويثقون به بصدق نظرا لكونه ثوريا عظيما ورجلا عظيما.

بخصوص ذلك كتب أحد الشخصيات الأجانب الذي تشرف بلقاء الرئيس كيم إيل سونغ مرتين، في مقالته أنه يود أن يقول لمن يسألون عن شخصية الرئيس إنه رجل عظيم كل من قابله مرة لا يستطيع أن يبتعد عنه ويود أن يتبعه دائما، وأضاف ما يل:

«إن ما يجعل المرء إنسانا حقيقيا هو حب الإنسان والمودة الإنسانية القائمان على الاستقلالية، ويمكن القول إنهما بالذات رائحة الإنسان. مثلما يتجمع النحل والفراش حول الأزهار افتتانا بأريجها، يتبع الناس الرئيس كيم إيل سونغ ويتجمعون حوله، مفتونين بحبه الإنساني ومودته الإنسانية.

حقا إن روائحه الإنسانية العطرية أكبر سموا وحرارة حتى يفتتن بها الناس كلهم ويحترمونه ويتبعونه دائما.»

كما رأينا إن عالم الرئيس للحب الإنساني كان لامتناهيا ولا يعرف أحد حدوده. وإجلالا برحابة صدره وشهامته الواسعة، يشيد به عاليا جميع الناس قائلين إنه رجل عظيم يمثل العالم كله.

المتعة الكبرى ـ كسب الرفاق

مجد الرئيس كيم إيل سونغ طول حياته بالمحبة الرفاقية الحقيقية.

كانت تلك المحبة المبذولة لكل فرد من رفاقه الثوريين محبة غيورة لم تبرد أبدا ولو للحظة واحدة.

كان له كثير جدا من الرفاق. يعد عددهم آلاف وعشرات الآلاف الذين منح لهم حبه وتبادل المودة معهم طوال حياته. كان كل من دعموه بدافع من واجبهم الأخلاقي الرفاقي الصافي سواء أ في ساحات الوغي التي تقرر المصير من الحياة أو الموت أم في أيام البناء السلمي هم جميعا رفاقه الثوريون الذين بحث عنهم الرئيس شخصيا ورباهم وقادهم ببذل جهوده الكبيرة.

كانت طول حياته متميزة بالحياة السامية المبذولة لكسب الرفاق.

بعد أن حمل وجهة نظره الثورية الفريدة إلى الرفاق مبكرا في ظل تأثير والديه، عاش مدى الحياة لكسب الرفاق، مسترشدا بتلك النظرة الأكيدة.

تعلم الرئيس منذ طفولته الأخلاق القيمة لحياة الإنسان من مشهد والده

الذي كان يشعر بالرضا لكسب رفيق طيب دون أن يبدي أي سيماء التعب، حتى ولو سلك دروبا شائكة طويلة.

إن والده كيم هيونغ جيك الذي بدأ نضاله من كسب الرفاق قد علم الرئيس أخلاق حياة الإنسان المتمثلة في حب الرفاق والاعتزاز بهم، وإن أحد التراث النفيس الذي تركه له كان فكرة خاصة بكسب الرفاق.

حينما كان كيم هيونغ جيك طريح الفراش، قال لابنه في الفترة الأخيرة من حياته: إن الرفاق الأوفياء لا يهبطون من السماء ولا يخرجون من باطن الأرض. عليك أن تجدهم وتربيهم بنفسك وبجهودك الدؤوبة، مثل استخراج الذهب والأحجار الكريمة. ولهذا السبب، أمضيت طول حياتي متجولا في كوريا وسهول منشوريا، حتى تورمت قدماي من كثرة المسير. وكان على أمك أن تعمل بمشقة وتعاني الجوع لإكرام الضيوف الكثيرين الذين يأتون للقاء بي. إذا كنت مستعدا بإخلاص لخدمة البلاد والشعب، فيمكنك بجرعة ماء أو حبة بطاطا مشوية أن تقيم صداقة لا يمكنك بالذهب التوصل إليها.

وتابع قوله إن من يكون مستعدا للموت من أجل الرفاق، هو وحده قادر على كسب رفيق جيد. ووصيته هذه صارت مستوطنة في أعماق قلب الرئيس كعقيدة ثابتة في الحياة لا بد من الحفاظ عليها على مدى حياته.

إن المكان الذي خطا فيه الرئيس خطوته الأولى لكسب الرفاق هو مدرسة هواسونغ حيث مضت أيامه لاستقصاء تيار فكري جديد، وفي آن مع ذلك لكسب الرفاق واحدا واحدا، بغية رفع مرساة الثورة معهم، بعد أن أدرك لأول مرة ضرورة تشكيل المنظمة. كثيرا ما كان والده يقول في حياته إنه يجب إقامة صداقات جيدة وواسعة مع الرفاق، ومهما كانت غايات المرء عادلة ورائعة إلا أنه لن يستطيع أن يجسدها على أرض الواقع، إذا

لم يكن له رفاق يمكن أن يشاطروه الحياة والموت. فكانت مدرسة هواسونغ أول مكان شرع فيه الرئيس بتطبيق كلمات والده في الممارسة العملية بعد وضعها نصب عينيه.

شكل الرفاق الذين بحث عنهم الرئيس واحدا واحدا أثناء أيام دراسته فيها صفوفا طليعية سترفع مرساة الثورة الكورية بكونهم عناصر نواتية أولى لها.

إن تسمية أول منظمة حزبية ـ جمعية تلاحم الرفاق باعتبارها جنين حزب العمل الكوري وبذره، تنطوي على المغزى العميق. كانت هذه التسمية تعكس رغبته وإرادته العظيمتين لبداية الثورة بكسب الرفاق، والوصول بها إلى الانتصار النهائي عن طريق مواصلة البحث عن الرفاق الذين سيشاطرونه المصير وجمع شملهم.

من خلال الأيام الطويلة والقاسية لكسب الرفاق، أقام الرئيس وجهة النظر السامية إلى الرفاق، التي لا نظير لها في تاريخ نضال التحرر لجماهير الشعب.

كانت وجهة النظر هذه هي عقيدته الثابتة التي تتمثل في أن الرفيق هو «أنا» الثاني، ويمكن لمن يحصل على الرفيق أن يكسب كل شيء. بالنسبة له لم يكن الرفاق مجرد زميل أو صديق يتبادل المودة معه، بل هو الرفيق الثوري المستعد لتبادل حتى الروح الذاتية أي أنا الآخر.

بما أنه اتخذ فلسفته السامية الخاصة بحب الرفاق عقيدة لحياته، رفع الشعار للمحبة الرفاقية الثورية أعلى فأعلى في كل مرحلة من المراحل الحازمة في الثورة الكورية، واستطاع تطوير الثورة بقدرة هذه المحبة.

صار كسب الرفاق المتعة الكبرى بالنسبة له، إذ أنه خطا خطوته الأولى

للثورة بكسب الرفاق، ثم حصل على السلاح وبنى الحزب والدولة على أساس ذلك.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن»، العمل المستعرض لحياته، كما يلي: «يقال إن الرأسماليين يستمتعون بجمع الأموال. أما أنا، فقد كانت سعادتي ومتعتي الكبرى في كسب الرفاق».

كلما حصل الرئيس على رفيق بصعوبة كلما أحس بالبهجة التي لا يمكن مقارنتها بأي فرح وسعادة. عندما حصل على الرفاق بجهد جهيد لا يقل عن الجهد المبذول لاستخراج اللؤلؤ من قاع المحيط، كان يعتبر ذلك حظا سعيدا بالنسبة له، وواقعة خاصة في تاريخ حياته.

وإن كانت كلمة الحظ لا تتلاءم معه هو الذي يقوم بتصميم كل الأعمال على أساس الحسبان العلمي والخطة الدقيقة، وحلها بذكائه وفطنته الخارقة طوال حياته، لكننا نجده يفتخر بحظ حل به، حينما صودف بكسب الرفيق الممتاز.

من الطبيعي أن يحصل القائم بالمعروف من أجل الوطن والشعب على رفاق طيبين ومحسنين في أيام العسر. فإن تقاطر عدد كبير من الرفاق الطيبين إليه يمثل، إذن، أمرا حتميا أتى به جهده المجهود على مدى حياته. لكن الرئيس كان يعتبر كسبه لرفيق طيب حظا سعيدا له لا يقارن مع أي شيء آخر نظرا لشدة سروره.

بعد أن اتخذ المحبة الرفاقية قوة دافعة أكبر في صنع الثورة، جعل الرئيس البحث عن الرفيق الجيد وعقد الأواصر الرفاقية معه كعملية أولية في حياته وعمله، وصب قصارى جهده فيها.

كان أبناء الشعب الكوري يتبعون الرئيس وهو الرفيق الأعز لهم، مسمينه

بزعيمنا العظيم وأبينا العزيز، وكذلك بالرفيق العظيم كيم إيل سونغ مما بات موضع المساءلة.

ذات مرة، حدث أن رفع الفلاحون في إحدى الوحدات شكواهم عن المسألة الجدية. لقد شكوا من مناداة الرئيس بإضافة لقب «الرفيق» إلى اسمه الكريم، قائلين إن هذا اللقب لا يجوز أبدا استخدامه مع اسمه المحترم. مع أن تسمية الرئيس بإضافة هذا اللقب كان أمرا طبيعيا جدا للشعب الكوري، فعند التفكير العميق كان من المنطقي أن يحاسب الفلاحون هذا الأمر.

والحقيقة إن لقب الرفيق يعتبر لقبا أكثر عموما يعني صديقا ثوريا جديرا بمشاطرة الفكر والمثل العليا. لذا فإن استخدام هذا اللقب الشائع كان غير مسموح للرئيس، القائد الأعلى للثورة الكورية وقائد الأمة الكورية في نظر الفلاحين المتواضعين والبسطاء.

بيد أن ذلك كان أمرا لا مفر منه. ليس ذلك لأن اللقب الأفضل اللائق به لم يكن هناك، بل لأن الرئيس نفسه أراد ذلك، إذ أنه كان ينادي كل شخص من جنوده الثوريين بالرفيق، ويعتبر نفسه رفيقا من بينهم، ويعتز أكثر اعتزاز بالعلاقات الرفاقية التي يتبادل فيها الناس حبا ومودة ويشاطرون المصير من الحياة والموت، بالتسامي فوق علاقة الوظيفة بين القائد ومرؤوسيه.

في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٣ ، التقى الرئيس بتشواي هيون القائد المجرب المناهض لليابان لأول مرة عقب معركة الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ، المعركة التي قام الرئيس بتنظيمها وتوجيهها شخصيا وجرت على وجه النجاح خلال يومين بمشاركة مختلف وحدات جيش حرب العصابات ووحدات جيش الإنقاذ الوطني.

إلا أن وحدة تشواي هيون التي وصلت متأخرا من آنزي بسبب عدم تلقي

الأمر القتالي في حينه نتيجة إهمال المراسل لها، وبذلك لم تستطع حتى الوقوف أمام بوابة الحاضرة.

بعد أن هدأ تشواي هيون نفسه عقب صب أقذع الشتائم للمراسل، سأل الرئيس: «ألم تضعوا خطة لهجوم آخر، أيها القائد المحترم كيم إيل سونغ؟». عندذاك، رد عليه الرئيس «أنا ما زلت شابا، وليس من اللائق أن تدعوني ‹المحترم›. نادني باسم كيم إيل سونغ فقط».

هكذا، عبر الرئيس عن اعتذاره المتواضع لتشواي هيون أكبر منه سنا لخمس سنوات.

ولكن تشواي هيون دهش لسماعه هذه الكلمات وكأن أمرا خطيرا قد حدث، وقال: «ما شأن علاقة السن هنا؟ لقد رفعتكم في قرارة نفسي منذ زمن بعيد إلى أعلى المراتب في القوات الكورية، ومن الطبيعي بالتالي أن أخاطبكم بصيغة الاحترام.»

بعد أن سمع الرئيس كلامه، قال إنه إذا امتدح الشاب فإنه سيتكبر ويغتر بنفسه واستطرد قائلا: «فإذا واصلت تعظيمي هكذا، فلن أتعامل معك مطلقا». عندئذ فقط، قال تشواي هيون إن عنادكم لا يباريه أحد، وسأتحدث معكم من الآن كما تشاؤون.

طبعا إن هذه القصة حدثت قبل أمد بعيد، إلا أنها تروي مشاعر الرئيس الصادقة التي تجد تعبيرا عنها في نظره إلى التكلفات والرسميات كتجميل خارجي لا جدوى منه في المودة بين الرفاق الثوريين، وإيلاء أهمية أكبر للمودة الرفاقية الصادقة والوطيدة. مثل هذه القصص التي تنطوي على تلك المشاعر لم تقتصر على فترة النضال المسلح فقط.

إن طلبه من الرفاق في معاملتهم معه لم يتغير طوال حياته. في كل سياق

عمله سواء حين كان قائدا لجيش حرب العصابات أو قائدا أعلى للحزب والدولة، كان الرئيس يعتبر نفسه دائما رفيقا من الرفاق الثوريين، رفيقا في السلاح يشاطرهم الحياة والموت من أجل الهدف المشترك. فإنه كان يفضل معاملتهم معه كرفيقهم، وطلب ذلك منهم. كان هذا الطلب طلبا رفاقيا صافيا يوجهه لرفاقه الثوريين الأحباء.

كان ذلك تعبيرا عن صدق الحب الذي لا يمكن لأحد أن يحمله طوال حياته ما عدا مجسد المحبة الرفاقية الحقيقية الذي كان يعتبر كثرة رفاقه الطيبين الذين سيعمل معهم يدا بيد بالتسامي فوق سمعته ووظيفته كأكبر كنز له، ويرى عيشه وسط حب الرفاق وثقتهم كأكبر سعادة له.

كان الرئيس يعتبر وجود الرفاق الطيبين إلى جانبه دائما كأكبر فخر له. ففي كل المناسبات التي أتيحت له، قال الرئيس مرارا إنه عاش في كنف حب الرفاق الثوريين وحمايتهم في كل فترات النضال الثوري، وقد تلقى حب الرفاق الأكبر من حب الوالدين.

اتخذ الرئيس دائما الشعور الصادق بالواجب الأخلاقي كمعيار دائم في التقدير الأخلاقي لمختلف الناس. ولذلك، كان يبرز من يثمنون الشعور بالواجب الأخلاقي ويضحون بأنفسهم من أجله في مقدمة الآخرين كمجسدي الشيم الأخلاقية الأكثر سموا، ووصم الخونة بحق الثورة والمتخلفين فيها بأخساء خالين من الشعور بالواجب الأخلاقي.

في نظر الرئيس، لم يكن الواجب الأخلاقي الإنساني معيارا لتقويم الناس الأخلاقي فقط بل كان معيارا تاما لكل تفكيره وسلوكه أيضا.

كان ثمة سؤال تلقاه الرئيس كثيرا ممن يودون أن يعرفوا سره الأسطوري في كسب النصر في الحرب الثورية المناهضة لليابان، ألا وهو كيف

استطاع الجيش الثوري الشعبي الكوري أن يكون قويا إلى حد مواجهة القوات العسكرية لليابان التي كانت دولة عسكرية قوية حديثة النشوء.

بخصوص ذلك، كتب الرئيس في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي:

«كيف أمكن للجيش الثوري الشعبي الكوري أن يصل إلى مثل هذه القوة؟ كلما وجه أحد إلي هذا السؤال، أجيب عليه بالقول إن ذلك حدث لأنه كان جماعة لحمها الشعور بالواجب الأخلاقي. ولو أن تماسكنا استند فقط إلى مجرد الجماعية في الإيديولوجية والإرادة، دون الاستناد إلى الأخلاق والشعور بالواجب الأخلاقي، لما استطعنا أن نكون على ذلك القدر من القوة.»

كان النضال المسلح المناهض لليابان حربا ثورية دامية جرت في الوضع الأقسى دون دعم من جيش نظامي أو من مؤخرة ثابتة. إن السر في انتصار الجيش الثوري في هذه الحرب التي تفوق قسوتها تصور البشر لم يكمن في عدد قوام القوات المسلحة أو تفوقها، بل إنه كان يكمن في الوحدة المتراصة للصفوف الثورية، التي تقوم على شعور المناضلين الثوريين المناهضين لليابان بالواجب الأخلاقي السامي.

طبعا إن القانون أيضا يؤدي دورا هاما في تحقيق وحدة الجماهير. لكنه لا يمكن لوحده أن يحقق تلاحم الناس والتقدم بالثورة.

رأى الرئيس أنه من المستحيل معالجة كل الشؤون المختلفة بالقانون وحده. فمنذ الأيام الأولى لقيادته الثورة والبناء، قد اعتبر أنه من الخطأ أن يرى المرء أنه يستطيع أن يتحكم ويدير كل نشاطات الإنسان العملية بواسطة القوة الإجبارية مثل القانون.

ومن هنا، حينما كان الإمبرياليون اليابانيون اللصوص يتهورون بجنون

لخنق الثورة الكورية وتدمير الأمة الكورية، بتعبئة كل وسائل القمع الفاشي التي حصلوا عليها من خلال آخر المنجزات المكتسبة من العلوم العسكرية الحديثة وسياستهم القمعية ونشاطاتهم لتوسيع الأراضي على مدى عشرات السنين، قاد الرئيس الحرب الثورية المناهضة لليابان بواسطة الشعور الثوري بالواجب الأخلاقي واستراتيجية التلاحم، حتى حقق في النهاية استقلال البلاد وتحرير الشعب.

حدث ذلك في أيار/ مايو عام ١٩٧١. وصل أعضاء حلقة هواة الفن في مصنع الجنود الجرحى المكرمين للسلع اليومية البلاستيكية في واونسان إلى بيونغ يانغ للمشاركة في عرض هواة الفن من الجنود الجرحى المكرمين.

أدى أحد الهواة العزف لـ «نشيد القائد كيم إيل سونغ»، و«ينزل الثلج» في هذا العرض الذي قدم بحضور الرئيس كيم إيل سونغ. صفق الرئيس له أولا وقبل الآخرين وتلاه تصفيق الآخرين المدوي. قدم العازف تحية الاحترام، ودخل وراء الستار، ثم أعاد الخروج إلى الحلبة، بعد أن سمع أن الرئيس طلب إعادة أدائه.

ولكنه وقع في حيرة، لأن صوت التصفيق خف فجأة للحظة ثم اشتد، حتى ساوره الشك متسائلا في نفسه أ لم أرتكب هفوة ما لفرط انفعالي؟

لكنه عرف لاحقا أن صوت التصفيق صار يخف للحظة، لأن الرئيس أخرج من جيبه منديلا، ومسح به عينيه المغرورقتين بالدموع. كان هذا القائد اللامع فولاذي الإرادة والمظفر دائما الذي كان يشق وابلا من نيران الحرب مع الجنود البواسل للجيش الشعبي، يذرف دموعا حارة، حين رأى مشهد جنوده الجرحى المكرمين الذين يواصلون بصمود تفتيح أزهار الثورة دعما لقائدهم الأعلى حتى النهاية، لشدة امتنانه لهم.

بعد انتهاء إعادة أداء ذلك العازف والفقرات الأخرى كلها، نهض الرئيس من مقعده، لكنه كان عاجزا مرة أخرى عن التصفيق لأن يده الممسكة بالمنديل ما زالت تمسح عينيه، ولم يتمالك نفسه من شدة التأثر، وقال: «لا يمكنني أن أكبح تدفق الدموع من عيني، فيما أرى عرض أولئك الرفاق. هؤلاء الرفاق قد أراقوا دماءهم في ساحة الوغى أثناء الحرب. ... يجب التقاط الصورة لي معهم... دعهم يستعدون لالتقاط الصورة!».

وفي صالة الاستراحة للمسرح أيضا قال الرئيس إن الجنود الجرحى المكرمين كلهم رفاق ثوريون قيمون، فلا بد من الاعتناء بحياتهم، ونشر خبر عرضهم الفني على الصحف بحروف بارزة، ودعوة جنود الجيش الشعبي إلى مشاهدته أيضا.

ربما كان عرضهم الفني دون المستوى العالي، ما داموا غير محترفين للفن، إلا أن الرئيس لم يكن يراه بمجرد العرض الفني بل إنه نقش أغانيهم في أعماق قلبه كقسم الإيمان والواجب الأخلاقي الذي يقدمه الرفاق الثوريون إلى الحزب والزعيم.

إذا كان هؤلاء الجنود الجرحى المكرمون يقاتلون باستماتة في ساحة الوغى المصيرية ضد العدو فإنهم فعلوا ذلك ردا جديرا على ما حققه لهم الرئيس من تحرير الوطن، بعدما كانوا يعيشون في الماضي عيشا أقرب من الموت كعبيد مستعمرين، كما كان ذلك واجبا أخلاقيا جديرا بجنود الوطن الذين يمسكون بالسلاح في أيديهم.

على الرغم من ذلك، حرص الرئيس على إنشاء المستشفى المتخصص بالعمليات الجراحية الترقيعية حرصا على صحة الرفاق الثوريين المعوقين والمدارس الخاصة بهم واستحداث نظام المعونة لهم. وكذلك، عني باتخاذ

كل الإجراءات اللازمة لإنشاء مصانع الجنود الجرحى المكرمين في المدن والأقضية التي يقيمون فيها حتى يتمكنوا من تفتيح أزهار الثورة باستمرار.

وكلما رآهم يعيشون وينشطون مفعمين بالتفاؤل دون وقوعهم فريسة التشاؤم، أثنى عليهم قائلا إنه ممتن لهم وإنهم جديرون بالثناء. وكلما قابلهم، شغل باله دائما كما لو أنه لم يعطهم ما يمكن إعطاءه، وعمل كل ما بوسعه لمنح ثقته حتى النهاية كرفاق ثوريين وإبرازهم أمام الآخرين.

كان ذلك هو أخلاق سامية ومودة عطوفة لا يمكن لأحد أن يتصورها ويحققها ما عدا الرئيس الذي يعيش في عالم الواجب الأخلاقي الأكثر سموا وعظمة للرفاق الثوريين.

كان شعور الرئيس بالواجب الأخلاقي للرفاق الثوريين شعورا أبديا لا يعرف حدود الوقت. مع مرور الزمن، يصبح الكثير والكثير من الأشياء باهتة في ذكريات الناس، وتطمر في أطواء نسيانهم. ولذلك، ينسى الناس عادة أمورا سارة ومحزنة وحتى الأصدقاء الأقرب منهم مع مرور السنين الطويلة.

إلا أن الرئيس كان يحمل شعورا ثابتا بالواجب الأخلاقي للجنود الثوريين والرفاق، حتى أحاطهم بالمودة والعناية الصادقة التي لا تتغير إلى الأبد ليس حين كانوا على قيد الحياة فقط بل بعد موتهم أيضا.

لقد كتب الرئيس في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي:

«على الأحياء ألا ينسوا الأموات. وفي هذه الحال فقط، يصبح شعور الإخوة بينهم وطيدا وصادقا وخالدا.»

كان يرى أنه إذا نسى الأحياء الأموات، فإن شعور المودة بينهم يزول في تلك اللحظة. وبدون الشعور الصادق بالواجب الأخلاقي الذي يفوق

حدود الوقت وحال الحياة والموت بين الرفاق الثوريين، لا يمكن وجود الاستمرارية الحقيقية في التاريخ والتقاليد. إنما هذا هو كان حقيقة مطلقة أوجدها الرئيس من خلال صنع تاريخ الواجب الأخلاقي الثوري.

تترافق الثورة مع التضحية. إلا أن الرئيس لم يستطع كبح حزنه، كلما فارق رفاقه الثوريون الدنيا، حتى لم يجد سبيلا إلى تناول الطعام لعدة أيام عاجزا عن تهدئة نفسه من الأسى والسخط. إن الآلام المبرحة التي اختبرها الرئيس في لجة الحزن والأسى، كلما فقد جنوده الثوريين واحدا بعد الآخر، كانت أكبر الآلام قسوة وفداحة قد تحل بالإنسان في هذه الدنيا.

رغم أن الصورة تصير باهتة مع مرور الزمان، إلا أن الرئيس لم يستطع نسيان الرفاق الثوريين الراحلين الذين لم يزل يتبادل المودة الأبدية معهم، وبفضل شعوره بالواجب الأخلاقي هذا، أقيمت على تل زوزاك بجبل دايسونغ في ضاحية العاصمة بيونغ يانغ مقبرة الشهداء الثوريين حيث تنتصب التماثيل البرونزية للرواد الثوريين المناهضين لليابان بشموخ.

عند بداية بنائها، طرح بعض الكوادر آراءهم لإقامة نصب تذكاري بشكل ضخم على أن يتم نقش أسماء المناضلين عليه. بيد أن الرئيس لم يسعه أن يقبلها، إذ أنه أراد أن يعيد صور الشهداء الشخصية عند حياتهم بإقامة تماثيلهم البرونزية بحيث يمكن للأجيال القادمة أن تقابلهم.

ولكن المشكلة هي أن رفات معظمهم دفن في الجبال والسهول المجهولة دون ترك صورة واحدة لهم. فقد استشهد الكثير منهم قبل الزواج دون ترك أبنائهم، ولم يكن ثمة تقريبا من يتذكرون صورهم لانقضاء عشرات السنين منذ رحيلهم.

إلا أن الرئيس كان يحمل في ذهنه ملامح وجه كل شهيد ثوري بصورة

حيـة حتـى بعـد مـرور عشـرات السـنين، لشـدما اشـتاق إلـى أولئـك الراحليـن، وكـم كان يتذكـر وجوههـم واحـدا فواحـدا حتـى بقيـت صورهـم ماثلـة حيـة فـي ذهنـه كمـا هـي عليـه فـي حياتهـم.

وبالنتيجـة، أخبـر الرئيـس مبدعـي النحـت بالمزايـا الشـخصية للشـهداء الثورييـن بالتفصيـل، ليتـم تصويـر صورهـم علـى أصلهـا. منـذ ذلـك الحيـن، كلمـا اشـتاق الرئيـس إلـى رفـاق السـلاح المستشـهدين، كان يفتـح نافـذة مكتبـه فـي قاعـة كومسوسـان للاجتماعـات (حينـذاك) ليتطلـع إلـى التـل المذكـور حيـث تقـوم تماثيـل الرفـاق القدمـاء أثنـاء الحـرب المناهضـة لليابـان بشـموخ بصورهـم الخالـدة. جـرى تبـادل الحـوار المفعـم بالحنيـن والمـودة بيـن الرئيـس وأرواح الشـهداء الخالديـن الذيـن يرتـدون ملابـس القتـال المناهـض لليابـان، مرتبطيـن بعلاقـات الواجـب الأخلاقـي السـامية.

ذات يـوم مـن آب/ أغسـطس عـام ١٩٦٠، قابـل الرئيـس أحـد الشـيوخ الـذي كان يصطـاد السـمك علـى ضفـة نهـر دايدونـغ. بعـد أن وقـف الرئيـس لبرهـات ليشـاهد مهارتـه فـي صيـد السـمك، سـأله مـا هـي مهنتـه. تـردد الشـيخ محرجـا فـي الجـواب، ورد علـى سـؤاله بصـوت خافـت أنـه يعمـل حلاقـا فـي مدرسـة أبنـاء الشـهداء. إذا بالرئيـس ابتسـم ابتسـامة عريضـة قائـلا «لعلـك تتجشـم عنـاء كبيـرا. إنـك تقـوم بعمـل جميـل حقـا».

لـم يكـن قولـه هـذا مطلقـا لمواسـاته علـى عـدم شـعوره بالعـزة حيـال مهنتـه، بـل كان يـرى فعـلا أنـه يقـوم بمهنـة رائعـة حقـا، لأنـه لا يسـتطيع أن يمسـح شـعور الـرؤوس لأبنـاء الشـهداء الراحليـن، بيـد أن الحـلاق يسـتطيع أن يمسـح شـعور رؤوس أولئـك الأبنـاء الأعـزاء. غـادر الرئيـس المـكان لإسـداء توجيهاتـه الميدانيـة، بعـد أن طلـب منـه أن يعتنـي جيـدا بأبنـاء الشـهداء. وبعـد أن عـاد مـن

توجيهاتـه الميدانيـة دعـاه إلـى تنـاول الغـداء معـا حيـث بـادر إلـى تقديـم كأس ممهـور بالحـب لـه.

هكـذا كان عالمـه للواجـب الأخلاقـي عميقـا وفسـيحا، حتـى اعتبـر اعتنـاءه بحيـاة أبنـاء الشـهداء الثوريين ورعايتهـم جيـدا علـى مسـؤوليته واجبـا سـاميا لـه بحـق الرفـاق الثوريين الراحليـن.

لا تعد ولا تحصـى حقـا القصـص الخاصـة بعالمـه للواجـب الأخلاقـي السـامي بمـا فيهـا حفـظ الصـورة التـي التقطـت لـه مـع كيـم تشـايك بعنايـة فـي الخزانـة الحديديـة حتـى الفتـرة الأخيـرة مـن حياتـه، وحرصـه علـى بنـاء تماثيـل المناضلين فـي أنحـاء البـلاد وإطـلاق أسـماء الشـهداء الثوريين علـى المـدن والمؤسسـات والوحـدات، وتربيـة العـدد الكبيـر مـن أبنائهـم وبناتهـم جيـدا حتـى يغـدوا كـوادر جديريـن وهلـم جـرا.

حتـى سـتالين فـي الاتحـاد السـوفييتي السـابق تأثـر كثيـرا بالرئيـس الـذي يعتـز بالرفـاق الثوريين ولا ينسـاهم، فاقتـرح أولا شـرب نخـب صحـة الرئيـس كيـم إيـل سـونغ ثـم نخبـا لعـزاء رفيقـه الحميـم الراحـل كيـم تشـايك باعتبـاره الـذراع اليمنـى للرئيـس، فـي المأدبـة التـي أقيمـت علـى شـرف رؤسـاء البلـدان الاشـتراكية.

كان عالـم الواجـب الأخلاقـي السـامي الـذي عاشـه الرئيـس كيـم إيـل سـونغ طـوال حياتـه هـو عالـم الحـب الإنسـاني الأكثـر سـموا، الـذي لا يعـرف حـدودا فـي عمقـه وعرضـه.

بمـا أنـه كان يتحلـى بهـذا الشـعور بالواجـب الأخلاقـي السـامي قـد أحـاط مختلـف الفئـات مـن النـاس بحبـه ومودتـه غيـر المتناهيـة بـدءا مـن الكـوادر الذيـن عملـوا إلـى جانبـه والعمـال والفلاحيـن العادييـن والأطفـال غيـر الراشـدين

والمواطنين المغتربين وحتى الأجانب. كل من تعرف عليهم أثناء نشاطاته الثورية أو تلقى منهم مساعدة ولو قليلا كان يعتبرهم جميعا بغض النظر عن جنسيتهم محسنين له، وسعى جاهدا لأداء واجبه الأخلاقي حيالهم.

كان منهم الصينيون ذوو العلاقات مع الرئيس في الثورة المناهضة لليابان، وجنود الاتحاد السوفييتي السابق مثل آباناسينكو ونوفيتشينكو وحتى الامرأة المنغولية العادية.

كم كانت رغبته شديدة في رؤية أصدقائه القدماء حتى صارح عند استعراض حياته ما يدور في خلده قائلا ما يلي:

«لقد رغبت في أن أتحول إلى مواطن عادي يحمل جواز سفر عادي، ولو لمدة أشهر فقط، فأتجول في مواقع المعارك السابقة التي غطتها الأشجار والأعشاب، وأنا أنتعل حذاء العمل وألف ساقي بالطماق وأحمل على ظهري الجعبة وأتناول زاد الرحلة، وأعبر أحيانا مياه النهر التي تعلو حتى ركبتي، مشمرا سروالي، مثلما كنت أفعل إبان حرب العصابات، لأزرع العشب على قبور رفاق السلاح، وأتبادل التحيات مع المحسنين الأفاضل الذين مدوا لي يد العون وحموني بأرواحهم.»

إنه لأمر يفوق التصور أن يحن ويتوق رئيس دولة إلى حياة المواطن العادي، ولم يكن السبب في ذلك أيضا مثيلا له. كان السبب الوحيد في شوقه إلى حياة المواطن العادي هو شعوره بالواجب الأخلاقي الإنساني.

هكذا ،كان الرئيس كيم إيل سونغ مجسد المحبة الرفاقية الذي دل أمام التاريخ على حقيقة أن الثورة المتقدمة بقوة الوحدة القائمة على المحبة الرفاقية لا تقهر.

٣ الروح المعنوية الصلبة

كان الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ متحليا بالروح المعنوية الصلبة.

إن الرئيس الذي أنمى في نفسه منذ صغره الروح المعنوية الصلبة بتأثير والديه وسائر أفراد عائلته في مانكيونغداي عاش بها طوال حياته.

كانت طريق الثورة الممتدة إلى عشرات آلاف كيلومترات، التي سلكها الرئيس على مدى حياته هي طريق النضال العصيب المحفوفة بالمحن والمشقات التي يصعب التغلب عليها بقوة الإنسان وروحه المعنوية العادية. إلا أنه اجتاز تلك التلال من الصعاب والمحن القاسية بإيمانه الذي لا تلين له قناة وإرادته الصلبة، وجرأته وعزيمته منقطعة النظير، وحميته الملتهبة للثورة وتفاؤله الفائق بالمستقبل.

كان عزمه وموقفه الثابت الذي تمسك به طوال حياته هو النهوض بالوطن والشعب المحبوب حتى إذا انهارت السماء. روحه المعنوية الصلبة هذه أصبحت قدوة الروح المعنوية التي يقتدي بها الشعب الكوري ويجسدها وكرامة لكوريا بحد ذاتها.

الجرأة والعزيمة منقطعة النظير \ ١١٤

حماسة متأججة \ ١٣٤

رجل متفائل وعاطفي \ ١٤٣

الجرأة والعزيمة منقطعة النظير

إن الجرأة والعزيمة هما كفاءات الإنسان الروحية التي تميز مدى صلابة روحه المعنوية . من يملك جرأة وعزيمة صلبة يجد مخرجا، مهما ادلهمت الخطوب، لكن من يكون وجلا وضعيف إرادة يتردد أمام الأزمة أو يتهالك على الأرض، مهما كان ذكيا وواسع الاطلاع. يكون ثمة قول مأثور عميق المعنى يقول إن «القلب يزيد ذكاء لكن الذكاء لا يزيد قلبا».

كان الرئيس كيم إيل سونغ هو مالك الجرأة والعزيمة منقطعة النظير الذي قاد الثورة والبناء باتخاذهما سلاحا له.

كانت جرأته هي صلابة روحه التي لا تتزعزع أمام أي رعد صاعق، وثبات قدرته التنفيذية التي يخطط بها أي عمل على نطاق واسع ويدفع عجلته قدما حتى النهاية، متحديا حتى الموت. إن شخصيته الجليلة الجديرة بالرجل العظيم تجد تعبيرا عنها في عناده وثباته الذي يعالج به كل الشؤون بهدوء ورباطة الجأش حتى إذا اصطدم بأي صعاب ومحن، ويخطط كل الأمور بجرأة وسعة الصدر، وينفذ أي عمل مراد تحقيقه حتى النهاية دون أي تردد.

كانت أكبر ميزات جرأته التي لا بد لنا أن نذكرها هي صلابة روحه التي لا تتزعزع أمام اعتداء أي عدو عات وتحدياته، وأمام أي نوع من المحن والخطوب.

قيمة وعلو جرأة الإنسان يتجلى عند مواجهته للظروف القاسية. إذ أنها تطلق على مداها، حينما نشأ وضع عسير يفوق التصور أو حلت به المحن الكبرى

ولاسيما حين واجهته تحديات الإمبرياليين الذين يفرضون عليه الحرب.

كان الرئيس كيم إيل سونغ قائدا لامعا قاد الحربين الثوريتين إلى النصر. كانت هاتان الحربان الشاقتان بمثابة كتاب تعليمي بيّن بوضوح بالأمثلة العملية أي علو يجب أن تبلغه جرأة الإنسان حينما واجهته ويلات الحرب.

كان الأعداء الذين واجههم الرئيس على مدى حياته هم أشرس الأعداء الإمبرياليين وأعتاهم الذين لا يمكن الاستخفاف بهم. كانت الإمبريالية اليابانية دولة عسكرية قوية حديثة النشوء برزت في فترة ما كـ «سيد آسيا»، وكانت الإمبريالية الأمريكية أيضا دولة عسكرية كبرى مدعية بأنها «أقوى دولة» في العالم، و«دولة عظمى وحيدة» على الكرة الأرضية. ولكن أي عدو إمبريالي عات لم يتخلص من مصير الهزيمة أمام جرأته.

كانت الحرب الثورية المناهضة لليابان بحد ذاتها حربا ثورية ابتدأت وخيضت بالجرأة منقطعة النظير. في الحقيقة أن إصدار العزم على خوض الحرب الشاملة ضد العدو الإمبريالي العاتي الذي يملك الطائرات والدبابات والبوارج، بالمسدسين وحدهما كان أمرا لا يمكن حتى تصوره بالمفهوم العادي.

بيد أن الرئيس كيم إيل سونغ اختار دون تردد هذا الطريق الذي لم يكن يجرؤ أحد على اختياره، وأعلن الحرب ضد اليابان، فقط بثقته الأكيدة بعدالة قضيته وجرأته الخارقة للإيمان بقوة شعبه، لا بوجود أي عون خارجي قوي أو ضمان مادي وعسكري.

يكون ثمة عدد لا يعد ولا يحصى من القصص الأسطورية التي تروي جرأته البارزة، ومنها قصة عن إنقاذه للثورة من أعاصير النضال اليساري ضد «مينسايغدان» الذي لم يجرؤ أحد على مواجهتها في فترة الحرب

الثورية المناهضة لليابان، وقصة عن إقامة الاحتفالات العلنية بالعيد على الهضبة في وضح النهار، وسط مطاردة العدو العنيدة.

كانت روحه المعنوية الصلبة التي صان بها كرامة الأمة ومصير البلاد بثبات مسجلة بأحرف بارزة في كل صفحة من صفحات تاريخ حرب التحرير الوطنية في كوريا.

حدث ذلك في يوم الخامس والعشرين من حزيران/ يونيو عام ١٩٥٠، الذي أشعل فيه الإمبرياليون الأمريكيون نيران الحرب الكورية. في ذلك اليوم الذي قام العدو فيه بالغزو المسلح الشامل على طول الجبهة، كان الكوادر المشاركون في الاجتماع الطارئ لمجلس الوزراء في انتظار الرئيس بأعصاب مرهفة وبدت على وجوههم سيماء القلق على الوضع الخطير والملح.

في هذه اللحظة الحرجة بالذات، تناهى من الدهليز إلى مسامع الكوادر صوته الجهوري الذي يمزق السكون الهادئ. إذ أن الرئيس كان يدخل قاعة الاجتماع بخطاه النشطة قائلا: «... إنهم أغبياء حقا. أخطأ الأوغاد الأمريكيون في تقدير الكوريين».

بعد أن جال بنظره الوضاح عليهم، قال بقوة إن الأعداء يستخفون بالكوريين. مثلما يقول المثل: «إن الذئاب لا يمكن ترويضها إلا بالهراوة»، علينا نحن الكوريين أن نلقن الأعداء الذين يتهورون دون المعرفة بالكوريين دروسا مريرة. في تلك اللحظة، لم يتمالك الكوادر المشاركون في الاجتماع أنفسهم من شدة إعجابهم بجرأته العظيمة وشهامته الثورية التي لا تهتز شعرة جفنه حتى عند هجوم أي عدو جرار، وأحسوا بالجرأة والثقة الأكيدة بالنصر في هذه الحرب.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يواجه بحزم تحديات الإمبرياليين الأمريكيين ومؤامراتهم لتدمير جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بجرأته منقطعة النظير طوال فترة الحرب.

أمام جرأته وروحه، أصبح «الجنرالات» الإمبرياليون الأمريكيون الذين يدعون بأنهم قادة لا يشق لهم غبار بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية جنرالات مهزومين في الحرب الكورية. بخصوص ذلك، علق الخبراء العسكريون الأمريكيون أيضا قائلين: «إن الحرب الكورية الماضية تتميز بحرب منيت فيها الولايات المتحدة الأمريكية بالهزيمة وقتل وعزل عدد أكبر من الجنرالات المشهورين الأمريكيين عن وظائفهم. لشدة شهرة الأساليب الحربية التي مارسها القائد كيم إيل سونغ، تبدل عديد من قادة ‹قوات الأمم المتحدة› وقادة الفيلق الثامن الأمريكي بتهمة انهزامهم بعد وقوعهم في حبائل أساليبه الحربية، في الحرب التي دارت رحاها لثلاث سنوات. وفي النهاية، لم تجد الولايات المتحدة جنرالات بديلين عنهم. حتى ماك آرثر المسمى بـ‹المارشال الشهير› وأيزنهاور هما أيضا ذاقا طعم الهزيمة بعد وقوعهما في تكتيكاته».

كتب أحد المعلقين العسكريين الغربيين علنا في الصحيفة الأمريكية «نيويورك تايمز» ما يلي: «كان من الخطأ الذي لا مرد له أن استخف تجار وول ستريت بشمالي كوريا منذ البداية. هل كان الكوريون الشماليون ضعفاء؟ لا. لقد أكد سياق الحرب أنهم كانوا أقوياء يقاتلون بالاعتماد على الخطط الاستراتيجية والتكتيكية المتميزة والأساليب الحربية المرنة المتغيرة، رغم أن أسلحتهم وأعتدتهم الحربية كانت حقيرة. كان من واجب الجنرالات الأمريكيين أن يعيروا انتباها طبيعيا، ولو في وقت متأخر، لكون خصمهم

العسكري، القائد كيم إيل سونغ قائدا مجربا ماهرا في حرب العصابة».

بعد أن وقع قائد قوات الشرق الأقصى الأمريكية، قائد «قوات الأمم المتحدة» كلارك على وثيقة اتفاقية الهدنة في بانمونزوم، قال وهو يري للمراسلين قلم الحبر الذي استخدمه عند توقيعه على ورقة اتفاقية الهدنة إنه من المؤسف أن وقع عليها، وتابع يقول: «ولكن لم يكن بيدي حيلة، ما دمت أواجه القائد كيم إيل سونغ؟ ... حتى إذا كان ثمة مائة رجل من أمثال نابوليون، كان التغلب على كوريا مستحيلا».

إذا كان بإمكان الشعب الكوري أن يصير شعبا بطلا حطم كبرياء الإمبرياليين الأمريكيين وفتح عصرا جديدا للنضال المعادي للإمبريالية والولايات المتحدة الأمريكية، فإن ذلك من أوله إلى آخره نتاج رائع عن الجرأة الفولاذية والروح الصامدة للرئيس العظيم كيم إيل سونغ.

إن روحه المعنوية الصلبة المتمثلة في حماية الوطن والثورة على مدى حياته بجرأته الفائقة، تم إظهارها دون تغير حتى في السنوات الأخيرة من حياته أيضا.

حين اكتسح إعصار التاريخ الذي استتبع انهيار الاشتراكية بالتسلسل في أوروبا الشرقية أيضا، أوضح بجلاء إرادته الحديدية للالتزام بموقفه الثوري العادل بثبات حتى النهاية ضد جميع الرجعيين الإمبرياليين، في مؤلفاته الكلاسيكية بعناوين «لنطلق العنان لتفوق الاشتراكية في بلادنا» (٢٤ أيار/ مايو ١٩٩٠)، و«حديث إلى وفد حزب العمال الاشتراكي الأمريكي» (٥ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٠)، و«أجوبة عن الأسئلة التي طرحها رئيس تحرير صحيفة ‹ماينيتشي شيمبون› اليابانية» (١٩ نيسان/ أبريل ١٩٩١)، «اشتراكيتنا اشتراكية زوتشية مستقلة» (١٦نيسان/ أبريل ١٩٩٤)، وغيرها.

كما كانت جرأته قدرة روحية عظيمة تتمثل في قيادة الثورة والبناء بعملياته الجريئة وواسعة النطاق وقدرته للاندفاع العنيد. إنه قاد الثورة والبناء بقدرته التنفيذية العنيدة المتمثلة في تخطيط كل الأعمال على نطاق واسع ودفعها قدما بهمة كي ينفذها حتى النهاية.

حتى عند تخطيط أي عمل، كان يضع هدفا عاليا يفوق تصور الناس، ويقوم بالعمل على نطاق واسع، وينفذ الهدف المرسوم حتى النهاية معتبرا إياه كمبدأ حديدي لا يمكن الخلاف له.

كان هويس البحر الغربي إحدى الشواهد الكثيرة على عصر حزب العمل، التي تظهر قدرته للاندفاع الثوري وقدرته التنفيذية العنيدة. بعد أن طرح المهام الأربع لتحويل الطبيعة في الدورة الكاملة الرابعة للجنة المركزية السادسة لحزب العمل الكوري في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٨١، بادر إلى بناء هويس البحر الغربي، ووضع خطة ضخمة لنقله إلى أرض الواقع.

حينذاك، طرح بعض الكوادر والخبراء خطة بناء السد أمام جزيرة واوو في مصب نهر دايدونغ، وحتى ذلك السد توقعوا بناءه في غضون عشرات السنين بالمقارنة مع بناء قناة الفولغا - الدون في الاتحاد السوفييتي السابق والقناة في مصب الدانوب في رومانيا.

مع ذلك، حدد الرئيس موقع بناء الهويس على امتداد ثمانية كيلومترات من البحر الهائج، بعد التقدم إلى البحر أبعد من الموقع الذي حدده الخبراء قائلا إنه لا يمكن بذلك حل مسألة المياه في الأراضي المغمورة بالمد تماما. وبالأخص، طرح هدفا جريئا لإنهاء بنائه في ظرف عدة سنوات فقط، لا عشرات السنين.

حينذاك، قال رجال أحد البلدان إن سد البحر الهائج على امتداد ثمانية

كيلومترات أمر رابع المستحيلات في ظروف عمق مياه البحر وشدة الفرق بين المد والجزر، وتبجحوا بأنهم سيسدون مضيق بيرنغ، إذا بنى الكوريون هويس البحر الغربي. ولكنهم اضطروا، أمام الروح المعنوية الصامدة التي يحملها الرئيس كيم إيل سونغ، إلى الاعتراف بأن رأيهم كان مخطئا تماما.

بفضل مخططاته الجريئة وواسعة النطاق وقدرته التنفيذية العنيدة، خلق الجنود البناة للجيش الشعبي الكوري وأبناء الشعب المعجزات التاريخية لبناء هويس البحر الغربي على أروع صورة خلال خمس سنوات فقط، بالاعتماد على المعدات والمستلزمات والتقنيات الذاتية.

كان من مبدأ عمله وأسلوبه للكفاح أن يسعى بجرأة إلى أي عمل مفيد للأجيال القادمة حتى في المستقبل البعيد حتى ولو كان غير عائد للوقت الحاضر واقتضى كثيرا من الاستثمارات والأيدي العاملة، ويدفع عجلته حتى النهاية.

في فترة ما، أعطى الرئيس العاملين في قطاع التنقيب الجيولوجي المهمة القاضية باكتشاف خام النحاس في منطقة كابسان. وبموجب أمره، قامت الجهة المعنية بالتنقيب عنه بتكرار من دون جدوى ما عدا إنفاق الأموال القيمة الكثيرة. ولذلك، طرحت مسألة استمرار التنقيب أم لا على بساط البحث.

حينذاك أيضا، أعطاهم الرئيس أموالا هائلة أكثر مما طلبوه، مؤكدا على ضرورة مواصلة التنقيب حتى اكتشفوا خام النحاس، وقال إنه لا بأس حتى لو لم تكتشفوا خام النحاس، وإذا لم تجدوه لننصب هناك لوحة الإشارة بعبارة لا تبحثوا عنه أكثر بعد الآن إذ أنه لا يوجد هنا، عندئذ، لن يعاني أفراد الأجيال القادمة شقاء اكتشافه ولذلك فإن إنفاق المبالغ الطائلة من

الأمـوال لاكتشـافه لا نشـعر الأسـف منـه.

لوجـود جرأتـه واسـعة الصـدر وقدرتـه للاندفـاع الكبيـر، اكتشـف أخيـرا قطـاع التنقيـب الجيولوجـي خـام النحـاس، ممـا أسـهم إسـهاما كبيـرا فـي تنميـة اقتصـاد البـلاد وتحسـين معيشـة الشـعب.

كمـا أن الرئيـس احتقـر أسـلوب العمل الذي يشـبه بالميـاه التي تغلي وتبرد بسـرعة فـي الطنجـرة، وحـرص علـى دفع أي عمـل قدما بـدأب ومثابرة حتـى النهاية.

أبـدى الرئيـس مثـالا قيمـا فـي أسـلوب النضـال المتمثـل فـي دفـع أي عمـل قدما بقـوة حتـى النهايـة، مـع القيـام بـه بجـرأة وعلـى نطـاق واسـع، منـذ اليـوم الأول لانطلاقـه إلـى طريـق النضـال الثـوري حتـى اليـوم الأخيـر مـن حياتـه العظيمـة.

بعـد أن وضـع أي سياسـة، لـم يتراجـع عنهـا ولـو خطـوة واحـدة، ولـم يتـردد أبـدا، مهمـا صـارت الظـروف معقـدة وقاسـية، ونفـذ السياسـة والخطـة المرسـومة حتـى النهايـة بصبـر وأنـاة وبقدرتـه الكفاحيـة التـي لا تليـن لهـا قنـاة.

فـي الاجتمـاع التشـاوري للكـوادر المسـؤولين فـي قطـاع الصناعـة الكيميائيـة المنعقـد فـي آذار/ مـارس عـام ١٩٨٧، أكـد الرئيـس علـى ضـرورة تطويـر الصناعـة الكيماويـة وإشـاعة الجـو الثـوري للعيـش علـى طريقتنـا فـي أوسـاط الكـوادر، قائـلا إن والـده قـال لـه فـي الماضـي إن أكبـر عيـوب الكوريين هـو مباشـرة عملهم علـى غـرار الميـاه التـي تغلـي وتبـرد بسـرعة فـي الطنجـرة، فـلا بـد مـن القضـاء علـى هـذا الأسـلوب حتمـا. وتابـع يقـول إنـه لـو لـم يتلـق تلـك التربيـة مـن والـده لمـا اسـتطاع أن يتغلـب علـى محـن النضـال المسـلح الشـاق ضـد اليابـان فـي أعمـاق الجبـال لمـدة خمـس عشـرة سـنة، وأوصـى بجديـة أنـه يتعيـن علـى الكـوادر أن يتخلصـوا تمامـا مـن أسـلوب العمـل علـى غـرار الميـاه التـي تغلـي وتبـرد بسـرعة فـي الطنجـرة، ويدفعـوا كل الأعمـال قدمـا بصبـر وأنـاة.

وفي إحدى الفرص التي أعطى فيها التعليمات الخاصة بضرورة غرس الكثير من الفاصوليا المعرشة، أشار إلى وجوب القضاء على ذلك الأسلوب وقال إن الفاصوليا تحتوي على البروتين بكمية كبيرة، وكان سكان محافظة هامكيونغ متميزين بطول القامة ومتانة البنيان إذ أنهم تناولوا كثيرا من الفاصوليا، رغم أنهم لم يأكلوا بيض الدجاج، وحينما تم تحليل كمية احتواء الفاصوليا على البروتين، يمكننا أن نعرف أن الخمسين حبة من الفاصوليا تساوي بيضة واحدة، وقد زرع أهالي محافظة زاكانغ الفاصوليا المعرشة على نطاق واسع في الماضي، ولكنهم لا يزرعونها الآن إلا قليلا. لا يدفع أناسنا عجلة أي عمل قدما بدأب ومثابرة حتى النهاية بل إنهم يتخلون عنه بعد مرور وقت معين، هذا هو بالذات علة كبيرة لرجالنا، فينبغي لنا أن نشن حركة مشددة لزرع الفاصوليا بكميات كبيرة.

كما أن الرئيس كان جريئا جدا مجد طول حياته بروح الهجوم الصامد المتمثلة في مواجهة أي عسر دون خوف.

قاد الرئيس بجرأته المعهودة الثورة الكورية والحرب والخلق والبناء إلى طريق النصر. كان لديه جرأة خاصة به، يحطم بها كل أنواع الجور ويطوع الطبيعة القاسية مدفوعا بروحه المعنوية التي لا تنثني. كانت جرأته تلك هي روح الهجوم لمواجهة أي عدو جرار، والشجاعة الكبيرة التي لا تعرف المستحيل، ورباطة الجأش التي لا تعرف وجلا وترددا.

كانت روح الهجوم لمواجهة أي عمل بالمبادرة منه هي الروح المعنوية التي تحلى بها الرئيس على مدى حياته.

كتب الرئيس في مذكراته كما يلي:

«إنني أميل في حياتي عموما إلى الهجوم وليس إلى الدفاع. فمنذ

اليوم الأول الذي انطلقت فيه على طريق الثورة وحتى يومنا هذا، كنت أسترشد على الدوام بتكتيك التقدم، أي المضي إلى الأمام. ولم أكن أتردد أو أنهار أمام المصاعب. كما أنني لم أكن أتجنب تلك المصاعب أو أتهرب منها.»

كما كتب بتأثر أننا استفدنا أساسا من هذا التكتيك الهجومي، التقدم إلى الأمام في مختلف مراحل تطور الثورة، انطلاقا من متطلبات مسيرة ثورتنا الشاقة والمعقدة. ولو أننا تمسكنا بالدفاع أو الانسحاب أو الالتفاف فقط في دوامة الوضع السياسي المعقد الذي مر به العالم في القرن العشرين، لما استطعنا التغلب على العقبات التي برزت في طريق ثورتنا. لهذا السبب، مازلت حتى اليوم أعتبر أن الاستراتيجية الثورية التي واجهنا بها الوضع المعاكس وحولناه إلى وضع مؤات هي استراتيجية صحيحة ألف مرة.

إن التكتيك الهجومي الذي التزم به طوال حياته، كان تظاهرا مركزا لجرأته منقطعة النظير. كان الرئيس يتغلب على كل الصعاب بروح الهجوم، التقدم إلى الأمام بمبادرة منه معانيا كل أنواع الآلام، منذ الفترة الأولى من نشاطاته الثورية، وفي فترة النضال المسلح المناهض لليابان أيضا، كان يواجه حتى الموت بجرأته الكبيرة كلما واجهته المخاطر، حتى حول العسر إلى يسر، والمصيبة إلى بركة.

في الواقع، كانت كل لحظة من لحظات القتال ضد اليابان أوقات قتال مصيري بين أشداق الموت. كان من الأمر الطبيعي جدا أن كتب الشاعر ري تشان عقب التحرير في قصيدة التمجيد الخالدة «نشيد القائد كيم إيل سونغ» عبارة تقول: «على سفوحك يا زانغبايك آثار دامية،

على ضفاف نهر آمروك آثار دامية». بيد أن الرئيس لم يكن يرخي أو يغير ولو مرة روح الهجوم المتمثلة في التقدم إلى الأمام بالمبادرة منه دائما في كل مرحلة من مراحل الموت التي لا تعد ولا تحصى وفي كل ساحات القتال المصيري.

في تاريخ النضال المسلح الدامي المناهض لليابان، الذي خاضه بجرأته الصامدة، كان أمر محفوف بالمخاطر حيث ذلل الأزمة بممارسة المسيرة جهارا في وضح النهار أمام أعين الأعداء المتهورين في «الحملة التأديبية»، من جرأته الفريدة.

ابتدأت تلك المسيرة من التل الواقع خلف قرية جيازايشوي بمحافظة تشانغباي في شباط/ فبراير عام ١٩٣٩. آنذاك انتقلت الوحدة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري إلى نشاطات التشتت، فلم يبق في هيئة القيادة إلا عدد قليل من الأفراد. مع ذلك، أصبح العدو يعرف مكان هيئة القيادة بمحض الصدفة. إذا توانى الباقون ولو هنيهة وتحيروا قليلا، باتت كل الأمور على كف عفريت.

ففي هذا الوضع الحرج، قرر الرئيس مغادرة التل الواقع خلف قرية جيازايشوى واجتياز السهل الواسع في وضح النهار. وأمر أفراد هيئة القيادة بعدم التوقف مطلقا سواء لحقهم العدو أم لا.

في تلك اللحظة، سأله آمر الوحدة أو بايك ريونغ قائلا:

«أيها القائد، إن بدأنا المسير سيفتح العدو نيران بطاريات مدفعيته علينا فكيف سنجتاز الأراضي المنبسطة؟». لم يكن أو بايك ريونغ يعصي أمره ولو مرة واحدة، ولكنه اعتبر ذلك أمرا مستعصيا جدا للمسير.

فأجابه الرئيس قائلا: لا تقل كيف، وإنما ضع مدفعا رشاشا في

المقدمة وثان في المؤخرة، يجب أن نشق طريقنا بالقوة، وافتح النار على العدو حيثما يظهر في مقدمتنا أم وراءنا. فليس أمامنا خيار آخر. طرح هذه الخطة على أساس تصميمه لنزع روح العدو بجرأته المعهودة ومعالجة الأزمة عن طريق التقدم نحو العدو بجرأته الحازمة في الوضع الحرج للغاية.

من الغرابة أن العدو المرابط في جيازايشوي لم يلمس جيش حرب العصابات عند مروره من أمامه وإنما نظروا إليه من بطاريات مدفعيتهم، إذ أنه كان مغلوبا عليه لجسارته في التحرك نهارا. فحين اجتاز آمرو جيش حرب العصابات ومقاتلوه السهل المفتوح في وضح النهار دون أية مشاكل ووصلوا إلى الغابة، أدركوا أن جرأته الكبيرة كانت هي بالذات خطة جسورة لدحر الأزمة.

قال الرئيس مستحضرا في ذاكرته ذلك اليوم ما يلي: وجد المقاتلون أنفسهم مندهشين، حين رأوا الأعداء لم يعطسوا وإنما نظروا إليهم من مواقعهم. فعندما تكون في زاوية ضيقة عليك باتخاذ أمر حاسم وتجاهل المخاطر والقتال، وإن كنت لا تخشى الموت ستقدر على تجاوز المصاعب مهما كانت.

حين حاصر الآلاف من جنود العدو الوحدة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري في سياوتانغهي في ربيع عام ١٩٣٧، استشف الرئيس بصواب نقطة ضعف الأعداء الذين يشحذون أعصابهم نحو منطقة الغابات فقط، وسار بوحدته على الطريق العام إلى منطقة السكان بمنتهى الجسارة، حتى تخلص من الموقف الحرج وأنقذ وحدته.

أما تكتيك الانطلاق إلى منطقة السكان والمسيرة على الطريق، الذي

خططه الرئيس على تل سياوتانغهي، فهو كان مغامرة قابلة للنجاح تماما. لو كان رأى بارقة الأمل الساطعة في المغامرة لعاد سببه إلى أن تلك المغامرة كانت تنطلق من روح الهجوم الثابتة لتحويل العسر إلى يسر والانتقال من السلبية إلى مبادرة، والحساب العلمي لضعف العدو. حقا إن المغامرة المتوفقة التي لا تخطئ الهدف أبدا، كانت أسلوبا فريدا للهجوم لا يمكن لأي شخص آخر أن يتبناه إلا الرئيس الذي يتحلى بالجرأة الجسورة القائلة بأنه لا بد من طريق للخلاص حتى لو أطبقت السماء.

أثناء عمليات التقدم إلى منطقة موسان في ربيع عام ١٩٣٩ ، أوصى الرئيس بالمسيرة في وضح النهار على طريق الحراسة الخاضع للتفتيش قبل تدشينه بين كابسان وموسان الذي بناه الإمبرياليون اليابانيون بغية ممارسة عمليات «التأديب» ضد جيش حرب العصابات، مما صعق الأعداء.

انطلاقا من روح الهجوم الصامدة هذه، حين أشعل الإمبرياليون الأمريكيون المتبجحون بـ «الأقوى» في العالم بعد الحرب العالمية الثانية نيران الحرب العدوانية ضد جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية الفتية، أصدر أمرا بالانتقال إلى هجوم معاكس فوري دون تردد، فحررت وحدات الجيش الشعبي الكوري سيؤول بعد ثلاثة أيام فقط، وحشرت المعتدين ودفعتهم في المناطق الضيقة إلى الجنوب من نهر راكدونغ خلال مدة لا تزيد على شهر واحد إلا قليلا، حتى منوا بـ «الهزيمة النكراء الأكثر عارا وذلا في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية»، وحين وقعت حادثتا سفينة التجسس المسلحة الأمريكية «بويبلو» وطائرة التجسس الكبيرة الأمريكية «إي سي - ١٢١» في ستينات القرن الماضي، أحبط محاولات العدو للغزو بإيضاح موقفه الحازم القائل بأنه سيرد على «انتقام» الإمبرياليين

الأمريكيين بالانتقام، وعلى الحرب الشاملة بالحرب الشاملة.

بحلول تسعينات القرن الماضي، حينما طالبت الولايات المتحدة بالتفتيش النووي الجائر بتحريض الوكالة الدولية للطاقة الذرية، حطم الرئيس كبرياءهم بإعلان جريء عن مواجهتنا الحازمة للولايات المتحدة قائلا إنه إذا حاولت في فرض الضغوط علينا سنرد على ذلك بحزم، وإنه لمن الأمر السخيف أن تحاول في إخضاعنا بفرض الضغوط علينا، وإننا سنوجه ضربة الرد القوية فورا.

بما أنه كان يواجه كل المخاطر بخوض معركة الهجوم الجريئة دون تردد، من أجل الثورة والوطن والشعب فقضى أغلب أوقاته على خط الجبهة الأمامي سواء في فترة الحرب ضد اليابان أو فترة حرب التحرير الوطنية.

في يوم ١٨ من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٦، قال الرئيس في كلمته أمام كوادر اللجنة المركزية لحزب العمل الكوري ما يلي:

«عندما كنت منخرطا في حرب العصابات من قبل، اعتدت أن أقحم معمعان الخطر، من غير مبالاة بوابل الرصاص المنهمر، ولكن الرصاص لم يكن يصيب سوى مزودي العسكري، وليس جسدي قط. وأنتم أيها الرفاق، لن تتسنى لكم مواصلة القيام بعملكم الثوري إلا عندما تتحلون بمثل هذه العقيدة الثورية.»

في أيام نضاله ضد اليابان، كان مقر القيادة دائما في ساحة الوغى الأشد ضراوة حيث قاد المعركة، ممسكا بمسدس الرشاش في يده. في المعركة التي دارت في وادي داشاهي مثلا، كانت فوهات بنادق العدو مركزة على هيئة القيادة، لكن الرئيس ألقى بنفسه دون تردد في ساحة القتال المصيري

مجازفا بحياته. حينا كان ينخرط في معركة الاقتحام ممسكا بالرشاش، وحينا آخر كان يطلق النيران على الأعداء المطاردين خلف الصفوف. مثل تلك الأحوال لم تكن مرة أو مرتين.

في فترة حرب التحرير الوطنية أيضا، تقدم الرئيس دون تردد إلى منطقة مرتفع ١٢١١ الواقع على خط الجبهة الأمامي الذي يتدفق عليه وابل من الرصاص والقذائف، ليلهم المقاتلين إلى النصر في الحرب.

في يوم ٢٣ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥١، توقفت سيارة الرئيس عند سفح جبل زيكدونغ في الجبهة الأمامية ولم تستطع أن تتقدم أكثر. ترجل الرئيس من السيارة، وألقى بنظرته إلى الجبال ومرتفعات الجبهة المتلبدة بدخان النيران لبرهات، وقال للمرافقين إنه يجب مواصلة المسير ماشيا إذا صارت السيارة عاجزة عن مواصلة السير ونقل خطوته إلى الطريق المليئة بحفر القنابل وجذوع الأشجار المقطوعة.

منعه المرافقون مقلقين على سلامته، ولكن الرئيس قال لهم إنه إذا مشينا مفكرين في الجنود الذين يقاتلون في المرتفع فلن نشعر بالتعب والخطر، وعبر ماشيا الجبل الوعر البالغ ارتفاعه أكثر من ١١٠٠ متر عن سطح البحر وصعد المرتفع ١٢٣٧,٣ الذي يتصل مباشرة بالمرتفع ١٢١١.

آنذاك، كان العدو يلقي على المرتفع ١٢١١ ٣٠ ألف إلى ٤٠ ألف قنبلة وقذيفة كل يوم، متشدقين بـ «أشد قصف مدفعي»، و«أشد قصف جوي»، وواصلوا هجومهم على المرتفع على شكل الأمواج بزج الجنود المأجورين تحت حماية عدد كبير من الدبابات، حتى مضى يوم وانبلج يوم جديد بالمعارك الضارية ضد الأعداء الذين ينقضون على المدافعين عن المرتفع كقطعان الذئاب الجائعة. احترقت كل الغابات الكثيفة، وتكسرت الصخور

حتى تشتتت شذر مذر. لشدة القصف الجوي والمدفعي، اندفع حتى السنجاب إلى أحضان مقاتلي الجيش الشعبي بحثا عن ملجأه.

لكن الرئيس وقف بشموخ وتأمل ساحة المعركة بالمنظار والتي ترتج بالقصف وتتلبد بالدخان الأسود، وأعلم الضباط الآمرين باتجاه الضربات الرئيسي للعدو قائلا إن «المرتفع ١٢١١ مرتفع هام جدا من الناحية الاستراتيجية». وأوضح لهم المشاريع العملياتية والتكتيكية بالتفصيل للدفاع عن المرتفع ١٢١١، مؤكدا على ضرورة الدفاع عنه بالأرواح.

استلهاما من تعليماته القيمة هذه على خط الجبهة الأمامي، قاتل ضباط الجيش الشعبي وجنوده ببسالة دفاعا عن المرتفع بدمائهم وهم يهتفون بصوت عال شعار إيمانهم «من أجل الرفيق القائد الأعلى!»، وحطموا تماما «الهجوم الصيفي» للعدو.

وأخيرا، أحرز الشعب الكوري الانتصار الباهر في حرب التحرير الوطنية الضروس، وكان هذا الانتصار انتصارا أتت به الروح المعنوية الصامدة والجرأة الجسارة التي أظهرها الرئيس باذلا نفسه كليا في النضال من أجل الوطن والشعب، وبتلك الروح المعنوية الصامدة والجرأة الكبيرة، استطاع الشعب الكوري أن يجترح معجزات نادرة في الدفاع عن الاشتراكية والإبداع والبناء على مدى عشرات السنين.

كان الرئيس كيم إيل سونغ جريئا نادرا قاد الثورة والبناء إلى النصر المؤزر.

أثناء فترة النضال المسلح المناهض لليابان، صنع المقاتلون وأبناء الشعب في مناطق حرب العصابات البارود بأيديهم مدفوعين مما غرسه

الرئيس في قلوبهم من الروح الثورية الصامدة والإيمان الحديدي والجرأة المتمثلة في أنه ليس ثمة أمر مستحيل إذا عزموا على أدائه.

اعتزم الرئيس في ذلك الحين على صنع البارود بالقوة الذاتية، بعد التخلص بجرأة من الأسلوب الخطير السابق للحصول على البارود. قال بعض الناس حينذاك إن ذلك مستحيل. لكن الرئيس قال إن الإنسان يمكن صنع أي شيء إذا اعتزم على ذلك. وما دام أسلافنا قد صنعوا البارود بأيديهم، لماذا لا يصنعه أخلافهم. وبتلك الجرأة، بدأ الرئيس بدراسة تاريخ صنع البارود والمعلومات الخاصة به، وأخيرا، توصل إلى استنتاج لصنع نترات البوتاسيوم، وهي المادة الرئيسية للبارود بالأسلوب الشعبي أيضا، لأن نترات البوتاسيوم كان من الممكن صنعها في كل مكان يعيش فيه الإنسان، ويمكن رؤيتها في كل مكان. فإن الرئيس توجه بأفراد مشغل السلاح إلى كومة الرماد والدبال في فناء بيت أحد الشيوخ، وقال لهم إن هذه المادة البيضاء المشبهة بالملح في كومة الدبال هي بالذات نترات البوتاسيوم. بعد أن رآها أفراد مشغل السلاح بأم أعينهم، انفجروا ضاحكين، وهم يقولون إنهم كانوا مشبهين بجد يبحث عن غليونه ممسكا به في يده.

أخيرا، نجح الرئيس في إيجاد النسبة المعقولة لمواد البارود من خلال الاختبارات المتكررة، بحيث صار من الممكن صنع البارود بالقوة الذاتية في قاعدة جيش حرب العصابات وصنع قنابل اليد به.

لم يسمح الرئيس طوال حياته بأسلوب التفكير من التبعية للدول الكبيرة والعدمية القومية التي تجد تعبيرا عنها في أن يشعر بعض الناس بإعجاب كبير حين سمعوا أي أجنبي اخترع شيئا ما، لكنهم يهزون أولا رؤوسهم مشككين، حين سمعوا أي كوري اخترع شيئا ما.

بفضل تلك الجرأة الكبيرة التي حملها الرئيس، استطاعت كوريا الديمقراطية أن تزرع الذرة على نطاق واسع، بعد الحرب.

حين طرح الرئيس مسألة زرع الذرة على نطاق واسع كمسألة هامة، تشكك فيها بعض المحافظين وعارضوها، ولكن الرئيس دفعها بجرأة على نطاق الدولة حتى النهاية، وسط التأييد والدعم الإيجابيين من جانب جماهير الشعب، محطما التحفظية والسلبية، بحيث صار من الممكن حل مسألة الحبوب الغذائية الصعبة بعد الحرب.

كان الرئيس يحل كل المسائل برباطة الجأش ويحول العسر إلى يسر والمصيبة إلى بركة حتى في أسوأ الأوضاع والظروف.

في يوم من أيام التراجع المؤقت الاستراتيجي في فترة حرب التحرير الوطنية الماضية، دعا الرئيس إليه آمر فوج الحراسة وكلفه بمهمة تنظيم مسير سرية الحرس الخاص بالأغاني في شوارع مدينة بيونغ يانغ. ارتج آمر الفوج لهذا الأمر للحظة، إذ أنه كان يعرف جيدا خطر حالة الجبهة في ذلك الحين. فقد نشأ وضع حرج حالا في الدفاع عن العاصمة أيضا إذ أن الجيش الشعبي اضطر إلى التراجع بعد تقدمه السريع إلى الجنوب كموجة هائجة، مما أوقع سكان العاصمة في حيرة وقنوط. وقد تقدم العدو حتى إلى مكان قريب من وسط العاصمة، لا يبعد عنها إلا بعدة الكيلومترات، وكانت أعمدة النيران ودخانها تتصاعد منه. ولكن الرئيس كان باقيا برباطة الجأش في مقر هيئة القيادة ببيونغ يانغ ونظم مسير سرية الحرس الخاص بالأغاني في الشوارع، بغرض بث الثقة بالنصر في نفوس سكان العاصمة وجميع أبناء الشعب لمواجهة أوضاع الحرب المتغيرة سريعا.

بعد تلقي أمر الرئيس، بدأ أفراد سرية الحرس الخاص بالمسير، مغنين بنشاط الأغاني. بعد أن سمع سكان العاصمة صوت «أغنية الدفاع عن الوطن» التي يغنونها، اندفع آلافهم إلى شوارع العاصمة التي وقعت في جو الكآبة قبيل التراجع وصاحوا فرحين في نفوسهم: إن سرية الحرس الخاص تكون معنا. ما دامت هذه السرية باقية، لا شك في أن القائد الأعلى أيضا سيكون الآن قريبا منا. إن النصر سيكون حليفا معنا، طالما أن القائد الأعلى يبقى بهدوء البال.

في ذلك الحين، لم يغادر الرئيس العاصمة مع سرية الحرس الخاص إلا بعد أن تراجعت جميع الأجهزة القائمة في مدينة بيونغ يانغ.

هكذا، صارت رباطة الجأش التي أبداها الرئيس في أوقات التراجع الحرجة قوة جبارة تزيل شعور التشاؤم والقلق على مصير الحرب من قلوب الشعب.

طوال عشرات السنين بعد الحرب أيضا، كان الرئيس يقود الشعب الكوري برباطة الجأش دائما، منوها بأن البناء الاشتراكي يجب القيام به حتى الساعة الرابعة والعشرين في ليلة اليوم، إذا انفجرت حرب حالا في الغد في ظروف تهور الإمبرياليين الأمريكيين وعملائهم في جمهورية كوريا بجنون لإشعال نيران حرب جديدة.

وفي ستينات القرن الماضي، حين دفع الإمبرياليون الأمريكيون بالوضع في شبه الجزيرة الكورية إلى حافة الحرب بعد إثارة أزمة البحر الكاريبي وحادثة خليج باكابو، ألهم الرئيس الشعب والجيش الكوري القوة والعزم قائلا إن القصور في بناء الاقتصاد بدعوى خراب كل شيء عند انفجار حرب ما هو إلا تعبير عن التشاؤم الذي يجعل الناس يستغرقون في الخوف

واليأس ويفقدون الثقة، فلا يجوز أن نفكر في خراب كل شيء إذا انفجرت حرب بل علينا أن نفكر في سحق الأعداء ونواصل البناء حتى الساعة الرابعة والعشرين في ليلة اليوم إذا انفجرت حرب حالا في الغد.

كانت عقيدة الرئيس هي أن كل ما بني لا يصاب بالخراب التام حتى إذا اندلعت حرب، ولو دمر تماما ليكفينا الأمر بإعادة بنائه، ويمكن بناء كل شيء على نحو أفضل من الآن.

إذا كان الإمبرياليون الأمريكيون عاجزين عن إشعال نيران حرب جديدة في كوريا لعشرات السنين الماضية، فإن ذلك ليس إطلاقا لأن الشعب الكوري قد تسلح بالأسلحة والأعتدة العسكرية الحديثة، بل لأنهم لم يستطيعوا أن يواجهوا الرئيس الذي يحمل إيمانا صلبا صلابة الحديد والصخرة وجرأة فريدة تتغلب حتى على السماء.

حقا إن الرئيس كيم إيل سونغ كان جريئا فريدا وأعلى مجسد للروح المعنوية الصلبة يقود كوريا الاشتراكية شعبا وجيشا.

حماسة متأججة

كان الرئيس كيم إيل سونغ مالك حماسة متأججة ورجلا غيورا عظيما تغلب على كل الصعاب بالحماسة وحقق المآثر الخالدة بالحماسة أيضا.

كان طول حياته حياة مفعمة بالحماسة الفوقبشرية بكل معنى الكلمة.

منذ أول فترة من انطلاقه على طريق النضال الثوري، أحرق نفسه جسدا وروحا بتفانيه غير المحدود للثورة وحبه الحار للشعب وحماسته المتأججة.

كانت نشاطاته المتحمسة العائدة إلى ثمانين عاما أحد العوامل الأكبر شأنا لقيادة الشعب الكوري بقوة على طريق النصر. بفضل قيادته المتحمسة الدؤوب تخلصت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية من التخلف والفقر الدهري، ونهضت كدولة اشتراكية قوية تأخذ بأسباب السيادة والاستقلال الاقتصادي والدفاع الذاتي، وظهرت اليوم بجدارة أمام العالم.

ذات مرة، سأله رئيس أحد البلدان في جنوب شرقي آسيا كم ساعة يأخذ راحة في اليوم الواحد.

رد عليه الرئيس قائلا: «سألتني كم ساعة أنام في اليوم الواحد. كنت آوي إلى الفراش في وقت متأخر من الليل وأستيقظ من النوم مبكرا في الفجر، منذ قيامي بالنضال الثوري المناهض لليابان. والآن، تعودت على ذلك، وفي بعض الأحيان، كنت أعمل حتى الفجر».

كان الرئيس يعيش طوال حياته مقلقا على ضيق الوقت. بذلك القدر، كان يعمل كل ساعة كمائة أو ألف يوم. لم يكن يتخصص له حتى يوم واحد

يستطيع أن يأخذ راحة فيه مرتاح البال سواء في أيام الحرب ضد اليابان أو في أيام بناء الوطن الجديد أو أيام حرب التحرير الوطنية الضروس أو في فترة إعادة الإعمار والبناء لما بعد الحرب أو فترة بناء الاشتراكية.

حين رجا الكوادر منه أن يحجم عن العمل حتى إلى وقت متأخر من الليل والابتداء بالعمل في الفجر بعد الاستيقاظ من النوم في وقت أبكر من الآخرين، قال الرئيس مبتسما بتسامح إن العادة المتعودة عليه لا تزول منه، واستطرد قائلا بهدوء:

«إن استيقاظي من النوم مبكرا هو ما تعودت عليه منذ زمن طويل في حياتي.

...

حين كنا نخوض النضال ضد اليابان، كان العدو يهاجم علينا عند الفجر حتما، حيث كنا مستغرقين في السبات بعد المسير طول الليلة. يمكن القول إن العدو استفاد من الفرصة السانحة جدا. إذ في ذلك الوقت، كنا نائمين دون وعي منا لفرط من التعب والإرهاق.

طالما أن الوضع يغدو هكذا، كيف أستطيع أنا المسؤول عن مصير الوحدة أن أخلد إلى النوم مطمئنا. منذ ذلك الحين، كان النوم يخونني إذا حل الفجر. ...»

وأردف قائلا بعد برهات أنني وعدت مع رفاقي أن أقبل طلبهم بعد التحرير، ولكن الأعمال الهائلة كانت تنتظرني بعد ذلك أيضا، حتى لم يأتني النوم في الفجر مثلما كنت في الجبل. ولذلك، قلت للرفاق الذين يقلقون علي إني سأنام بهدوء بالي بعد بناء الحزب والدولة والجيش، ولكن بعد ذلك، نشبت الحرب وبعدها، بدأت إعادة البناء، وتلاها تقدمنا الكبير

بـروح تشـوليما. وفـي حالـة تخلفنـا عـن الآخريـن، كيـف نسـتطيع أن نلحـق بهـم ونتقـدم عليهـم، إذا كنـا ننـام ونسـتريح بمـلء رغبتنـا، وفـي النهايـة، لـم تسـمحني الحيـاة أن أبقـى راقـدا بهـدوء البـال فـي الصبـاح، وعلـى ذلـك، ترسـخت تلـك العـادة فـي حياتـي. ربمـا لـن أسـتطيع أن أصحـح عادتـي فـي الاسـتيقاظ مـن النـوم مبكـرا طـوال حياتـي، وإن الصحـة ملزمـة للثـورة، ولا يسـتطيع الرجـل الثـوري أن يتوقـف ولـو لحظـة عـن العمـل الثـوري.

حقـا كان الرئيـس رجـلا ثوريـا غيـورا أحـرق نفسـه كليـا بلهـب الحماسـة المبذولـة للوطـن والشـعب.

حيـن كان يهيـئ وثائـق الـدورة الكاملـة الثالثـة للجنـة المركزيـة للحـزب فـي قريـة هيانغهـا بقضـاء زانغكانـغ مـن محافظـة زاكانـغ فـي كانـون الأول/ ديسـمبر عـام ١٩٥٠ أثنـاء فتـرة حـرب التحريـر الوطنيـة أيضـا، سـهر طـول الليلتيـن. إذا داهمـه النعـاس أثنـاء كتابـة التقريـر، خـرج إلـى عيـن المـاء، وغسـل وجهـه بالمـاء البـارد ليطـرد النعـاس.

وحيـن قلـق مرافقـوه العسـكريون علـى صحتـه، قـال لهـم بـدفء قلبـه إن الحـرب هـي مواجهـة الإيمـان والإرادة، وفـي الوقـت ذاتـه مواجهـة الحماسـة أيضـا، فـلا بـد لنـا أن نقـرب يـوم النصـر فـي الحـرب مظهريـن حماسـة ملتهبـة، مهمـا تكـن المحـن قاسـية. هكـذا، أكمـل كتابـة التقريـر سـاهرا طـول الليلتيـن، وفـي صبـاح اليـوم التالـي، قـدم تقريـرا تاريخيـا فـي الـدورة الكاملـة الثالثـة للجنـة الحـزب المركزيـة دون أخـذ قسـط مـن الراحـة.

وفـي أحـد الأيـام مـن تشـرين الثانـي/ نوفمبـر عـام ١٩٦٨، غـادر الرئيـس بيونـغ يانـغ فـي الصبـاح المبكـر، ليوجـه شـؤون مزرعـة ريونغكانـغ للدجـاج (فـي ذلـك الحيـن) فـي محافظـة بيونغـآن الجنوبيـة.

بعد أن عقد الرئيس عدة الجلسات التشاورية لبضعة أيام مع مسؤولي مجلس الوزراء والكوادر في مدينة بيونغ يانغ والمحافظات بشأن تنمية تربية الطيور الداجنة وتحسين معيشة الشعب، غادر هكذا للاطلاع على الحالة الواقعية على الطبيعة واتخاذ الإجراءات اللازمة.

بعد أن تفقد حتى مزرعة ريونغكانغ لتربية الأبقار الحلوب، توجه إلى مزرعة تشونغسان التعاونية حيث وجه الاجتماع التشاوري للكوادر في مزرعة كانغسو للدجاج ومزرعة ريونغكانغ للدجاج، ومزرعة ريونغكانغ لتربية الأبقار الحلوب، ومزرعة تشونغسان التعاونية حتى تجاوز الوقت الساعة الثالثة عشرة بحيث لم يستطع أن يأخذ قسطا من الراحة.

في وقت الغداء، دعا الكوادر الرئيس إلى المطعم، ولكنه منعهم قائلا إن الوقت لا يتسع له إذ أن الأشغال الكثيرة تنتظره هذا اليوم، ويكفيه أن يتناول أي طعام داخل العربة، وسد جوعه بما أعده سابقا من بضع حبات البطاطا المسلوقة والخبز، وواصل سلوك طريق توجيهاته الميدانية.

وفور عودته إلى بيونغ يانغ، اتجه مباشرة إلى إحدى الغرف في مبنى لجنة الحزب المركزية، ليعاين عينات الملابس الشتوية التي وزعت حديثا على التلاميذ والأطفال.

وسرعان ما مضت الأوقات حتى تجاوز وقت العودة إلى المنزل مساء.

طلب كادر من الرئيس أن يعود إلى بيته، لكنه قال له إن الطقس يزداد بردا يوما بعد يوم، فإنه لا يستطيع أن يطمئن باله لمسألة التدفئة المركزية في مدينة بيونغ يانغ، ويضاف إلى ذلك، أنه يجب أن يتعرف على كيفية ترتيب المرافق التسهيلية ودور الحضانة ورياض الأطفال، وتوجه مباشرة إلى إحدى الوحدات السكنية في حي زونغ من مدينة بيونغ يانغ ليطلع

بالتفصيل على حالة معيشة سكانها، وبعد ذلك كله، عاد إلى مكتبه في منتصف الليل، وأخذ العمل مرة أخرى.

في هذه الليلة، كتب الرئيس مؤلفين أحدهما «في شأن تخفيف الضغط على النقل» (١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٨)، والآخر «بعض المسائل المتعلقة بشؤون إدارة العمل» (١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٨)، وقام من مقعده للعودة إلى المنزل بعد مضي الهزيع الثالث من الليل كثيرا، ومع ذلك، وضع في الحقيبة مسودة الوثيقة التي كان يكتبها قائلا إنه يجب إكمالها في البيت.

بالنظر إلى أنه كان يستيقظ كل يوم في الساعة الرابعة فجرا، نام في هذه الليلة نحو ساعتين فقط. هكذا، مضت حياته كل يوم.

كان الرئيس يعمل بحماسة ملتهبة تفوق حدود قدرة الإنسان الجسدية. قلقا على صحته، طلب منه الكوادر في أحد أيام الآحاد أن يأخذ راحة ولو في ذلك اليوم وحده، لكنه قال لهم مبتسما:

«الراحة ليست أمرا خاصا. تفقد المصنع أو الريف متجولا في أنحائه هو أفضل راحة. إذا توليت عملا جديدا بعد أداء عمل آخر حين تراكمت مختلف الأعمال المعقدة، فإني أشعر بالمزاج الجديد. ما دام الأمر هكذا، يكون ذلك أيضا راحة بالنسبة لي. كما أني أشعر بسرور أكبر، حين وجدت حلقة لحل مسألة فكرتها مليا أو تناولت مسألة لم أفكرها بعد اللقاء بالعديد من الناس. كل ذلك هو راحة طيبة لي. فلا حاجة بي إلى الراحة الخاصة.»

هكذا، قضى الرئيس طول حياته بالعمل، دون أن يعرف راحة بعيدة عن العمل.

كثيرا ما قال الرئيس للكوادر إن الثورة يمكن صنعها، حينما نعمل بحماسة ملتهبة دون أن نحس بمضي أوقات الليل والوجبات، ولو نسقط منهوكي القوى أثناء العمل في الغد.

لم تكن نشاطاته الغيورة مقتصرة على الخط الزمني فقط، بل إنه كان يسلك كثيرا من الطرق الوعرة والشاقة في الأيام الكئيبة طوال حياته.

فقد شق براري بايكدو أكثر من غيره من أجل تحرير الوطن، وبعد التحرير، سلك الطرق غير المطروقة لبناء الوطن الجديد أولا وقبل غيره. طوال عشرات السنين من حياته الثورية أمضى الرئيس كل يوم منها بالأعمال المشحونة بحماسته الملتهبة وكان يسلك حتى أقسى الطرق غير عابئ بالطقس الكئيب.

كان يوم ٢٦ من آب/ أغسطس عام ١٩٦٦ يوما كئيبا جدا، حيث كانت الرياح تزأر والأمواج تهدر في البحر. لكن الرئيس اعتزم هذا اليوم على التوجه إلى جزيرة بيدان في البحر الغربي من أجل حل مسألة لبس الشعب. رغم أن اللجنة السياسية للجنة الحزب المركزية أصدرت قرارا لعدم ذهابه إلى جزيرة بيدان لشدة سوء الطقس، لكن الرئيس شق طريق البحر الهائج قائلا إن ذلك أمر اعتزم عليه من أجل الشعب، فلا بد له أن يذهب إلى الجزيرة، ولو يتبلل بالمطر. حين بلغ الرئيس ومرافقوه الجزيرة، كانت كل الدروب فيها قد تحولت إلى وحل، بحيث لا يمكن نقل الأقدام، حتى بقي الكوادر مترددين، لكن الرئيس مشى أمامهم قائلا: لماذا وصلنا إلى هذه الجزيرة، إذا اقتصرنا على تفقدها الشكلي؟

يحتفظ متحف الثورة الكورية حتى الآن بالمعطف العسكري البسيط الذي كان يرتديه الرئيس دائما أثناء توجيهاته الميدانية لما بعد الحرب. هذا

المعطف البالي باهت اللون يرتبط بما بذله الرئيس من الجهود المضنية والمودة الحارة لأبناء الشعب على طريق توجيهاته الميدانية المتوالية. كان الرئيس يسلك مع هذا المعطف طرقا طويلة حقا دون أخذ قسط من الراحة من أجل إنقاذ مصير الثورة والوطن والأمة من الأزمة وتوفير الحياة السخية والمتمدنة للشعب الكوري.

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا غيورا كرس نفسه كليا من أجل الوطن والشعب حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

لقد اجترح في حياته المآثر العظيمة التي يستعصى تحقيقها حتى في عدة الأجيال. فليس من الصدفة أن يشيد به العالم عاليا قائلا إنه رجل بارز يمثل القرن العشرين. إذ أن مآثره المنجزة في حياته تكون عظيمة بما لا يمكن وصفها بعدة كلام أو نصب تذكاري ضخم.

كان قطاره الموجه إلى الشعب الذي أطلق صفيره الأول في فجر بناء كوريا الجديدة سار دون توقف قط حتى اللحظة الأخيرة من حياته العظيمة، ولم يعرف عمله المفعم بالحمية حدودا.

في أحد الأيام، قال الرئيس لإحدى المناضلات المناهضات لليابان، في جلسة مقابلتها، عن النصيحة التي أعطاها له الرئيس اليوغوسلافي السابق تيتو الذي زار كوريا قائلا:

«رجاني الرئيس تيتو بإلحاح أن آخذ راحة الآن بعيدا عن العمل، طالما أن بيونغ يانغ بنيت كمدينة ضخمة وفخمة بعد أن تحولت إلى أكداس من الرماد في فترة الحرب. وما دام الأمر هكذا، لماذا أسعى إلى مواصلة العمل.

لكني أود أن أواصل العمل فيما بعد أيضا. طموحات الإنسان الثوري

لا تعرف حدودا. إذا بنيت دار كبيرة للشعب فإني أود لو أبني دارا أكبر منها، وإذا صنع شيء طيب فإني أود لو أصنع شيئا أفضل منه».

كان الرئيس يشرف على شؤون البلاد بحماسة ملتهبة لا يمكن تصديقها من طاعن في السن، وقابل الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم وأنهى بها حياته المشرقة. خلال عدة السنوات قبل رحيله، قابل المناضلين الثوريين المناهضين لليابان وأبناء الشهداء الثوريين كلهم، وأعطى لهم تعليماته القيمة، وبالاستفادة من الأوقات الفارغة القصيرة، كان يكتب مذكراته «في دوامة القرن» دون أخذ راحة.

في الحقيقة إن الرئيس كان يشكو من مرض القلب في السنوات الأخيرة من حياته. وفي عام رحيله، كان يشكو حتى من مرض العين، بحيث اضطر إلى قراءة نص خطاب العام الجديد ١٩٩٤ بصعوبة جدا على يده لعدم رؤية الحروف. ولذلك، تعرض للعملية الجراحية للعين. حتى الشباب يجب عليه أن يخضع نفسه للعلاج والراحة لمدة أكثر من شهر بعد تلقي مثل تلك العملية الجراحية. لكن الرئيس قابل، بعد أيام منها، المواطن المغترب سون واون تاي، وعلى إثر ذلك، التقطت له الصورة التذكارية مع التلاميذ الناشئين المشاركين في المؤتمر الخامس لرابطة الناشئين الكورية.

وخلال عدة أشهر قبل رحيله، التقى عددا كبيرا من العاملين مثل المشاركين في المؤتمر الوطني للزراعة والمؤتمر الوطني لعاملي صناعة الفحم، وأعطى لهم تعليماته المنهاجية والتقطت له الصور التذكارية مع جميعهم، وفي اليومين الخامس والسادس من تموز/ يوليو قبل رحيله مباشرة، دعا إلى عقد الاجتماع التشاوري للكوادر المسؤولين في قطاع الاقتصاد حيث أوضح مرشدا منهاجيا يجب التمسك الثابت به في بناء الاقتصاد الاشتراكي.

لقد وجه الرئيس على الطبيعة أكثر من أربعين وحدة من مختلف ميادين الاقتصاد الوطني ووحدات الجيش الشعبي في الفترة التي لا تزيد على السنتين إلا قليلا منذ نيسان/ أبريل عام ١٩٩٢ الذي يوافق الذكرى الثمانين لميلاده حتى الفترة الأخيرة من حياته العظيمة. رغم أن أعباءه كانت مرهقة للرئيس الطاعن في السن، لكنه اعتبرها واجبا مفروضا على حياته لا يمكن لأحد أن يؤديه بدلا منه، وواصل عمله بكل حماسة.

امتدت روحه المعنوية المبذولة للوطن والشعب ليس إلى أنحاء الوطن فقط، بل إلى كل أرجاء العالم أيضا. فقد زار في حياته ٨٧ بلدا إجماليا خلال ٥٤ مرة، وتبلغ مسافتها أكثر من ٥٢٢٤٦٠ كيلومترا، وقابل عددا كبيرا من رؤساء الدول والسياسيين والشخصيات بشتى أوساطها. هكذا، كان يقوم بالنشاطات الخارجية المكثفة بدرجة تفوق تصور الناس، فيما هو يقابل مشاهير الرجال الذين يزورون جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، لعدة مرات كل يوم، ويتبادل الحديث معهم طويلا حول المسائل السياسية الهامة في الداخل والخارج، ويعطيهم نصائحه اللازمة، ما عدا أيام زياراته للبلدان الأخرى. في الفترة الأخيرة من حياته العظيمة أيضا، قابل الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، وأرسى بذلك أسسا وطيدة لتحسين العلاقات بين كوريا والولايات المتحدة، وأبعد من ذلك، لحماية السلم والأمن في شمال شرقي آسيا والعالم.

بفضل وجود جهوده المضنية، صارت الثورة الكورية تتقدم إلى الأمام دون توقف، وازدادت سعادة الشعب الكوري يوما بعد يوم.

رجل متفائل وعاطفي

كان الرئيس كيم إيل سونغ رجلا متفائلا عاش طول حياته المتفائلة.

إذا استطاع أن يقود الثورة الكورية الأكثر صعوبة وتعقيدا من أي بلد آخر إلى النصر المطرد، دونما أدنى انحراف أو توقف، فذلك لأنه كان يحمل روح التفاؤل الثوري التي يتغلب بها على المحن بالابتسامات.

كلما تراكمت المحن والمصاعب أمام الثورة، كلما تغلب الرئيس بروح التفاؤل الثوري الثابتة.

جاء ما يلي في مذكراته «في دوامة القرن» (سلسلة):

«فكما أن العمر البيولوجي للإنسان يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى تفاؤله في الحياة، كذلك الثورة في أي بلد، تستمد قدرتها على الحياة من التفاؤل وحده، بل إن مصير الثورة عامة، يتوقف على درجة التفاؤل الثوري. هذه هي وجهة نظري.»

عانى الرئيس في حياته أكثر ما لغيره من أنواع الشقاء وآلام الفقدان. لكنه لم يعرف مرة أي تشاؤم أو تردد. كلما واجهته الخطوب والمصاعب على طريق الثورة، تخطاه بمبادرة منه، مدفوعا بالتفاؤل للنصر في المستقبل وعاش كل يوم من أيام حياته المتفائلة.

في النهاية، كانت قدرته القيادية الفريدة التي كان بها يحول العسر إلى يسر والخطوب إلى سعود ويأتي بالنصر بالمبادرة منه، كلما واجهته المحن الشاقة على طريق الثورة، تقوم على تفاؤله الثوري.

سواء أ في فترة النضال الثوري المناهض لليابان أو فترة حرب التحرير الوطنية الشاقة، تغلب على كل الصعاب، مدفوعا بالثقة والتفاؤل للانتصار الحتمي، ما دام ثمة شعب ورفاق مخلصون وسلاح أيضا.

كان النضال المسلح المناهض لليابان يدور بقيادة الرئيس في ظروف أكثر صعوبة وقسوة لم يكن مثيل لها في التاريخ، دون أي دعم من البلاد والقوات المسلحة النظامية ولا مؤخرة يمكنه أن يسند إليها، ضد أعتى الإمبرياليين اليابانيين الذين كانوا يدعون بأنهم «أسياد الشرق»، حيث كان الحصول على حفنة من الحبوب وطقم واحد من الملابس يتطلب خوض معركة دامية، وكان مسير المقاتلين يجري لعدة أيام في خضم المعارك المصيرية ضد الأعداء الذين يهاجمون بعناد «لتأديب» الجيش الثوري الشعبي الكوري. حقا كان الجيش الثوري يقاتل قوات النخبة اليابانية دون أكل ونوم كما ينبغي.

لكن كل هذه الصعاب والمحن لم تكن قادرة على إخضاع إرادة الرئيس وإفساد روحه المتفائلة. ففي كل مناسبة، تحدث الرئيس للجنود عن مستقبل البلاد المستقلة حيث سيكون بوسعهم أن يذهبوا إلى بيونغ يانغ، ويتناولوا فيها حساء سمك البوري والشعيرية الباردة حتى الشبع، ويصعدوا إلى جبل موران ليتفرجوا على مناظر نهر دايدونغ، وكلما ازدادت الصعوبة، حرصهم على أن يعيشوا متفائلين فيما هم يغنون ويرقصون. وفي بعض الأحيان، أبدع شخصيا الأغاني والدرامات الثورية ونشرها بين المقاتلين والشعب.

مهما كانت الأوضاع والظروف شاقة، كان ينظم دوريا الدراسة العسكرية السياسية برباطة الجأش، وكان يقيم حفل التسلية وسط الغابة في الليالي المقمرة، وإذا حل يوم من الأعياد، عقد المؤتمر المشترك الكبير

للجيش والشعب، وبكل ذلك، ربى المقاتلين كمالكي التفاؤل الثوري، وبدافع من صمود وتفاؤل روحهم النضالية، قاد النضال المسلح المناهض لليابان إلى النصر.

كان من تلك الأيام يوم عيد الأول من أيار/ مايو عام ١٩٤٠ حيث قضى الجيش الثوري يوم العيد بمأكولات لحم الضفادع. في هذا اليوم، قال الرئيس لرفاقه في السلاح بنبرة تنم عن الثقة والتفاؤل إننا اليوم، ونحن نحتفل بعيد الأول من أيار، لا نجد ما نقتات به سوى لحم الضفادع. غير أننا، في يوم تحرير الوطن، بعد قهر الإمبريالية اليابانية سوف نأكل سمك البوري من نهر دايدونغ في بيونغ يانغ، احتفالا بتحرير الوطن. ومع أن العدو يجن جنونه ويستميت لقهرنا، لكننا لن نستسلم ولن نتهالك أبدا. علينا أن نقاتل بعزم أكبر، موطدين ثقتنا بالغد، ومضاعفين روح الاعتزاز بالأمة الكورية والشيوعيين الكوريين، حتى نسحق المعتدين الإمبرياليين اليابانيين ونحرر الوطن.

لوجود هذا التفاؤل الثوري الذي غرسه الرئيس في قلوب المناضلين المناهضين لليابان، استطاعوا أن يصنعوا قنبلة يونكيل بأيديهم المجردة وسط الغابات العذراء، وهتفت إحدى المناضلات بصوت عال أنها ترى نصرا في الثورة على منصة الإعدام بعد أن فقأ العدو عينيها. إن ذلك التفاؤل للمستقبل، التفاؤل لمجيء يوم تحرير الوطن حتما وعيشهم بسعادة في البلاد المحررة أسفر عن روحهم القتالية التي لا تلين لها قناة، حتى حققوا القضية التاريخية لتحرير الوطن.

وفي فترة حرب التحرير الوطنية الضروس أيضا، تغلب الرئيس على كل الصعاب بالتفاؤل الثوري.

على أساس روحه المتفائلة بالذات، قد تشكلت وتجلت الروح البطولية الجماهيرية والتفاؤل بأسمى مظاهرهما واللذان أبداهما الشعب الكوري في حرب التحرير الوطنية دفاعا عن سيادة الوطن وكرامته وأراضيه ضد القوات العدوانية للولايات المتحدة والبلدان الدائرة في فلكها.

تأججت روحه المتفائلة الثورية بعنفوان أكثر دون تغير سواء في فترة إعادة الإعمار والبناء لما بعد الحرب حيث كان لا بد من بداية كل شيء من الصفر على كومة الأنقاض، أو في فترة بناء الاشتراكية الجارية في غمار الأعمال الاستفزازية الحربية المطردة من جانب الإمبرياليين الأمريكيين والأعمال التعويقية التي قام بها التحريفيون والانتهازيون والشوفينيون.

كان الرئيس يعيش دائما متفائلا بالمشاعر والوجدان التفاؤلي. بخصوص ذلك، قال في حديثه مع المناضلين الثوريين المناهضين لليابان في آذار/ مارس عام ١٩٩٢ وكانون الثاني/ يناير عام ١٩٩٣ كما يلي:

«لقد عشت وما زلت أعيش حياتي اليوم أيضا متفائلا على الدوام، تحدوني الإرادة الثابتة والثقة الأكيدة بالنصر التي ترى منفذا للخلاص حتى ولو أطبقت السماء على الأرض.»

كانت نظرة الرئيس إلى الحياة المتفائلة متميزة، إذ أنه كان يرى أن أبناء الشعب الكوري والجيش يستطيعون أن يظهروا مزيدا من معنوياتهم الكفاحية وطموحاتهم للإنتاج، فقط حينما يعيشون متفائلين، وعندئذ فقط، يصبحون عاطفيين ومتحضرين. كما كان يرى أن النصر في الحرب أيضا يتوقف على الروح المعنوية للشعب الكوري والجيش وتفاؤلهما الثوري للانتصار، لا عدد الجنود أو الأسلحة.

ذات يوم أثناء فترة أيام الحرب الضروس، زار الرئيس قرية هازانغ في

قضاء ريونغتشون بمحافظة بيونغآن الشمالية حيث اشترك في اجتماع الخلية الحزبية، وقال لأفراد الخلية الحزبية إن على أعضاء الحزب أن يتغلبوا بجرأة على المصاعب والعقبات في مقدمة الجماهير، ويعيشوا متفائلين، كلما واجهتهم المشقات، وتابع يقول:

«إن من يحملون الإيمان بالنصر والإرادة الصامدة هم وحدهم يتمكنون من تدبير الحياة بتفاؤل دون الوقوع فريسة التشاؤم أو الاستسلام لليأس حتى أمام المحن القاسية للحرب. التغلب على المحن بالحياة المتفائلة المفعمة بالإيمان هو بالذات المعنويات الحالية للشعب الكوري المقاتل، ولا يمكن قهره بأي قوة كانت.»

قدرما كان الوضع قاسيا، ينبغي تدبير الحياة بمزيد من التفاؤل. كان هذا هو الموقف الذي التزم به دائما. ذات مرة قال الرئيس إن مدى قسوة الحياة لجيش حرب العصابات في الماضي لا يمكن مقارنتها مع حياة العمال الذين يؤدون أي عمل شاق ومضني، إلا أننا قد دبرنا حياتنا على نحو متفائل وثقافي في تلك الفترة، وبذلك، كنا نحافظ دائما على المعنويات الثورية الرفيعة.

كان طول حياة الرئيس حياة متفائلة. فقد قال مرارا إن الأغنية هي رمز التفاؤل الثوري والنصر في الثورة، بناء على تجربة حياتنا، وعلى حياة الإنسان أن تترافق مع الأشعار والرقص والأغاني أيضا ومن دونها ما هو تشوق الحياة؟

بما أنه كان يحب جدا الأدب والفن، فقد أبدع الأعمال الأدبية والفنية الثورية بيده في كل فرصة أتيحت له.

من المعروف جيدا للجميع أن الأوبرات والمسرحيات الثورية مثل

«بحر من الدماء»، «بائعة الأزهار»، «دماء في المؤتمر الدولي»، «مصير عضو فرقة الدفاع الذاتي»، و«المزار»، والأغاني الثورية مثل «أغنية الحنين إلى الموطن» و«أنشودة الحرب ضد اليابان» كلها أعمال أدبية وفنية ذات أهمية كلاسيكية أبدعها الرئيس شخصيا إبان فترة النضال الثوري المناهض لليابان.

كان الرئيس يحب الاستمتاع بالأعمال الأدبية والفنية مثل الروايات والأفلام السينمائية، ويجيد إنشاد الأغاني والعزف على الآلات الموسيقية أيضا. كان من الأغاني التي أحبها وأنشدها مرارا على طول الحياة «نشيد الثورة»، و«أغنية البحر»، و«أغنية طلائع تشوليما»، و«الموت للعدو» وغيرها.

حدث ذلك في يوم من الأيام الربيعية التي كان الرئيس يوجه فيها شؤون محافظة بيونغآن الجنوبية على الطبيعة. في مساء ذلك اليوم، ترامى إلى المسامع صوت الهارمونيكا المرح من جهة البستان أمام دار إقامته. فاقترب أحد الكوادر من مصدر الصوت، ففوجئ بما رآه، كان الرئيس يعزف على الهارمونيكا. لكن مستوى عزفه كان عاليا جدا مما يوحي إلى العزف الجماعي من حيث لحنه الرئيسي وتوافقه وارتعاشه. قد رآه سابقا يعزف بمهارة على الأرغن. لكنه عرف لأول مرة أنه يعزف على الهارمونيكا أيضا بمهارة. بعد انتهاء عزفه للأغاني الثورية مثل «مارش جيش حرب العصابات» و«أغنية السلطة الشعبية»، صفق له جميع المرافقين بحماسة، مطالبين بإلحاح مثل الأطفال إعادة أداء أغنية أخرى.

لكن الرئيس قال لهم: «كفاف. لو لم أكن رئيس الدولة والأمين العام للحزب لكنت قد أقمت الحفلة الموسيقية في بيتي كل يوم ودعوتكم إليها». بيد أن طلبهم استمر بعناد إلى أن قال الرئيس لهم مبتسما:

«عليكم أيضا أن تتغنوا وليس أنا فقط. يجب على الإنسان أن يعيش حياته في تفاؤل، وعلى الثوري أن يغدو متفائلا لا يعرف التشاؤم».

ذات مرة، كان الرئيس يستمع كل مساء إلى صوت المزمار بورقة العشب الذي يترامى من مكان ما، مستغرقا في التفكير العميق، لكن أحد الكوادر منع نفخ ذلك المزمار، ظنا منه أن ذلك الصوت قد يزعج الرئيس. حين عرف الرئيس ذلك الأمر، شعر بالأسف الشديد، ولام تصرف ذلك الكادر.

كان الرئيس يحب ممارسة الرياضة جدا مثل السباحة وكرة التنس وكرة الطاولة والقناصة أيضا. لكنه لم يجد فسحة من الوقت لأداء هذه الألعاب الرياضية. حتى إذا أتيحت له فرص هذه الرياضة أو الراحة نادرا ما، فإنه استفاد منها لإنضاج تفكيره في شؤون الثورة أو لإيجاد حل المشاكل الناشئة في الواقع. مهما تكن عظمة وثقل أعبائه في الثورة، لم يتغير ولم يتضاءل تفاؤله وفرحه للثورة والحياة.

هكذا، كان الرئيس يقود الثورة الكورية وقضية استقلالية العالم إلى طريق النصر، فيما هو يقضي كل يوم من أيام حياته المفعمة بالروح المتفائلة.

في آذار/ مارس عام ١٩٨٦ ، قابل الأمين العام للحزب الاشتراكي الكوستاريكي الذي زار جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية مرة ثانية، وقال له إنك تقول إني ما زلت أبدو غيورا وشابا دون تغير مثلما كنت قبل عشر سنوات، وقد قال رئيس أحد البلدان أيضا إني أبدو شابا، حين التقى بي هذه المرة، وقال:

«إذا أراد المرء أن لا يشيخ فلا بد له أن يعيش دائما متفائلا دون وقوع فريسة التشاؤم أو الكآبة.

كنت أعيش حتى الآن متفائلا دائما دون وقوع في أي تشاؤم أو كآبة

يقينا بأن ثمة يكون مخرج، حتى إذا أطبقت السماء على الأرض كما يقول المثل الكوري، مهما يكن أي نوع من المشاكل الأكثر صعوبة وتعقدا والمصاعب الجمة تواجهني.»

حقا كان الرئيس كيم إيل سونغ مجسدا للروح المعنوية الصلبة، ناضل وعاش متفائلا يحدوه الإيمان الثابت بأن النصر في الثورة في أي بلد والنجاح في حياة الإنسان أيضا رهن بروح التفاؤل الثوري، ولذا فإن الثورة الكورية استطاعت أن تتقدم قدما بهمة، مفعمة بقوة الشباب دون أن تعرف أي تراخ حتى في دوامة التاريخ.

٤

عامي عظيم

كان الرئيس كيم إيل سونغ عاميا عظيما من حيث شخصيته. تكمن جاذبيته الإنسانية السامية في كونه رجلا عظيما يتحلى بشخصية العامة. على الرغم من أنه كان يجترح المآثر الخالدة الضخمة أمام التاريخ والشعب حاملا على عاتقه كل أعباء الثورة والبناء كان يعيش طوال حياته كأحد عامة الناس.

كان الرئيس في حياته اليومية يرتدي ويأكل دائما دون أي اختلاف عن الناس العاديين.

ولم يكن للرئيس أي ملك يخص به. بما أنه كرس نفسه كليا للثورة الكورية وبذل الغالي والنفيس للشعب، يحترمه الشعب دائما من صميم قلبه، يحدوه الحنين غير المحدود إليه.

حقا إن الرئيس كيم إيل سونغ الذي عاش حياة عادية مدى الحياة دون أي اختلاف عن عامة الناس يكون خالدا في قلوب الشعب.

التواضع والصراحة في التفكير والتطبيق \ ١٥٢

بين الشعب طوال حياته \ ١٦٣

طول الحياة المتواضعة \ ١٧٩

التواضع والصراحة في التفكير والتطبيق

أحد أهم جوانب من شيم الرئيس كيم إيل سونغ الجديرة بالعامي هو تواضعه الفائق.

كان يعيش دائما بمنتهى البساطة والتواضع، ولم يسمح له بأي امتيازات. ههنا بالذات يكمن شذاه الإنساني الآخر الجدير بالرجل العظيم.

يعد تواضعه غير المحدود من خصاله الفريدة التي أتاحت للشعب الكوري والأجانب أن يدركوا شخصيته بصفته العامي العظيم.

اعتبر الرئيس نفسه ابنا للشعب، وعاش وعمل بتواضع وعامل الناس في موقف أدنى منهم طوال حياته. كان ذلك مبدأ حديديا التزم به الرئيس دائما في حياته وعمله.

في فترة النضال المسلح المناهض لليابان، حدث أن أصيب الرئيس بمرض البرداء الخطير. كان ذلك في شباط/ فبراير عام ١٩٣٥. في تلك الفترة، انطلق الرئيس على طريق الحملة الأولى إلى منشوريا الشمالية (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٤ - شباط/ فبراير ١٩٣٥) على رأس وحدة الجيش الثوري الشعبي الكوري المؤلفة من ١٧٠ مقاتلا ونيف تلبية لطلب الشيوعيين الصينيين المقيمين في تلك المنطقة، حيث قام بالنشاطات السياسية والعسكرية المكثفة، وبدأ بالعودة إلى وانغتشينغ. لكن وحدته واجهت محنا وصعابا في كل خطوة من خطى مسيرها من جراء المطاردة العنيدة من جانب «القوات التأديبية» اليابانية وقسوة البرد وأزمة الغذاء والقتال والتضحيات والصراع

مع المرض. كان الأعداء اليابانيون يهاجمون بشراسة وعناد متشدقين «حتى لو قتل لنا مئة جندي مقابل واحد من أفراد الجيش الشيوعي فإن ذلك يعتبر نجاحا كبيرا لنا. فنحن نستطيع التعويض عن مائة قتيل، لكن الجيش الشيوعي لن يستطيع التعويض عن جندي واحد من قتلاه».

في هذه الظروف الشاقة، كان الرئيس يقوم حتى بالحراسة في كل ليلة شأنه شأن المقاتلين الآخرين. وفي غضون ذلك، أصيب الرئيس بمرض البرداء قرب جبل تيانتشياولنغ وفقد وعيه.

حين صار ١٦ فردا من أفراد وحدة الحملة متهالكين على الأرض بجوار الزلاجة التي كان الرئيس فيها طريح الفراش، بعد أن وقعوا في اليأس من إمكانية تخلصهم من الموت، استجمع الرئيس وعيه من حالة الغيبوبة، ونظم «أنشودة النضال المناهض لليابان» ليلهم رفاقه في السلاح قوة، بحيث صاروا يتخلصون من أشداق الموت مغنين هذه الأنشودة، ودخلوا أخيرا كوخ الشيخ جو تايك جو الواقع في وادي داوايجي في جبال لاويلنغ عبر جبل تيانتشياولنغ. هكذا، استطاع الرئيس أن يعود إلى الحياة بأعجوبة، بفضل عناية أفراد عائلة الشيخ جو تايك جو. بعد أن سمع الرئيس قصة إنقاذهم من المراسل، عبر عن شكره للشيخ قائلا: «شكرا لكم أيها الجد. لقد أنقذتم حياتي».

عندئذ، قال الشيخ: «لا، أيها القائد كيم، إنك قائد مارد أرسلته السماء إلى الأرض. وإذا كنت قد استعدت عافيتك في هذا الكوخ، فإن الفضل في ذلك لا يعود إلى أسرتنا وإنما إلى عناية السماء». ورفع ناظريه نحو السقف كما لو أنه يريد أن يؤكد أن نجاته جاءت من السماء فعلا.

لكن الرئيس قال له شاعرا بالضيق: «لا تمتدحني هكذا أيها الجد. لقد

بالغتم بالقول إني قائد مارد أرسلته السماء. فأنا لست ماردا سماويا وإنما أنا ابن الشعب وحفيده، ولدت في أسرة فلاحية مغمورة».

لقوله هذا، ارتج الشيخ قائلا إنني مجرد رجل بائس، لكني أعرف كل المآثر القتالية التي اجترحتها، ودعا أولاده وأحفاده ليقدموا تحية له.

كلامه القصير القائل إنه ابن الشعب تنعكس عليه نظرة الرئيس الأكيدة المتمثلة في اعتباره واحدا من أبناء الشعب وإيجاد قيمة حياته في ذلك بالذات.

أصلا، إن هذا الكلام يعني شخصا عاديا ولد من الشعب ويعيش معهم. طبعا إن الرئيس أيضا ولد من الشعب وكان يعيش طوال حياته مختلطا بهم، إلا أن أي شخص في هذه الدنيا ما رآه شخصا عاديا من عامة الشعب يكون في أي مكان، لأنه كان يحمل شخصية فريدة وشيما خارقة لا يمكن رؤيتها لدى إنسان عادي.

كان سمعته عالية جدا على الحلبة السياسية الدولية أيضا. فقد أشاد به ستالين في الاتحاد السوفييتي السابق قائلا إنه بطل الشرق الأكثر شابا، وأوصى له الرئيس ماو تسي تونغ ورئيس مجلس الدولة شو آن لاي في الصين أيضا بتحمله لقضية استقلالية البشرية على وشك موتهما، وصارح له الرئيس تيتو في يوغوسلافيا السابقة أيضا بمكنون فؤاده، وأولى اهتمامه الخاص لعلاقته الشخصية المعقودة معه، وحين دنا منه وقت الموت، طلب منه أن يتحمل مستقبل حركة عدم الانحياز. وحتى الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر أيضا الذي التقى بالرئيس أثناء زيارته لبيونغ يانغ قال للصحفيين بعد عودته إن الرئيس كيم إيل سونغ رجل بارز أشبه بمجموع الرؤساء الأمريكيين الثلاثة الأكثر شهرة.

إلا أن الرئيس كيم إيل سونغ كان يعيش بمنتهى التواضع والبساطة حتى

الفترة الأخيرة من حياته. فقد قال بتواضع في لقائه بجماعة الصحفيين في شبكة سي. إن. إن التلفزيونية الأمريكية التي زارت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية في نيسان/ أبريل ١٩٩٤: «بما أني أحد أقدم السياسيين، يوليني عدد كبير من الناس في العالم اهتماما كبيرا، على ما أرى، لكني شخص عادي لا يختلف أبدا عن الآخرين».

كتب الرئيس في مقدمة مذكراته باختصار عن حياته المجيدة:

«لا أظن أن في حياتي ما هو خاص ومختلف عما في حيوات الآخرين. وأنا راض تماما لأني كرست حياتي لمصلحة الوطن والأمة وأمضيتها بين الشعب».

كان الرئيس صريحا إلى أبعد الحدود، بحيث صار نموذجا للشيم السامية المتمثلة في المصارحة أمام الحزب والدولة.

كانت كرامة حزب العمل الكوري وحكومة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية هي بالذات سمعة الرئيس العالية، وقدرة كوريا حزبا ودولة التي لا تقهر أيضا كانت تكمن في قدرة الرئيس القيادية البارزة. ولذلك، كان جميع أبناء الشعب الكوري يسمونهما بالإجماع مرتبطين باسمه الكريم على غرار «حزب الرفيق كيم إيل سونغ»، و«كوريا كيم إيل سونغ»، ورؤوا في فكره وقيادته البارزة مستقبل الثورة الكورية المشرق. إلا أن الرئيس كان صريحا أكثر من غيره أمام هذا الحزب وهذه الدولة. على الرغم من أن جميع أبناء الشعب والناس في العالم يحترمونه كل الاحترام بانتخابه على سدة رئاسة الحزب والدولة، إلا أن كل جوانب تفكيره وتطبيقه بدأت دائما انطلاقا من نظرته إلى أنه واحد من المواطنين وعضو من أعضاء حزب العمل الكوري.

كلما كان يتلقى مهمة مكلفا بها من المنظمة الحزبية، ويقدم تقريرا عن حالة تنفيذها، قال إنه لمن واجبه الجدير بعضو حزب العمل الكوري أن يتلقى مهمة من المنظمة، ويقدم تقريرا عن تنفيذها بكونه عضوا من أعضائه. وأكد دائما للكوادر على أنه لا يوجد داخل صفوف الحزب عضو رفيع وعضو وضيع على حدة ولا يسمح بالانضباط الازدواجي إطلاقا، وأبدى مثاله العملي واقفا ذلك الموقف الحزبي الثابت.

حين شكلت الخلايا الحزبية في لجنة التنظيم المركزية للحزب بعد تحرر البلاد، كتب الرئيس سيرة حياته وقدمها للخلية التي ينضم إليها أولا وقبل الآخرين، وفي فترة الحرب ضد الإمبرياليين الأمريكيين أيضا، كان يسهر طول الليلة لكتابة التقرير المقدم إلى الدورة الكاملة الثالثة للجنة الحزب المركزية بعنوان «الوضع الراهن والمهمات العاجلة» (٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٠)، لكنه توجه أولا إلى أمين خليته في الصباح، ليقدم له اشتراك عضوية الحزب في ذلك الشهر.

ذات مرة، رأت إحدى النساء الكوادر التي كانت تساعد الرئيس قريبة منه دفتر إيصالات الاشتراكات العضوية في الخلية التي انضم إليها الرئيس، وتولتها الدهشة، لأن قيمة راتبه الشهري واشتراكه الشهري بموجبه كانت مكتوبة في تلك القائمة كل شهر مع التوقيع باسم الرئيس. كان من الغرابة بالنسبة لها أن يتلقى الرئيس راتبا شهريا ويدفع اشتراكا محددا دون أي اختلاف عن جميع العاملين العاديين في هذا البلد. ففي إحدى الفرص الهادئة التي سنحت لها، سألته هل يتقاضى الرئيس أيضا راتبا شهريا. حين تلقى الرئيس منها هذا السؤال عن الأمر المستحق عليه، وقف يتأملها مستغربا لبرهات، وقال دون تكليف مبتسما ابتسامة صبوحة: لماذا لا أتقاضى راتبا

شهريا، طالما أني أيضا واحد من مواطني هذا البلد. موقفه الصريح هذا الذي يعتبر نفسه به أحد مواطني البلد وأحد أعضاء الحزب دون أي فرق مع الآخرين كان كافيا لهز أوتار قلوب جميع الناس.

حتى في الجلسات الرسمية التي كان الرئيس يقابل فيها السياسيين والشخصيات في البلدان الأخرى، باسم الأمين العام للجنة المركزية لحزب العمل الكوري ورئيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، قال دون إخفاء إنه ينفذ المهام الحزبية المكلف بها، بكونه عضوا من أعضاء الحزب.

في يوم الثالث والعشرين من حزيران/ يونيو عام ١٩٨٤ ، وصل الرئيس إلى كيروف مارا بياروسلوف في الاتحاد السوفييتي السابق على طريق عودته إلى بلده، بعد انتهاء زيارته للبلدان الاشتراكية السابقة في أوروبا الشرقية بعد قطع المسافات الطويلة الممتدة إلى أكثر من ٦٠ ألف ري لمدة ما ينوف على ٥٠ يوما.

استقبله بلطف الكوادر المسؤولون في أجهزة الحزب والسلطة في المنطقة المعنية بما فيهم الأمين الأول للجنة الحزب في المقاطعة وسط الترحيب الحار. بعد أن تلقى الرئيس باقات الزهور من الأطفال الأحباء، تنزه مع الأمين الأول للجنة الحزب في المقاطعة على الرصيف حتى انطلاق القطار، حيث قال الأمين الأول إن الرئيس قد قطع هذه المرة مسافات طويلة جدا، ويرجو منه أن يغادر بعد أخذ راحة ليوم واحد.

عبر الرئيس عن شكره له على ذلك، وقال: «زرت هذه المرة البلدان الاشتراكية الأوروبية بموجب قرار حزبنا، غير مبال بالمسافة طويلة. على عضو الحزب تنفيذ قرار الحزب دون قيد أو شرط».

كانت زياراته للبلدان الاشتراكية الأوروبية نشاطات خارجية رسمية قام

بهـا الرئيـس بكونـه قائـدا أعلـى للحـزب والدولـة. لكـن الرئيـس اعتبرهـا كسـياق تنفيـذ المهـام الحزبيـة المكلـف بهـا بكونـه عضـوا عاديـا مـن أعضـاء الحـزب. أمـام شـيمه السـامية الصريحـة، لـم يتمالـك المرافقـون والكـوادر الأجانـب أنفسـهم مـن شـدة الإعجـاب بهـا.

فـي يـوم الثامـن مـن تشـرين الأول/ أكتوبـر عـام ١٩٦٢، جـرت انتخابـات نـواب مجلـس الشـعب الأعلـى الثالـث. كان مـن المقـرر أن يشـترك الرئيـس فـي الانتخابـات مـع أفـراد الطبقـة العاملـة فـي إحـدى دوائـر الانتخابـات.

بعـد أن خـرج الرئيـس مـن بيتـه فـي الصبـاح الباكـر، هـم بـأن يصعـد السـيارة، لكنـه أوقـف ركوبهـا، وسـأل يـاوره هـل يحمـل بطاقـة المواطـن لـه. ولكـن طالمـا أنهـا بطاقـة تـدل علـى أنـه أحـد مواطنـي البلـد، رد عليـه اليـاور «لا حاجـة لحملهـا، تفضـل بالذهـاب دونهـا، أيهـا الزعيـم المحتـرم».

إلا أن الرئيـس رفضـه قائـلا: «طبعا إنني أسـتطيع أن أشـارك فـي الانتخابات مـن دونهـا كمـا قلـت، ولكـن لا بـد لـي أن أذهـب إلـى مـكان الانتخابـات بهـذه البطاقـة». كان قولـه هـذا يعبـر عـن شـعوره بأنـه لا يسـتطيع أن يسـتثنى فـي مراعـاة قواعـد انتخابـات الدولـة بكونـه أحـد مواطنـي الجمهوريـة.

تابـع الرئيـس يقـول لليـاور إنـه لـم يعتبـر نفسـه كائنـا خاصـا يقـف فـوق رؤوس الشـعب ولـو مـرة حتـى الآن. فـلا بـد مـن حمـل بطاقـة المواطـن حيـن يذهـب إلـى مـكان الانتخابـات، ولـو متأخـرا قليـلا. وحيـن جـاء اليـاور بهـا، أخذهـا الرئيـس، ودقـق النظـر إلـى صفحاتهـا ليؤكـد سـلامتها، ثـم حملهـا فـي الجيـب بعنايـة. وحيـن جـاء إلـى مـكان الانتخابـات، أراهـا للمشـرف علـى الانتخابـات، وأخـذ منـه بطاقـة التصويـت، وألقاهـا فـي صنـدوق الاقتـراع.

هكـذا، كان الرئيـس يراعـي قوانيـن الدولـة وأنظمتهـا باختيـار ذاتـه فـي أي

مكان، واعتبر ذلك واجبا مقدسا ومبدأ حديديا لا يمكن مخالفته بكونه مواطنا من مواطني الدولة.

في أحد الأيام، ذهب الرئيس إلى إحدى المدارس التي كان يؤدي فيها التلاميذ امتحانات التخرج، على الرغم من مشاغله الكثيرة للإشراف على مجمل شؤون الدولة. دون إخطار زيارة الرئيس مسبقا إلى هذه المدرسة، توجه الكوادر بالرئيس إليها. حين وصلوا إلى المدرسة، كان الوقت في الساعة التاسعة والنصف صباحا. كان التلاميذ قد دخلوا حجرات الدرس، حتى صار فناء المدرسة هادئا.

بما أن هذه المدرسة استخدمت المبنى القديم كما هو عليه، بحيث كان مدخلها ضيقا ومعتما شديدا. كانت التلميذة الصغيرة التي وضعت شريط النوبة على ذراعها تجلس في المدخل، وقدمت تحيتها إلى الرئيس، ولكنها لم تدرك هويته.

بعد أن رد الرئيس على تحيتها، راح ينقل خطواته إلى الدهليز ببطء، وعندئذ، تناهى إلى سمعه من الخلف صوت التلميذة الرنان قائلة: «ادخلوا من فضلكم بعد تسجيل اسمكم». لقولها هذا، تحير الكوادر المرافقون دون أن يعرفوا ماذا يفعلون في حالة حرجة لا يمكنهم فيها أن يهمسوا لها أو يشتموها.

لكن الرئيس ابتسم ابتسامة عريضة كما لو أنه يعتبر سلوكها جديرا بالثناء، وقال: «طبعا، علي تسجيل اسمي في سجل الزوار»، واقترب من الطاولة، وأخذ قلما وسجلا من يد التلميذة وكتب فيه بالتفصيل التاريخ واسم الشخص المقصود ومشوار زيارته ومهنته وحتى اسمه حسب طلب التلميذة الصغيرة. حين وضع القلم وقوم ظهره، تراجعت الصبية خطوة واحدة من

شدة الدهشة، ونظرت إليه نظرة إكبار برفع رأسها. وأعادت النظر إلى السجل كما لو أنها تكذب ما رأته.

بعد أن نادته بصوت مبحوح، تجمدت في المكان نفسه بدون أن تتابع الحديث القادم بسبب التأثر الشديد. كانت مسرورة جدا من جهة لأنها التقت بالزعيم الذي كانت تشتاق إليه، ولكنه من جهة أخرى، احمر وجهها بسبب الخجل من سلوكها غير المهذب الذي لم يتبين هيأته. لم يتخلص الكوادر أيضا من شعورهم بالضيق، ولكن الرئيس قال: «يا لك من ذكية. أنت ذكية جدا» وهو يربت برفق على رأس التلميذة التي تقف متحيرة من أمرها.

أحست التلميذة والكوادر كلهم بسخونة عيونهم أمام هذا التواضع غير المتناهي الذي أبداه الرئيس حين يلبي على طلب التلميذة الصغيرة ويثني عليها، ملتزما بقواعد المدرسة الصغيرة حتى في وقته المشغول بالشؤون الكثيرة، على الرغم من أنه قد أقام نظام التعليم الأفضل للتلاميذ الشباب والناشئين.

كان الرئيس متواضعا جدا في التعلم أيضا.

على الرغم من أنه كان واسع الاطلاع ومالك المعارف العميقة، سعى للتعلم على مدى حياته.

كان هدف حياته الهام هو بناء برج الأفكار والمعارف شاهقا بالتعلم والتعلم بتواضع.

قال الرئيس في كلمته الختامية التي ألقاها في الدورة الكاملة السابعة للجنة الحزب المركزية الرابعة المنعقدة في يوم الخامس من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٣:

«يجب علينا جميعا أن نتعلم بتواضع. ما لا يعرف المرء ليس خاطئا،

بل إن ما يتظاهر بأنه عارف، رغم أنه جاهل هو عيب كبير.»

إن أمراض التظاهر الثلاثة المزمنة التي كرهها الرئيس كيم إيل سونغ طوال حياته وناضل ضدها بلا هوادة هو ما يتظاهر المرء بأنه يملك رغم أنه لا يملك، وما يتظاهر بأنه ذكي رغم أنه غبي، وما يتظاهر بأنه عارف رغم أنه جاهل. ومنها كان ما اعتبره أسوأ عيب هو ما يتظاهر المرء بأنه عارف رغم أنه جاهل.

اتخذ الرئيس أن جهل قوته وقدرته كأخطر انحراف من الانحرافات. فقد قال للكوادر مرارا إن الضمان الثابت لنجاح المرء في أي عمل هو إدراكه الصحيح بما إذا كانت قوته ضعيفة أم قوية. فقط عندما يعرف بالضبط قيمته هل تقدر بـ٥٠ زونا أو واحد واون، يمكنه أن يسعى بتواضع لإعداد نفسه بما يتلاءم مع ذلك، ويجيد العمل بما يواكب قدرته الواقعية ومستوى استعداده.

أسلوب العمل الذي يعمل به الكوادر متظاهرين بأنهم عارفون رغم أنهم جاهلون قدره الرئيس بأسلوب العمل على غرار النزهة بكلام طيب، وأسلوب العمل بالتكاسل بكلام صريح. فقد نصح الكوادر دائما في كل فرصة قائلا إنه لا يجوز للكوادر كائنا من كانوا أن يتظاهروا بأنهم عارفون، وإذا كانوا جاهلين فلا بد لهم أن يصارحوا ذلك ويتعلموا بتواضع، وإذا سألوا ما لا يعرفونه للآخرين فلا تسقط سمعتهم.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يعتبر جماهير الشعب معلما له، ويتعلم ويتعلم منها بكل تواضع وصراحة طوال حياته.

قال الرئيس في خطابه الذي ألقاه في الجلسة التشاورية لرؤساء لجان الحزب في المحافظات في اليوم الأول من آذار/ مارس عام ١٩٥٣ بعنوان «حول بعض المهمات العاجلة لمنظمات الحزب في المحافظات» ما يلي:

«يجب على الكوادر أن يعتبروا جماهير الشعب معلما لهم ويتعلموا منها دائما بتواضع ويقوموا بكل الأعمال بالاعتماد عليها.»

كانت شيمته المتواضعة تقوم على نظرته المتمثلة في اعتباره أبناء الشعب ليسوا رفاقه الثوريين فقط، بل معلميه الأذكياء الذين يعرفون كل شيء ويقدمون له آراءهم الرائعة. انطلاقا من هذه النظرة، كان يعاملهم بغاية التواضع ويسعى للتعلم منهم بصراحة طوال حياته.

إذا كان الكتاب معلما صامتا له، فإن الشعب كان معلما ذكيا وواسع الاطلاع. لذا، كان يستمع إلى كلام كل من يلتقي بهم دون استثناء.

كل المطالب والتطلعات المتنوعة لأولئك الناس الأفراد تجمعت في خط وسياسة الحزب والدولة وتحولت إلى المرشد الهادي للثورة والبناء من قبله. ولذلك، كانت كل النهوج والسياسات علمية وحقيقة من الحقائق دون استثناء.

حقا، كان الرئيس أعظم العظماء الذي عاش بين الشعب وتعلم منه بتواضع، ومجد طول حياته العظيمة معهم.

بين الشعب طوال حياته

اعتبر كارتر في المؤتمر الصحفي مع الصحيفة التايلاندية «دي نايشون» في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٩ بعد مرور خمس سنوات من لقائه بالرئيس، قائلا إن «حديثه مع الرئيس كيم إيل سونغ جرى على ما يرام لتواضعه وصراحته».

كل من لقي الرئيس أحسوا بدفء قلبه لأول لحظة، وصارحوا بمكنون نفوسهم له. ذلك لأنه كان يتحدث معهم بكل تواضع وصراحة. كان لطيف المعشر مع أي شخص، وعند الحديث، كان وجهه دائما مشرقا بالابتسامة العريضة، وكان فصيح الكلام ويتمتع بروح الفكاهة أيضا.

كانت قدرته الكبيرة على اجتذاب الناس تعود إلى كلامه الدافئ الذي يستميل قلوب الآخرين، لا أي فن دبلوماسي أو قوة ساحرة خارقة. إذ أن الكلام هو أول وسيلة للتعامل بين الناس، ويعبر تعبيرا مركزا عن مستوى الإنسان العقلي ونظرته وموقفه من الطرف الآخر. فقد قال إنجلس إن «اللغة ما هي إلا وعي عملي وواقعي يتواجد لشخص آخر ولنفسه أيضا». هذا قول مأثور يعني أن الكلام يقرر موقف الناطق ويقدر طابعه وشخصيته.

كل كلمة ينطقها الرئيس تتميز بالقدرة الكبيرة على اجتذاب جميع الناس، لأنها تحتوي على صدقه وصراحته البالغة. حين يتحدث الرئيس مع الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم، يحسون دائما بأن كل كلمة من

كلماتـه تمتلـئ باحترامـه وحبـه للإنسـان وثقتـه بـه وحنانـه لـه، حتـى ينسـاقوا إليـه بغيـر وعـي منهـم.

طبعـا، كان ثمـة غيـر قليـل مـن النـاس الذيـن شـدما تمنـوا اللقـاء بـه، ولكـن حيـن أتيـح لهـم ذلـك الشـرف ازداد توتـر أعصابهـم حتـى لـم يقدمـوا تحيتهـم لـه كمـا ينبغـي. بمـا أن الرئيـس كان عالمـا بشـعورهم ذلـك، كان يسـعى جاهـدا عمـدا، حتـى لا يشـعروا بالضيـق أمامـه. فقـد كان كلامـه دائمـا مفعمـا بالـود والرقـة، واعتـاد علـى بـدء الحديـث دائمـا مـع أي فـلان بـكلام التحيـة اللطيـف. وحيـن يلتقـي بـأي شـخص فـي مـكان مـا كان يقـدم كلمـة التحيـة قبلـه وعلـى محيـاه ابتسـامة صبوحـة، وكان ذلـك ينطبـق علـى لقائـه بـكل أوسـاط النـاس سـواء أ كانوا كـوادر أو عمـالا أو فلاحيـن أو أطفـالا. وكان كلام تحيتـه دافئـا ومتنوعـا علـى غـرار: «كـم تجشـمت عنـاء»، و«مرحبـا»، و«هـل كنـت بخيـر؟»، و«أ لـم تكـن مريضـا؟» و«أنـا مسـرور حقـا بلقائـك»، و«أهـلا وسـهلا»، وفي بعـض الأحيان، كان يقـول للزائـر إنـه يشـعر بالأسـف لتأخـره أو يعتـذر لـه علـى انتظـاره، رغـم أنـه قـد خصـص لـه وقتـه القيـم مـن أوقاتـه المشـغولة للإشـراف علـى شـؤون الدولـة. رغـم أنـه كان رئيسـا يمثـل دولـة، كان يتبـادل تحيـة وحديثـا مـع جميـع النـاس سـواء أ كانـوا عامليـن عادييـن أو أجانـب بـكلام دافـئ ورقيـق وصريـح. كان أسـلوب حـواره المتميـز هـو تقديـم كلام التحيـة المفعـم بالاحتـرام والثقـة والـود بمبـادرة منـه حتـى يزيـل توتـر أعصـاب النـاس فـي اللحظـة الأولـى، ويجتذبهـم إليـه دفعـة واحـدة.

كان كلامـه صريحـا وعموميـا ومشـوقا دائمـا. لـم يكـن يقتصـر ذلـك علـى حديثـه مـع الكـوادر الأفـراد والعامليـن فقـط، بـل علـى التقريـرات والخطابـات التـي ألقاهـا فـي الاجتماعـات الهامـة للحـزب والدولـة أيضـا. وكان ذلـك يتضـح

أكثر ويتلاءم أكثر مع عالمهم النفسي حين يتحدث مع العمال والفلاحين والمثقفين والفنانين وغيرهم من العاملين العاديين في المجتمع.

إن كلامه المشوق والعمومي كان مفهوما ومقبولا للجميع. رغم أنه كان مفكرا عظيما وسياسيا بارزا، كان يتحدث دائما مع الناس بكلام مشوق وعمومي، ولذلك، كان الناس جميعا يفهمون كلامه بسهولة، ويستغرقون في حديثه.

فقد صارح الباحث سيليغ هاريسون في صندوق كارنيجي المالي الأمريكي الذي التقى بالرئيس كيم إيل سونغ في أيار/ مايو عام ١٩٧٢ ، قائلا: «إن الرئيس كيم إيل سونغ تلقى أسئلة عن طيب خاطر، ورد عليها بكلام سهل ومفهوم واقفا الموقف التعاوني. إنه كان رجلا دافئا وله قوة جاذبية كبيرة تجتذب الناس إليه».

وكان كلام الرئيس يتميز بكثرة التشبيهات والتعابير المرحة الواضحة التي يقنع بها الناس على منطق الحياة والنضال.

كانت الأفكار والنظريات والسياسات التي وضعها الرئيس متماسكة مع الأقوال المشهورة القيمة والتشبيهات الكثيرة، وحين يتبادل الحديث مع الناس، كان يستخدم تعابير عامة غنية وتشبيهات حية. فقد وصف المجتمع المثالي الذي تحققت فيه استقلالية الناس على أنه مجتمع يعيش فيه الناس على وجبة الأرز وحساء اللحوم لابسين ملابس الحرير في البيوت المسقوفة بالقرميد، كما وصف النقل بالسكك الحديدية وهو طليعة الاقتصاد الوطني على أنه شرايين البلاد، وحين يتحدث عن صحة الناس وعمرهم المديد، وصفها بالشباب في الستين من العمر والاحتفال بيوم الميلاد الستيني في التسعين من العمر، وحين يتحدث عن حياة الحزب،

قال بكلام عادي إن تخلص أعضاء الحزب من رقابة المنظمة، خطير مثل طفل صغير ابتعد عن حضن أمها، وحين يتحدث عن أسلوب عمل الكوادر، أشار إلى ضرورة عملهم بمنتهى الحرص والحنكة قائلا إن القرد يسقط أحيانا على الأرض عند عبور السياج بعد ما كان يتهور طيشا واثقا بمهارته فقط، لكن الثعبان لا يسقط، لأنه يتسلقه بحذر مؤكدا على أمانته.

حتى إذا أراد أن يكلف أي شخص بالمهمة أو يشير إلى عيبه، لم يكن يقولها بلهجة الأمر الرسمي أو الإجبار، بل كان يقول بلهجة لطيفة أو يجعله يدرك خطأه من تلقاء ذاته، عن طريق المجاز الحي أو التعبير العميق المغزى بنقل حكاية قديمة مشوقة أو أقوال مأثورة.

حدث ذلك، حين زار الرئيس مصنع كيونغسونغ للخزف في يوم الثالث عشر من آذار/ مارس عام ١٩٥٩، للاعتناء بحياة الشعب بقلب أبيهم الحقيقي.

أثناء تجواله في أركان المصنع للاطلاع على حالة الإنتاج، جاء إلى ورشة التصنيف، حيث أخذ أحد الأطباق وأمعن النظر فيه، ورأى أن جودته تحسنت إلى حد ما بالمقارنة مع الماضي، لكنه ما زال سميكا ولم يكن لونه أبيض جدا، ومقاييسه أيضا لم تكن كما ينبغي. هكذا، كانت جودته لم تكن عالية. كان ذلك يزعج فؤاد الرئيس الذي يود أن يضع أفضل الأدوات المطبخية في منازل الشعب.

قبيل مغادرة المصنع، التفت الرئيس إلى الفتيات عاملات التشكيل اللواتي كن في الفناء لتوديعه، وقال مبتسما لهن إنه إذا استيقظت الفتيات من النوم في الصباح فإنهن يضعن المكياج على وجوههن فيما هن يرين المرآة بعد غسل وجوههن، حتى تغدو وجوههن جميلة، لكن أواني الخزف

التي تصنعنها ليست جميلة مثلكن. فلا بد لكن أن تصنعن المنتجات الجميلة مثل وجوهكن.

وفي وقت المغادرة أيضا، قال الرئيس للعاملات إن صنع الخزف نوع من الفن الذي يتطلب دقة ورهافة، وسألهن: هل يمكن رفع جودتها من درجة المقبول الحالية إلى درجة الممتاز، وغادر المصنع بعد أن سمع جوابهن المفعم بالثقة. هكذا، صحح موقفهن الخاطئ من صنع الخزف دون أن يلومهن مباشرة بل بالمجاز المشوق. في الحقيقة إن هذا الكلام الذي قاله الرئيس مجازا بمكياج الفتاة كان كافيا لتأنيب ضميرهن وتصحيح موقفهن الخاطئ في العمل.

وبعد زيارته لهذا المصنع، شهد نجاح معين في تحسين جودة الخزف، وعندئذ، زار الرئيس هذا المصنع مرة أخرى، وسأل كبير المهندسين في المصنع عدد الأولاد له، ونبهه إلى ضرورة زيادة عدد أنواع المنتجات وكمياتها قائلا: «أرى أن الواجب يفرض علينا أن نصنع عددا أكبر من أواني الطعام إذا أردنا أن نؤدي دور الآباء بصورة أفضل».

لكلامه المجاز هذا دون أي نقد أو لوم لهم، أحس كوادر المصنع وعماله بوخز ضميرهم، ونجحوا أخيرا في نضالهم لتحسين جودة الخزف وزيادة عدد أنواعه وكميات إنتاجه.

حدث أمر تال في يوم السادس عشر من تموز/ يوليو عام ١٩٦٤.

في ذلك اليوم، صار المدرسون في مدرسة ياكسو الإعدادية في قضاء تشانغسونغ يقدمون العرض الفني أمام الرئيس الذي يزور مدرستهم. لكنهم ارتكبوا غلطة في توافق اللحن أثناء تقديم عرضهم الفني.

لغلطتهم هذه أمام الرئيس، شعر مسؤول المدرسة بضيق القلب لذنبه

الكبير، لكن الرئيس صفق لهم قائلا: «يمكنكم أن تقدموا عرضا أفضل في المستقبل، إذا بذلتم جهودا أكبر. يكون ثمة مثل يقول إن الإخلاص ينال إعجاب السماء أيضا. إن البداية الجيدة هي نصف العمل. أحسنتم عرضا». بعد أن خرج الرئيس إلى قاعة الاستراحة على إثر انتهاء العرض أيضا، ألهمهم مرة أخرى قائلا إنهم أحسنوا عرضا. إن الأهم هو حماستهم واشتراك جميعهم. وعند إظهار حماستهم العالية يمكن أن يتواصل تطورهم.

رغم أن قوله كان قصيرا، لكنه كان ينطوي على إلهامه لهم وثقته وتوقعه لنجاحهم القادم مع أن عرضهم لم يكن متقنا.

كما كان كلام الرئيس متميزا بظرافة الفكاهة والقصص المشوقة عن مضامين الحياة.

حين كان الرئيس يتحدث مع الناس، كثيرا ما استخدم فكاهات ونكاتا وقصصا مشوقة عن المضامين الحياتية، مما جعل الجو نيرا ويسر قلوب المتحدثين.

حين رأى مائدة الطعام فاخرة نادرا ما بالمأكولات مثل لحم الدجاج أو جبنة الصويا بعد ما كانت بسيطة في الأيام العادية، قال مازحا: أ هذا اليوم هو يوم العيد، مما جعل الحاضرين يضحكون، وحين كان لا بد أن يؤكد على ضرورة العيش بأسلوبنا وبأذهاننا الخاصة، روى قصة عن أحد الطيور الطائشة التي مات بتمزق قائمتيه بعدما تقلد مشي اللقلق. وذات مرة، رأى ركبة تلميذ شقي مكدوشة، عند دخوله حجرة الدرس للتلاميذ المستجدين، وسأله وهو يلاطف ركبته بعد إحناء قامته أي «معركة» اشتركت فيها حتى أصبت بـ «الجرح»، مما جعل صغار التلاميذ ينفجرون ضاحكين.

وفي حديثه مع الأجانب والمواطنين المغتربين وحتى عند لقائه برؤساء

الدول الأخرى، كان الرئيس يستخدم كثيرا من الفكاهات والنكات، مما يزيد شعورا بالود والمودة.

وذات مرة حين كان في قاعدة التدريب بالشرق الأقصى لجيش الاتحاد السوفييتي قبل تحرر كوريا، أنقذ الرئيس أحد الضباط السوفييتيين الذي أكل لحم الضفدع من الموقف الحرج أمام زوجته، بما قال إنه تناول «لحم الدجاج السماوي» الذي لا يمكن لأحد أن يتناوله ما عدا الأشخاص من نوع خاص، وقلد صوت ذلك الدجاج حتى أضحك الحاضرين. وذات مرة، روى أسطورة كورية عن ثماني الحوريات في جبل كومكانغ لأفراد الفرقة الفنية الصينية التي زارت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، وفي أثناء حديثه، قال إنه لو كان بينكم فتى أعزب لكان من الأفضل أن يصعد إلى برك «بالدام» ليلتقي بالحورية، مما أثار ضحكات الضيوف. وفي المأدبة التي أقيمت في الذكرى الثمانين لعيد ميلاده، روى أثناء تناوله الشعيرية في الصينية مع رؤساء الدول الأخرى قصة عن نشوء هذه الشعيرية التي تناولها في الماضي النبلاء الإقطاعيون في الصحن الواحد مع العاهرات لتقابل أفواههم أفواههن حتى انفجر الحاضرون ضاحكين.

زمنا ما قال كونو جوزي عضو مجلس النواب التابع للحزب الديمقراطي الليبرالي ومدير البريد في اليابان، الذي قابل كثيرا من رؤساء الدول الأخرى: «عادة، يقول رئيس دولة في أي بلد، عند الحديث، واقفا موقف سمعة وقدرة بلده. ولذلك، يكون مضمون حديثه رسميا، ويبدو سلوكه نيقا ومتكبرا».

يروي قوله هذا الاتجاه العام الذي يبديه رؤساء الدول عند حديثهم مع الأجانب. إلا أن الرئيس كيم إيل سونغ كان يعامل جميع الناس إنسانيا،

ويتبادل الحديث الحياتي معهم على الدوام.

دون رؤية الحياة، لا يمكن المعرفة بالإنسان، ودون المعرفة بالحياة لا يمكن القول عن الإنسان. ولذلك، كان الرئيس يتبادل الحديث مع أي شخص أولا من الناحية الإنسانية قبل ناحية العمل، ويعير اهتماما أكبر لإقامة علاقة حياتية قبل علاقة العمل.

انطلاقا من ذلك، كان يحب الحديث عن مسائل الحياة في جو حياتي.

فإذا قابل الكوادر، سألهم عن حالة صحتهم وأسرهم قبل مناقشة العمل، وإذا قابل عاملين عاديين سألهم أولا عن أعمارهم ومسقط رؤوسهم ووالديهم بالتفصيل. وإذا ذهب إلى المسكن الجماعي، استفسر عن كيفية غسل الملابس وكيفية أخذ الحمام وحالة تدفئة الغرف، وإذا زار المنازل السكنية، سأل أولا عن حالة ضمان المياه والوقود.

كان الرئيس يتبادل الحديث الحياتي مع الأجانب أيضا في جو من الألفة والمودة.

ذات مرة، زار الرئيس الاتحاد السوفييتي السابق، حيث سأل الكوادر السوفييتيين هل يحب أهل بلدهم أيضا طعاما حريفا، ودعاهم لتناول «كيمتشي» الكوري الحريف من الخيار وخمر إنسام (جنسنغ)، واقترح بشرب النبيذ قائلا إن السوفييتيين يعتادون على شرب النبيذ قبل تناول السمك، وقال لأحد الكوادر السوفييتيين العاملين منذ أكثر من ثلاثين سنة من أجل الصداقة الكورية السوفييتية إنه صديق قديم له، مستشهدا بقول مأثور إن الصديق القديم أفضل بينما يكون الثوب الجديد أفضل.

كان كلامه المتعلق بالحياة ينطوي على كل شيء من عادات أبناء الشعب والأجانب وأعرافهم التقليدية وحتى صغائر شؤون حياتهم المتوارثة.

لم يكن يحب الرئيس استخدام كلام طنان بل إنه كان يتحدث بكلام عادي لكن فكره واضح ويهز أوتار قلوب الناس وغير منفر للسمع وينساق إليه المرء كلما يسمعه مرة بعد مرة، ولذلك، كان الجو حوله مرحا دائما ولم تفارق الابتسامة وجوه السامعين، وكانت قلوب الناس تتجه إليه دائما.

كما كان الرئيس متواضعا إلى أبعد الحدود. كل من يزور أي روضة أطفال أو دار حضانة في كوريا الاشتراكية، يرى لأول وهلة لوحة رسم مؤثرة، تمثل الرئيس الذي يكون بين الأطفال مستقبل الوطن وهو يبتسم ابتسامة عريضة جالسا على المقعد الطويل في الحديقة ويتحلق حوله الأطفال أحدهم يلبس قبعة الرئيس والآخر يعانق الرئيس بذراعيه ويهمس شيئا في أذنه. كان الأطفال مفعمين بالسعادة مثلما يكونون مع جدهم الحقيقي.

هذه هي لوحة تاريخية تبين علاقات القربى بين القائد والشعب والأطفال. حقا إنها لوحة جم يلة تصور رجلا بارزا يحمل أخلاقا وشيما إنسانية وسياسية لم يكن مثيلها في تاريخ البشرية.

إذا كان الود والدفء في الكلام العادي المشوق هو جمال اللغة، فإن الاختلاط دائما بالناس دون أي رسميات هو جمال السلوك.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يعيش ويعمل طوال حياته بين الشعب دون أي تكليف أو رسميات. كان ذلك تظاهرا لنظرته السامية التي تعتبر الشعب كالسماء. كانت نظرته المتفانية للشعب تلك أساسا روحيا جعله يعيش طوال حياته كقائد أعلى للحزب والدولة يعيش مع الشعب دون أن يعرف أي تكليف أو رسميات.

في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧١، زار مينوبي ريوكيتسي محافظ طوكيو بيونغ يانغ.

بعد أن تجول في أنحاء جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، شعر بالإعجاب والتأثير الكبير من هذا البلد الاشتراكي المتغير. لكن الشيء الواحد لم يكن مفهوما له، ذلك أن الرئيس كيم إيل سونغ يذهب إلى أي مكان مصنعا أم ريفا كما يشاء. كان ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لحاكم العاصمة في اليابان والذي لا يستطيع أن يمشي في الشوارع كما يشاء، وقد تعرض لهجوم الأشقياء اليمينيين على وشك صعود الطائرة الموجهة إلى بيونغ يانغ هذه المرة أيضا. ولذلك، حين أتيحت له فرصة لقائه بالرئيس، سأله: أليست مشكلة عندما تذهب كما تشاء إلى أي مكان؟ بعد أن سمعه الرئيس، رد عليه لماذا أخاف من الشعب طالما أني أقوم بالأعمال الجيدة من أجل الشعب؟ لا مشكلة إن ذهبت إلى أي مكان، مواقع بناء البيوت والمصانع والقرى الريفية، وفي بعض الأحيان، أنام في الريف. وشرح له عن سياسة حزب العمل الكوري عن التجار والصناعيين وسياسته عن المثقفين القدماء أيضا.

هكذا، كان الرئيس يختلط بالشعب طوال حياته والذي يحترمه ويقدسه، ويعاملهم دون أي تكليف. ذات مرة، دعا الفلاحين الذين أسرعوا إليه بعد تعشيب الحقول إلى جلوسهم تحت ظل الشجرة قائلا إن «الفلاحين الذين يعملون مهرقين العرق يحق بهم أن يجلسوا تحت الظل، أما أنا فإني أفضل هذا المكان»، وجلس هو على مكان يحرقه شعاع الشمس، وتبادل الحديث معهم دون أي كلفة.

كان الرئيس يعتبر جماهير الشعب الصاحب المباشر للثورة كرفاق ثوريين قيمين يشاطرونه المصير من الحياة والموت وأناس أعزاء يعتمد عليهم، ورأى سرور حياته وقيمتها في العيش دون كلفة معهم.

كان الرئيس يشتاق إلى الشعب، ويود لو يكون بينهم دائما في أي مكان

وزمـان. بهـذا الدافـع الروحـي، كان يعامـل الشـعب دائمـا دون أي كلفـة، ويقـوم بالثـورة بالاعتمـاد عليهـم. كان الرئيـس واقفـا دائمـا إلـى جانـب الشـعب، ومؤيـدا مطلقـا للنـاس العادييـن.

كان يحـب الحيـاة والعمـل بالاختـلاط مـع الشـعب وهـو يولـي الأهميـة الكبـرى لأوقـات العمـل معهـم.

بعـد أن جـاء رئيـس تحريـر الصحيفـة الهنديـة «هنديـان تايمـز» إلـى بيونـغ يانـغ، ليهنـئ الذكـرى الخامسـة والخمسـين لميـلاد الرئيـس كيـم إيـل سـونغ، توجـه إلـى المنطقـة المحليـة للقـاء بالرئيـس الـذي يقـوم بالتوجيهـات الميدانيـة.

وبعـد أن تبـادل الرئيـس تحيـة معـه، قـال لـه إنـه لا يحتفـل أصـلا بيـوم ميـلاده، لكـن الكـوادر والكثيـر مـن النـاس قـد يزورونـه، إذا كان فـي بيونـغ يانـغ، ولذلـك، جـاء إلـى هـذه المنطقـة هربـا مـن إزعاجهـم وفـي الوقـت نفسـه، بغـرض إعطـاء توجيهاتـه الميدانيـة، واسـتطرد قائـلا: «إننـي أفضـل هكـذا أن أكـون بيـن العمـال والفلاحيـن علـى أن أشـترك فـي المأدبـة التـي تقـام للتهنئـة بيـوم ميـلادي».

لـم يكـن مـرة أو مرتيـن غـادر فيهـا المـكان، كلمـا رأى بـوادر التهنئـة بيـوم ميـلاده.

ذات مـرة، احتفـل بأحـد الأعيـاد الوطنيـة مـع الشـعب فـي المنطقـة المحليـة، بعـد أن تخلـى عـن خطـة عودتـه إلـى بيونـغ يانـغ بتلـك المناسـبة أثنـاء توجيهاتـه الميدانيـة لهـا.

هكـذا، كان طـول حياتـه بيـن الشـعب فيمـا هـو يعطـي توجيهاتـه الميدانيـة فـي المناطـق المحليـة حتـى فـي أيـام ميـلاده والأعيـاد أيضـا.

كان اليـوم العاشـر مـن تشـرين الأول/ أكتوبـر عـام ١٩٥٧ هـو عيـد أغـر يوافـق الذكـرى الثانيـة عشـرة لتأسـيس حـزب العمـل الكـوري، إلا أنـه كان فـي

هذا اليوم أيضا على طريق توجيهاته الميدانية لمحافظة بيونغآن الشمالية.

حين سمع التلاميذ في مدرسة دونغزو الإعدادية خبرا عن أن الرئيس كيم إيل سونغ جاء إلى منطقتهم في هذا اليوم عميق المغزى الذي يوافق الذكرى الثانية عشرة لتأسيس حزب العمل الكوري، اندفع فور انتهاء دروسهم إلى الخارج للقاء به.

حينما رؤوا الرئيس يقف في الاتجاه الآخر للنهر، أطلقوا صيحات حياته وهم يضربون الأرض بأقدامهم. لوح الرئيس بيده نحوهم، وعندئذ، راح التلاميذ المنفعلون يركبون الزورق الموجود على شاطئ النهر دون وعي منهم للوصول إليه. قبل بلوغ الزورق الشاطئ، قفزوا إلى الماء مثيرين ضجة صاخبة.

وحين اجتمعوا حوله، سألهم الرئيس بالتفصيل هل انتهت دروسهم وهل أجادوا الدراسة. حين عاملهم الرئيس بدفء دون أي كلفة، كان الأولاد يتعلقون بذراعيه متسابقين دون أن يعوا أن ملابسهم قد صارت مبللة تماما بالماء. بعد أن رأى أحد الكوادر هذا المشهد، صرخ لهم «إياكم أن تفعلوا هكذا». لصوته هذا، بدأ الأولاد بالانسحاب منه، واعين أنهم صاروا مفرطين في التصرف. لكن الرئيس قال لذلك الكادر «دعهم وشأنهم. لماذا تقول هكذا لأولاد الذين جاؤوا للقاء بي، حتى إلى هنا، ما دمت لا أزور المدرسة من جراء مشاغلي الكثيرة». ودعا الأولاد إليه وهو يلوح بيده. سرعان ما اندفع الأولاد إليه بعد أن انسحبوا عنه.

سأل الرئيس لكل منهم ماذا سيفعل بعد أن كبر، وأيد أمل كل منهم، وحين اقترب الوقت من المساء، اقترح الرئيس بالتقاط الصورة معهم قبل ميل الشمس، وتوجه بجميع الأولاد إلى أرض الأعشاب، وجلس عليها. أراد

الأولاد أن يجلسوا في مكان أقرب من الرئيس. ولكن المصور صار حرجا لعدم إمكانه من التقاط الصورة بعد وضع بؤرتها على الرئيس لإدخال جميع الأولاد في الصورة. عندئذ، قال الرئيس للمصور إن البؤرة يجب وضعها على تلميذ جالس في الوسط، والأهم هو بروز وجوه التلاميذ في الصورة. وحثه على التقاط الصورة بسرعة قبل غروب الشمس. حقا كان ذلك مشهدا بين الأب وأبنائه الحقيقيين.

تبقى تلك الصورة محفوظة في تاريخ الثورة الكورية كشاهد خالد على حبه الدافئ لأفراد الجيل الناشئ.

ذات مرة، قال الرئيس للكوادر المرافقين له إنه يريد أن يؤكد لهم على شيء، هو أنه لا يجوز لهم أن يمنعوه من مقابلة الناس بحرية، وإذا ذهب إلى مصنع، فإن العمال يحلقون حوله، ويتحدث معهم دون كلفة، وإذا ذهب إلى الريف، فإنه يتحدث مع الفلاحين وجها لوجه. لا يجوز منع ذلك. يود الشعب أن يلتقي بي، بينما أود أن ألتقي به وأتبادل الحديث معه، وإنني أعتبر لقائي بالشعب سرورا لي، ويعتبر الشعب لقاءه بي سعادة له. طبعا إنكم تقلقون على سلامة أمني. ولكن لا داعي لذلك. يثق شعبنا بالحزب ويدعمه من أعماق قلبه، وأنا بدوري أثق ثقة أكيدة بالشعب وأحترمه.

كان الرئيس يعتبر أن يكون دائما بين الشعب ويقضي معهم الأوقات دون كلفة، كأكبر متعة له.

حين قابل المقاتلين النموذجيين في البيت الفلاحي البسيط في أحد أيام الحرب، دعا الجنود إلى أن يجلسوا أقرب منه قائلا «إن الجلوس الأقرب يزيد المودة. تفضلوا بالجلوس أقرب مني»، وجعلهم يجلسون قريبين منه، وتبادل الحديث معهم، وعقد معهم جلسة التسلية حيث غنى بنفسه «أغنية

الحنين إلى الموطن». تلك الأغنية التي غناها القائد الأعلى أمام الجنود الأدنى رتبة لم تكن مجرد تعبير عن مشاعره، بل إنها كانت نشيد حب الرجل العظيم الذي يعامل الجنود العاديين معاملة ودية صادقة بعيدا عن الفرق في الرتبة العسكرية.

ذات مرة، زار الرئيس جزيرة دورو، حيث ود أن يأخذ يد الفلاح الذي عاد لتوه بعد العمل في الحقول ليصافحه، لكن الفلاح تردد فيما هو يمسح سرواله بيده، لأنه كان يعمل بالدبال قبل قليل في الحقول، لكن الرئيس أمسك بيده بلطف قائلا إنه لا بأس، هذا هو يد الفلاح.

تكون بين وثائق الصور الفوتوغرافية المأخوذة في أثناء نشاطاته الثورية كثير من الصور التي تم التقاط الرئيس مع الناس دون أي تكلفة. وكان أكثر ما يجتذب أنظار الناس منها صوره المأخوذة مع الناس شابكا ذراعه بأذرع الناس، مثل صورته المأخوذة مع الفلاح آن دال سو والصورة المأخوذة مع ري إين مو مجسد الإيمان والإرادة حيث يجلس ري إين مو على الدراجة الثلاثية ويقف الرئيس وراءه واضعا ذراعه بلطف على كتفه، ومع أيتام الوالدين مثل تشواي يونغ أوك وأخواتها، تم التقاط صورته شادا يديه بأيديهن، ولشدة سرور لقاء التوائم الثلاثة تم التقاط صورته معهم وهو يحتضنهم مثل أحفاده الحقيقيين.

لشدة معاملته الخالية من التكلفة، تحدث كثير من الناس معه بكلام غير مهذب دون أن يتعرف على هويته. تكون ثمة كثير من القصص عن ذلك ومنها قصة حدثت في أيام نضاله ضد اليابان حيث أن أحد الأشخاص في منطقة حرب العصابات ظن مغلوطا أن القائد كيم إيل سونغ هو رئيس شؤون المنطقة لشدة اختلاطه بسكان المنطقة، وقصة أخرى حدثت في أحد

مطاعم الشعيرية بعد التحرير هي أن أحد الفلاحين لم يتعرف على الرئيس، وطلب منه بصوت عال أن يعطيه سيجارة.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يعامل الأجانب أيضا بود دون أي تكلفة وبلا تقيد بالإجراءات التشريفية، سواء أ كانوا رؤساء الدول أم أشخاصا عاديين.

حين زار الرئيس موريتانيا، كان رئيس الدولة في هذا البلد في موقف حرج جدا، رغم أنه قد وجه دعوة لزيارة بلده، لكنه لم يفكر في أنه يزور بلده حقا لأنه بلد متخلف ويكون كل شيء فيه صعبا.

ولكن حين تشرف بزيارة الرئيس كيم إيل سونغ الذي يتمتع بسمعة عالمية لبلده الخالي حتى من دار الضيافة التي تستحق بنزول الضيف الكريم ولا قاعة المحادثات ولا مكان المأدبة على حدة، كان قلقه كبيرا جدا. قيل إن عقيلته السيدة الفرنسية بدورها كانت محيرة جدا حين سمعت زيارة الرئيس كيم إيل سونغ لبلده. لكن قلقهما زال فورا لكلام الرئيس كيم إيل سونغ الذي قال دون تكلف إنه يحب أصلا الحياة في الخيمة، وطالما أنه كان يعيش حياة الخيمة لمدة ١٥ سنة في أيام نضال جيش حرب العصابات، لماذا لا يعيش في الخيمة، وإن صار رئيس الدولة.

أقيمت المأدبة أيضا في هذا البلد حسب عادته التقليدية، وكان رئيس الدولة في هذا البلد نزع لحم الخروف بيده بعد غسلها وأعطاه للرئيس قائلا إن لحم إبط الخروف هو ألذ. في هذا الوقت أيضا، تناول الرئيس لحمه من يده دون أي تكليف.

كان من عادة الموريتانيين أن يشووا الخروف بكامله بعد ملأ بطنه بالأرز، ويضعوه على المائدة، ويأكلوا اللحم الذي نزعوه بأيديهم، وحين حل الضيف بهم أيضا، يأخذون اللحم بأيديهم، ويناولونه، وحينما يتناول

الضيف اللحم الذي أخذه من يد المضيف لعدة مرات، يحس المضيف بمودة الضيف الصادقة.

ولكن من عادة الكوريين أن يأكلوا الطعام بالملعقة والعودين ولا سيما لا يناولون الطعام بعد أخذه بأيديهم. إلا أن الرئيس كان يراعي عادة الشعب الموريتاني على الرغم من أنها مخالفة لعادة الكوريين. حدثت مثل تلك الأمور، حين زار الرئيس الجرائر ومنغوليا أيضا. وحين زار بلغاريا، حمل على عاتقه السلتين المليئتين بالكرز، والتقطت الصورة التذكارية له مع البلغاريين في حقل أشجار الكرز حسب عادتهم. هكذا، كان الرئيس يحترم العادات والتقاليد الأجنبية أيضا، ويقيم علاقات ودية مع الأجانب في كل بلد يذهب إليه. بما أنه كان يولي أهمية كبرى للنواحي الإنسانية، ويعامل جميع الناس سواء أ كانوا كوريين أم أجانب، دون أي رسميات، ازدادت سمعته وكرامته، وكان جميع الناس في العالم يحترمونه كل الاحترام.

طول الحياة المتواضعة

نشرت إحدى المجلات الصادرة في أيام حكم الإمبرياليين اليابانيين مقالة عن الإقطاعي الوطني كيم جونغ بو الذي أمضى أكثر من أربعة أشهر في المعسكر السري للجيش الثوري الشعبي الكوري، بدءا من أواخر آب/ أغسطس عام ١٩٣٦ إلى أوائل عام ١٩٣٧ والتقى بالقائد كيم إيل سونغ، وفيما يلي فقرات من تلك المقالة:

«إنه طويل القامة، جهوري الصوت، ومن خلال لهجته يمكن الاعتقاد بأنه ولد في محافظة بيونغآن. إنه مربوع وشاب، عمره أقل من ثلاثين سنة، خلافا لما هو متوقع. وهو يتقن اللغة المنشورية تماما، ولا يستخدم أي إيماءات تدل على أنه قائد، بل يرتدي الملابس نفسها التي يرتديها مرؤوسوه ويقاسمهم الطعام نفسه، وكذلك أفراحهم وأتراحهم، وهو يبدو متنفذا ومتسامحا.»

هذه المقالة قد نقلت شعور كيم جونغ بو الصريح بطريقة تفصيلية وموضوعية نسبيا عن شخصيته البارزة، رغم الرقابة الصارمة اليابانية على الصحافة.

ومثلما نشرت هذه المجلة، عاش الرئيس كيم إيل سونغ حياة متواضعة في كل مكان وزمان على مدى عمره. ههنا بالذات تكمن ميزة شيمه السامية الجديرة برجل عظيم.

كان الرئيس يعرف بدقة أكبر من غيره قيمة الحياة المتواضعة وأهميتها

في تشكيل شخصية الإنسان وفي صنع الثورة.

كانت وجهة نظره إلى حياة الإنسان الحقيقية هي أن حياة المرء تكون أفضل بقدر ما يزداد تواضعها. كلما يزداد تواضع المرء ترتفع شخصيته ويحظى باحترام الجماهير وحبها، ويستطيع العمل والحياة دائما باختلاط الجماهير. كان ذلك حقيقة قيمة للحياة أثبتها الرئيس عبر ممارسة النضال الواقعي. ولذلك، كان يؤكد في كل فرص لقائه بالكوادر على ضرورة عيشهم بتواضع، وأبدى مثاله في الحياة المتواضعة من خلال أفعاله الواقعية.

لم تتغير حياته المتواضعة أبدا، سواء أ كان في الأيام التي خاض فيها النضال لاستعادة الوطن، أو في الأيام لما بعد تحرر البلاد أو في أيام ازدهار البلاد، وحتى في أيام شيخوخته.

شيمه السامية هذه كانت تقوم على عاداته الحياتية النزيهة التي كان يتمسك بها طوال حياته، وانطلقت حياته النزيهة هذه من نظرته الفريدة التي رأى بها الفكر والروح السامية على أنها أكثر ثروات الثوري سموا، منذ بداية نشاطاته الثورية.

كان الثري الحقيقي الذي اعتبره الرئيس ممن قابلهم طوال حياته هو كيم جو هيون أبرز عاملي التموين في الجيش الثوري الشعبي الكوري.

كان كيم جو هيون يعمل جاهدا لحل مسألة المأكل والملبس والمسكن للجيش الثوري طوال فترة انطلاقه على طريق النضال الثوري وحتى بعد أن ارتقى إلى قائد الفوج، كان يسعى كل السعي لإطعام وإلباس وإسكان رفاقه في السلاح، مثلما كان في أيام عامل التموين، وسقط شهيدا، من جراء الهجوم المباغت الذي قامت به الوحدة «التأديبية» اليابانية، أثناء جمع العسل البري من أجل المرضى في المستشفى الخلفي.

بعد استشهاده، فتح رفاقه في السلاح مزوده، ولم يجدوا فيه شيئا، ولا حتى حذاء احتياطيا، لأنه قد أعطاه قبل يوم استشهاده لمقاتل آخر اهترى حذاؤه.

في الحقيقة إن الحبوب والأقمشة والأحذية التي حصل عليها للجيش الثوري طوال حياته ربما تشكل جبلا كبيرا، لكن المزود الذي تركه كثروته الوحيدة خاليا من أي شيء. ما دام الأمر هكذا، كان معدما حقا من حيث الملك.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» عن ماهية ممتلكات الثوري ومفهومه للحياة، متذكرا إلى ذلك الحين الذي ظل يغرق في لجة الحزن وهو لم يكبح دموعه المنحدرة ممسكا بمزوده، كما يلي:

«إن التطلع إلى السعادة هو إحدى الخصائص الطبيعية للكائن البشري، وهناك كثيرون لا يقيمون إلا الذهب وحده. ومن وجهة نظر مثل هؤلاء الناس، فإن كيم جو هيون كان يعتبر بروليتاريا لا يملك شيئا. ولكنني أؤكد مع ذلك أنه كان غنيا جدا في الواقع، لأنه احتفظ حتى اللحظة الأخيرة من حياته بفكرة وروح ساميتين لا يمكن مقارنتهما بأي كمية من الذهب.»

كان يتحلى الرئيس طوال حياته بالمعتقدات الماثلة في أن الفكرة والروح الساميتين أكبر ثروات بالنسبة للثوري. وانطلاقا من نظرته الفريدة هذه إلى ممتلكات الثوري ومفهومه للحياة، رأى الميراث الفكري والروحي الذي استلمه من والديه كأثمن وأقيم تراث لا يمكن مقارنته بأي موارد مادية، حتى استطاع أن يعيش طوال حياته بنزاهة.

بالنسبة له، كانت الأموال أو الموارد المادية لا قيمة لها أبدا إلا من أجل رفاهية الشعب، ولم يربط مرة الأموال أو الثروات بحياته الشخصية.

ذات مرة، قدم أحد الكوادر للرئيس راتبا أضيفت إليه مصاريف العمل، لأنه كان يصرف حتى مصاريف عمله على حساب راتبه، لكن الرئيس حرص على إعادتها ما عدا راتبه الأصلي، قائلا إنه لا يجوز خرق القواعد المالية للدولة، وحين طرحت إلى اجتماع مجلس الوزراء مسألة راتب رئيس الجامعة الأكبر من راتب رئيس الوزراء، قال مؤكدا إن المنصب لا شأن بها، إن رئيس الجامعة هو أحد العلماء فيحق له أن يأخذ راتبا عاليا.

على الرغم من أنه كان يبذل نفسه كليا من أجل الثورة الكورية حاملا على عاتقه شؤون الدولة الهامة طوال حياته، ولكنه كان يرفض دائما الاقتراح بإعلاء راتبه الشهري.

لم يكن يولي أي اهتمام بالمال منذ صغره. لم يحدث مرة أن يعطيه أبوه وأمه مالا له. لذلك، كان يستعمل الدفاتر وأقلام الرصاص وأمثالها من اللوازم التي اشترتها له الأم. ذلك المال من عشرين يوانا الذي أعطته الأم حين انطلق إلى طريق الثورة، بعد ما جمعته بكدها لقاء غسل ملابس الآخرين لم يكن مصاريف حياته، بل إنه كان أشبه بمال ثورة يمكنه أن يستعمله عند الحاجة القصوى إلى المال أثناء قيامه بالثورة.

كانت وجهة نظر الرئيس هي أن المرء إذا وقع فريسة الأموال والأمتعة، يصبح شخصا خسيسا لا في نظره حزب وزعيم، ولا وطن وشعب، ولا يعرف حتى والديه وزوجته وأولاده في النهاية.

وبدافع من هذه النظرة السامية، بذل كل ما لديه من المال الخاص لأجل سعادة الشعب.

في أحد الأيام من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٣، أقيمت فعالية كبيرة لتوزيع الحصيلة الزراعية السنوية في مزرعة واونهوا التعاونية

بقضاء بيونغواون في محافظة بيونغآن الجنوبية، حيث صدر القرار لتقديم المال المودع لمدة أكثر من عشر سنوات من نصيب الرئيس الذي سجل اسمه كمزارع فخري في هذه المزرعة منذ فترة نشر التعاون الزراعي الاشتراكي بعد الحرب، بمجموع قيمته ١٠٢٤٨٥ واونا إلى صاحبه الرئيس. كان ذلك تعبيرا عن شكرهم للرئيس الذي بذل كل جهوده مع المزارعين في أيام الحرب، فيما هو ينثر شخصيا البذور معهم ويوضح طريق تقدم المزرعة ويعتني بكل شؤونها الاقتصادية إلى ذلك اليوم.

بعد أن سمع الرئيس تقريرا عن هذه الفعالية بانتباه، عبر عن رضاه الكبير، قائلا إن هذا مال كبير. صاحب هذا المال غني. عند بداية تشكيل هذه المزرعة، لم يكن لمزارع حتى فراش صالح واحد ...، وتردد كلمات الأغنية: لأي غرض، أستعمل هذا المال الكبير الموزع علي .... وبعد قليل، قال إنه أصبح الآن غنيا، فإنه يود أن يكرم المزرعة بماله، وأشار إلى شراء الجرارات والشاحنات والآلات الزراعية بذلك المال وتزويد المزرعة بها. وبعد مرور عدة أيام، جلس مع أحد الكوادر ليحاسب مجموع الأموال المستهلكة لشراء تلك الأشياء المقدمة إلى المزرعة، وقال بمرح له «إن المال قد تم استهلاكه بمقدار ١٠٤٣٠٠ واون لشرائها. هذا يعني أن المال الأكثر من مالي بمقدار ١٨٠٠ واون ونيف قد تم استهلاكه. ماذا أفعل إذن، ليس لدي مال آخر. أقرضني مالا أيها الرفيق السكرتير المسؤول، سوف أفي بالدين بعد الحصول على نصيبي من الحصيلة الموزعة التالية».

هكذا، صارت ٢٢ عربة من الجرارات والعربات المقطورة والشاحنات تدخل إلى تلك المزرعة وسط أغاني وتهاليل المزارعين الذين قطعوا عدة كيلومترات لاستقبالها.

بعد أن سمع أحد الساسة الأوروبيين هذه القصة المؤثرة، أعرب عن شعوره كما يلي:

«إنني سمعت لأول مرة أن زعيم دولة صار مزارعا فخريا، وبعد أن أخذ مالا من نصيبه في الحصيلة السنوية الموزعة على المزارعين، واشترى بماله الجرارات والشاحنات، وأعطاها للمزارعين. حقا، ذلك قصة تشبه بأسطورة لا تحدث في تاريخ زراعة البشرية العائد إلى عشرات آلاف السنين.»

كان الرئيس كيم إيل سونغ نزيها دائما في حياته اليومية أو في معاملته للممتلكات العامة للدولة والشعب. كان من نظرته الثابتة أن يميز بصرامة الأمور العامة من الأمور الخاصة، ولا يخلط بينهما في كل الأحوال، ورأى أن مصالح الشعب تتعرض للاعتداء، من دون ذلك.

ذات مرة، حين عرف أن مرؤوسيه أحضروا ١٤ غرسة من الأشجار المثمرة، لغرسها في جنينة داره، لامهم قائلا إن مزرعة الفواكه تلك هي ثروة قيمة يجب تركها للأجيال القادمة مستقبلا، فلا يحق لهم أن يجيئوا بها بعد اقتلاعها طالما أن تلك الأشجار ثروات رباها الشعب بعرق جباههم. وحرص على إعادتها فورا. وذات مرة أخرى، عرف أثناء توجيهاته الميدانية لإحدى المناطق المحلية أن الكوادر في تلك المنطقة نظموا الأعمال لترتيب الطريق وبناء البيت المستقل بحجم صغير لاستقباله في أفضل الظروف، لامهم بصرامة قائلا: لماذا تنظمون ترتيب الطريق وبناء البيت بتعبئة الشعب في هذا الوقت المشغول، بدعوى ذهابي إليها، هل من الأمر اللائق تبذير ممتلكات الدولة، ما دامت تلك هي ممتلكات الشعب؟ إن من يلحقون خسارة بممتلكات الدولة ملزمون بتحمل المسؤولية أمام الشعب. مثل هذه

القصة المؤثرة التي تبين شيمه الروحية والأخلاقية الصادقة والنزيهة للغاية لا تعد ولا تحصى.

مع بناء البيوت الحديثة الفاخرة من أجل الشعب، لم يسمح ببناء بيت واحد صالح لجده وجدته. كان الرئيس وأفراد أسرته في مانكيونغداي قد عاشوا حياة بسيطة ونزيهة إلى حد أن يتذكر الرئيس بقلب مؤلم أنه لم يعط أي شيء لجده وجدته اللذين كانا يعانيان كل أنواع الشقاء ما عدا اشتراء نظارة التكبير لجدته.

كان الرئيس يؤكد دائما للكوادر «لا يجوز لنا، كائنا من كانوا، أن نتجاوز مستوى معيشة شعبنا»، وأبدى بنفسه مثالا واقعيا لذلك. بعد تحرر البلاد مباشرة، عدل معيار كمية التموين للكوادر، قائلا بصرامة إنه لا يجوز إطلاقا تقديم تموين خاص لهم حتى لرئيس وزراء الدولة. ولم يخالف هذه اللائحة في حياته العائلية أيضا. ولذلك، كان المال المستهلك في أسرته اقتصر على راتبه الشهري فقط، ولم يتجاوز حده.

كان أبناء الشعب الكوري والمواطنون المغتربون والشخصيات في مختلف بلدان العالم يقدمون كثيرا من الهدايا للرئيس كيم إيل سونغ تمجيدا لمآثره ومتمنين موفور الصحة ومديد العمر له. لكن كل الهدايا التي أهداها أبناء الشعب عادت إليهم كما هي عليه، إذ أنه حرص على تقديم كلها إلى العاملين في قطاعات العمل الشاق والمضني وأصحاب المآثر، بينما هو يشتري كل لوازمه في المخزن العام بنفس أصنافها التي يستخدمها أبناء الشعب.

من المعروف أن معرض الصداقة الدولية بني في جبل ميوهيانغ المشهور بمناظره الخلابة. يعتبر هذا شاهدا عظيما على عصر حزب العمل الكوري،

وتتركز فيه مشاعر احترام الناس في العالم وتمجيدهم للرجل العظيم، حيث عرضت الهدايا المقدمة إلى الرئيس كيم إيل سونغ من رؤساء الدول وقادة الأحزاب والشخصيات والمنظمات والأجهزة في العالم، حتى أطلق عليه هذا الاسم وصار موضع زيارة الناس الكثيرين في الداخل والخارج.

في الحقيقة إن كوريا كانت من واجبها في الأيام الماضية أن تقدم الهدايا المؤلفة من الأشياء القيمة والنادرة إلى البلدان الأخرى، لكنها أصبحت تتلقى الهدايا الكثيرة من الدول والشعوب الغفيرة في العالم منذ وقوف الرئيس كيم إيل سونغ على رئاسة الحزب والدولة. كان كل ذلك تعبيرا عن اعتراف العالم بالرئيس وتمجيده لأفكاره وقيادته ومآثره، وثقة شعوب العالم به ومشاعر افتتانها بملامحه السامية الجديرة بالرجل العظيم.

ومع ذلك كله، لم يفكر الرئيس مرة أن هذه الهدايا المقدمة إليه كانت تخصه وحده، بل إنه قال: «كل الهدايا التي تسلمتها هي ملك للبلاد، لا ملك خاص بي، فلا بد من عرض كلها في معرض الهدايا»، واستطرد قائلا بدفء قلبه إن الهدايا المقدمة من البلدان الأخرى هي الكنوز الوطنية التي تستأثر بأهمية تاريخية، فلا بد من الاحتفاظ الجيد بها. هكذا، كان الرئيس أعطى حتى ذلك الشرف الذي تلقاه أيضا إلى الشعب كما هو عليه.

حين بني المعرض الرائع في أنسب مكان في جبل ميوهيانغ، بحيث صار من الممكن عرض الهدايا فيه، قال إنه إذا قصرنا في حفظ الهدايا القيمة فإن الأجيال القادمة ستلومنا، فلا بد من حفظها جيدا، والحرص على أن يشاهدها أبناء شعبنا والأجانب. هكذا، أطلق عليه اسم معرض الصداقة الدولية، ويزوره عدد كبير من أبناء الشعب والمواطنين المغتربين والأجانب.

عادة إن السياسيين في البلدان الأخرى لا يعلنون عن الهدايا التي تلقوها

مـن غيرهـم، ويعتبرونهـا ملـكا خاصـا بهـم، حتـى يسـتخدموها أو يحتفظـوا بهـا رمـزا إلـى شـخصيتهم وكرامتهـم، وفـي حالـة عرضهـا أمـام الآخريـن، يسـتخدمونها كموضـع فخرهـم لشـخصيتهم الخاصـة.

لكـن الرئيـس كيـم إيـل سـونغ جعـل كل الهدايـا المقدمـة إليـه كنـوزا وطنيـة ورمـزا إلـى كرامـة الشـعب وقوتـه.

رغـم أنـه زار زيـارة تفقديـة كل الثـروات والآثـار والأوابـد التاريخيـة ومنهـا مدينـة معـارض الثـورات الثـلاث ومتحـف التاريـخ وحتـى ضريـح الملـك دونغميونـغ بالتفصيـل، لكنـه لـم يتفقـد معـرض الهدايـا المقدمـة إليـه بكامـل أرجائه حتـى اللحظـة الأخيـرة مـن حياتـه. هـذا مـا لـم يكـن مثيلـه لأحـد مـا عـدا الرئيـس الـذي عـاش طـوال حياتـه بنزاهـة، معتبـرا أن أفضـل ثـروات الإنسـان الثـوري مـا هـي إلا الفكـر السـامي والـروح السـليمة، لا مـال ولا ملـك.

كان الرئيـس كيـم إيـل سـونغ متواضعـا علـى الـدوام طـوال حياتـه مـن نواحي حيـاة الغـذاء واللبـس والسـكن أيضـا.

كان متواضعـا طـوال عمـره فـي حيـاة الغـذاء، بدافـع مـن مبـدأ حياتـه القائـل بـأن الثـوري يكفيـه صنـع الثـورة علـى الرغـم مـن تنـاول الطعـام بالمـاء البـارد مـع عجينـة فـول الصويـا وحدهـا.

كانـت الأطعمـة التـي أحبهـا أثنـاء حياتـه هـي الأطعمـة الجماهيريـة العاديـة التـي يحبهـا جميـع الكورييـن مثـل الطعـام المختلـط بخمسـة أنـواع مـن الحبـوب وحسـاء عجينـة فـول الصويـا ويخنتهـا والثـوم المملـح وأنـواع المخلـلات مـن الملفـوف الكامـل والخـردل المسـماة بـ «كيمتشـي» وسـلاطة البقـول البريـة والقريـدس المملـح. وكانـت الأطعمـة الأكثـر حبـا لـه هـي أيضـا أطعمـة عامـة يحبهـا جميـع الكورييـن مثـل شـعيرية البطاطـا المتجمـدة وحسـاء مـن حبـات

الـذرة وكعـك البطاطـا واليقطيـن المسـلوق وغيرهـا.

قـال الرئيـس إن ألـذ الأطعمـة وأهمهـا فـي الدنيـا هـو الملـح. ذلـك لأنـه إحـدى المـواد الأحـوج التـي لا غنـى عنهـا كل يـوم فـي معيشـة الشـعب.

لشـدة مراعاتـه لقواعـد الحيـاة الغذائيـة البسـيطة، قالـت جدتـه ري بـو إيـك لأحـد الكـوادر الـذي يقلـق علـى وجبـات الرئيـس البسـيطة: « إنـي أفهـم قلبـك، ولكـن الرئيـس الـذي ولـد مجبـولا بابـن الشـعب لا يغيـر عـادة الأكل الأصليـة. وليـس لـي أيضـا أي حيلـة».

كان الرئيـس متواضعـا جـدا فـي لبـس الملابـس والأحذيـة أيضـا. حـدث أمـر تـال فـي أحـد الأيـام مـن أوائـل شـهر تمـوز/ يوليـو عـام ١٩٨٤، حيـن كان الرئيـس يقيـم فـي المنطقـة المحليـة ليوجـه شـؤون محافظتـي هامكيونـغ الشـمالية وريانغكانـغ علـى الطبيعـة، بعـد إنهـاء زياراتـه للبلـدان الاشـتراكية الأوروبيـة.

جـاء الكـوادر إلـى الرئيـس الـذي يكـون فـي الجنينـة، ليقدمـوا لـه تحيـة الصبـاح، ولكـن حيـن وقعـت نظراتهـم عليـه، أخذتهـم الدهشـة لمشـهد الرئيـس الـذي يبـدو أكثـر شـابا. كان الرئيـس فـي الخـارج وعلـى محيـاه ابتسـامة عريضـة، بعـد أن لبـس بدلـة الياقتيـن المطويتيـن إلـى الجانـب وحـول عنقـه ربطـة. بعـد أن تلقـى الرئيـس تحيـة الكـوادر، قـال مفعمـا بالفـرح: «هـل ترونـني أنيقـا. أراكـم فرحيـن لمشـهدي الـذي أصبـح متأنقـا بالفعـل». وبعـد برهـات، قـال لهـم الرئيـس قصـة عـن لبسـه هـذه البدلـة الأنيقـة.

أمـا هـذه البدلـة فقـد أرسـلها القائـد العظيـم كيـم جونـغ إيـل بعـد مبادرتـه إلـى تفصيلـه. لأن القائـد شـعر بضيـق قلبـه، حيـن رأى أفـراد الوفـد الذيـن يـزورون البلـدان الأوروبيـة بصحبـة الرئيـس يلبسـون جميعـا بأناقـة بـدلات الياقتيـن المطويتيـن إلـى الجانـب مـع ربطـة العنـق، لكـن الرئيـس هـو وحـده كان

يلبس بدلة مغلقة العنق. ولذلك، فور عودته من البلدان الأخرى، أعطاه القائد كيم جونغ إيل هذه البدلة. عند تقديم هذه البدلة المشربة بإخلاصه، قال للرئيس بإلحاح إنك عانيت شقاء طول حياتك دون خلع البزة العسكرية والبدلة مغلقة العنق، والآن، أرجوك أن تستريح لابسا البدلة مفتوحة الصدر، طالما أني أشرف على كل شؤون الدولة لابسا البدلة مغلقة العنق.

بعد أن تحدث الرئيس عن هذه القصة، أخرج من جيب الصديرية ساعة الجيب من الذهب الأبيض، كما لو أنه يفاخر بها. تلك الساعة ذات الأرقام وخطوطها الواضحة أيضا أعدها القائد كيم جونغ إيل وأعطاها للرئيس. قال الرئيس إنه يحس بأن كل الأتعاب المتراكمة منذ أيام نضاله في الجبل تزول تواً، حينما يظهر بمظهر الزي هذا.

أثار مظهر الزي الجديد هذا أصداء بعيدة حتى في العالم، بحيث أعرب أحد المصادر الإعلامية في البلدان الرأسمالية عن شكوكه في تغيير مظهر زيه.

طبعا إنهم لم يستطيعوا أن يعرفوا سبب لبسه البدلة المفتوحة الصدر مع ربطة العنق، طالما أنه لم يظهر بهذا المظهر طوال عشرات السنين الماضية. قبل ذلك اليوم، لبس الرئيس مثل ذلك الشكل من البدلة لأول مرة في عام تحرير البلاد. إن المناضلين المناهضين لليابان الذين كانوا يساعدون الرئيس قريبا منه بعد عودته المظفرة إلى الوطن لابسا البزة العسكرية الملوثة بدخان البارود في ساحة القتال ضد اليابان بحثوا تفصيل البدلة له، وحصلوا على قماش البدلة المخططة باللون الكستاني والقماش، وصنعوا بهما بدلة وقميصا، وقدموهما للرئيس.

عندذاك، تقبلهما الرئيس بسرور وهو يقول إنه كان يشعر بالقلق على

عدم وجود الملابس الخارجية الرسمية، لكنهم أزالوا قلقه هذا. كان من واجبه أن يلقي خطاب عودته المظفرة إلى الوطن ويقابل عددا كبيرا من الشخصيات باختلاف طبقاتها وفئاتها على أرض الوطن المحرر. ولكن لم يكن له حتى طقم واحد من البدلات الرسمية.

قال أحد المناضلين المناهضين لليابان للرئيس إن الطقم الواحد من البدلات الرسمية لا يكفيه، فإنه يود أن يفصل طقما آخر له بعد الحصول على قماش فاخر، لكن الرئيس رفضه قائلا: «تكفيني هذه البدلة التي فصلتموها لي». واستطرد قائلا إن أبناء شعبنا ما زالوا يعانون الحرمان من الكساء، ولم يخلعوا لباسا مصنوعا من قماش الكتان الخشن. وما دام الأمر هكذا، كيف يستطيع أن يلبس ملابس فاخرة، فإنه سيلبس ملابس جديدة، حين يلبس جميع أبناء شعبنا ملابس فاخرة عن طريق الإسراع ببناء الوطن الجديد.

هكذا، صار الرئيس يلقي خطابا بمناسبة عودته المظفرة إلى الوطن، ولقي لقاء مؤثرا بجده وجدته في مانكيونغداي، لابسا البدلة مفتوحة الصدر. على هذا النحو، استطاع الكوريون أن يشهدوا لأول مرة في الأفلام الوثائقية والصور الفوتوغرافية مشهد الرئيس الذي يلبس البدلة مفتوحة الصدر والربطة حول عنقه.

إلا أن الرئيس كيم إيل يونغ لم يكن يلبس مجددا بدلة مفتوحة الصدر إلى أن تقدمت به السن.

بما أنه كان يشغل باله كثيرا لتزويد الشعب بأفضل الملابس، كان يرى دائما أنه من السابق لأوانه أن يرتدي ملابس فاخرة. كان طلبه الخاص بالملابس ينطبق على أفراد أسرته في مانكيونغداي أيضا. حين أراد المناضلون المناهضون لليابان أن يقدموا أفضل الملابس لجد وجدة الرئيس

اللذين كانا يعانيان كل أنواع الشقاء تحت وطأة اضطهاد وجور الإمبرياليين اليابانيين، وبعد التحرير أيضا، لم يكونا يلبسان ملابس صالحة، مانعهم الرئيس قائلا إنه يمكن تفصيل الملابس الأفضل أيضا لجده وعمه أيضا، حين يعيش جميع أبناء الشعب بسعادة. ولذلك، قالت جدته أيضا للكوادر الذين يشعرون بضيق أفئدتهم لعدم تفصيل لباس واحد لها: «لا حاجة لشغل بالكم. إني مسرورة جدا، حين أرى قائدا يعمل من أجل جميع أبناء الشعب. يقال منذ قديم الزمان إن رجلا يهتم بشؤون أسرته لن يكون رجلا عظيما». هكذا، كان الرئيس كيم إيل سونغ يعمل طوال حياته معانيا كل أنواع الشقاء، لابسا الملابس العادية التي يلبسها عامة الناس.

كانت نظرة الرئيس إلى الملابس هي أنه لا حاجة إلى لبس ملابس أنيقة طالما أنه يدخل بين الشعب، وإذا لبس ملابس خاصة فإن العمال والفلاحين يعاملونه معاملة حرجة ومتكلفة. كان السبب في لبس الرئيس بدلة مغلقة العنق طوال حياته هي أنها لباس الشعب الذي يلبسه عامة الناس في الأيام العادية.

كي يختلط الرئيس بأبناء الشعب الذين يحبهم ويعتز بهم دون رسميات، كان يعمل طوال حياته لابسا ملابس الشعب، ولم يلتفت إلى مسرح الدبلوماسية الدولية أو المنبر السياسي حيث يلبس الرجال عادة البدلات الأنيقة مفتوحة الصدر وربطة العنق، بل إنه شعر براحة البال، إذا استطاع أن يختلط بالشعب ويحظى بتأييده ولو لبس الملابس المتواضعة.

بما أنه كان يحمل هذه النظرة إلى الملابس، شعر بسرور أكبر حين قدمت له إحدى العجائز القروية ما فصلته من القميص المصنوع بقماش القنب، وجرب على لبسه أمام تلك العجوز، ممتنا لها، ولم ينساها طويلا.

حين رأى مرافقوه ملابسه صارت بالية وحائلة اللون، أرادوا تفصيل ملابس جديدة بالقماش الجيد، منعهم الرئيس قائلا: لماذا تعملون هكذا، طالما أنها صالحة له لكونها بسيطة، حين يزور المصانع والأرياف، وجعلهم يصلحونها بعد تقليب قماشها. وذات مرة، حدث أن تمزقت سترته المبطنة بالقطن من أحد أجزائها قليلا بسبب فرع الشجرة أثناء عبوره الجبل الوعر للقاء أبناء الشهداء في وقت الرياضة الصباحية، وعندئذ، طلب رفوها قائلا: «لماذا لا أستطيع ارتداء لباس مرقع؟».

وكان الرئيس يحب لبس الأحذية والجوارب أيضا مما يلبسه أبناء الشعب دائما. ولذلك، كان يلبس حذاءين جلديين فقط حينما يقابل الأجانب أو يشارك في الاجتماع أو يذهب إلى المكتب، وفي الأوقات العادية، كان يلبس دائما حذاءين قماشيين مثل أبناء الشعب الآخرين.

في أحد أيام الشتاء، رأى المرافقون أن الجلد الداخلي لحذاء الرئيس صار باليا لاحتذائه مطولا، وسعوا لتجديده، ولكن حين عرف الرئيس ذلك، منعهم قائلا: هذا الحذاء لا بأس بها حتى الآن، فلا حاجة لتركه، وأعلمهم طريقة تصليحه، وبعد انتهاء إصلاحه، سر سرورا عظيما قائلا إنه صار جديدا.

كما أنه كان يحب لبس الجوارب العادية المصنوعة من القطن التي يلبسها عامة الناس مما يباع في المخزن التجاري. في أيام الحرب العنيفة، قام بجولة تفقدية للجبهة وعمق البلاد، فيما هو يغير ٢ إلى ٣ الجوارب. ولكن إذا توفرت له الجوارب الممتازة من الصوف، فإنه أعطاها لمرافقيه أو جندي حرسه الشاب. وكان مسكنه أيضا متواضعا جدا بما يفوق التصور، حتى لم يكن يختلف أبدا عن مساكن الشعب.

كان رئيسا للدولة أي رب أسر البلاد. حتى الأسرة الصغيرة، تخصص لربها أفضل حجراتها. إلا أن الرئيس لم يكن يسكن في المسكن الخاص أو يعمل في المكتب الخاص ولو مرة، حيثما كان.

طبعا إن قاعة كومسوسان للاجتماعات (قصر الشمس الحالي في كومسوسان) تم بناؤه كقصر الرئاسة في عام ١٩٧٦. لكن الرئيس أمضى معظم أيام حياته على طريق توجيهاته الميدانية، حتى بعد بناء هذا القصر، ناهيك عما قبل بنائه، فلم يكن لديه مكتب أو غرفة طعام أو مسكن محدد له على حدة، بل كان مكتبه ومسكنه هو أماكن يعيش ويعمل فيها أبناء الشعب. حتى البيت الفلاحي البسيط والنفق الذي تتساقط فيه المياه الكلسية وعربة القطار كان يستخدمها كمسكنه ومكتبه.

ذلك المكان الذي وضع فيه الرئيس الخطة العملياتية للدفاع عن سواحل منطقة واونسان في فترة حرب التحرير الوطنية، وأنضج الخطة بعيدة المدى لفتح المجال الاستراتيجي في الحرب كان غرفة ضيقة بسيطة في البيت الريفي الواقع في وادي الجبل من قضاء بوبدونغ بمحافظة كانغواون، والمكان الذي أعد فيه الرئيس الدورة الكاملة الثالثة التاريخية للجنة الحزب المركزية أيضا كان بيتا فلاحيا متواضعا في قرية هيانغها من قضاء زانغكانغ بمحافظة زاكانغ، الذي يتسرب إليه الدخان عند إيقاد النار.

ليس في أيام الحرب الشاقة فقط، بل في أيام حدوث التحولات العظيمة في إعادة الإعمار والبناء لما بعد الحرب وجريان بناء البيوت السكنية والمباني العامة على قدم وساق أيضا، منع بناء مسكنه أو دار مكتبه قائلا «ماذا سيقول الشعب عندئذ؟»، وحرص على بناء مدرسة أو روضة أطفال أو مستشفى بدلا منها.

سبق أن أهدى ستالين في الاتحاد السوفييتي السابق سيارة الركاب المتينة الصامدة للرصاص للرئيس كيم إيل سونغ. بما أن الرئيس سار بها دون توقف في أيام بناء الوطن الجديد، وفي أيام الحرب، حتى صارت بالية. فقد صدر اقتراح الكوادر بتغييرها بسيارة جديدة.

في غضون ذلك، في شهر آب/ أغسطس عام ١٩٦٢، كان الرئيس كيم إيل سونغ في قيد إسداء توجيهاته الميدانية لقضاء تشانغسونغ. بعد انتهاء الاجتماع خرج الرئيس إلى الفناء حيث رأى السائق يقوم بترتيب السيارة. أمعن الرئيس نظرته في السيارة، وسأله كم قوة حصان محرك السيارة من طراز «سونغري- ٥٨ » من صنع بلادنا. بعد أن سمع منه ٧٠ قوة حصان، قال إن قوة محرك هذه السيارة أيضا ٧٠ قوة حصان، ولذلك، يمكن استعمالها باستمرار بعد تغيير محركها بمحرك السيارة من طراز «سونغري - ٥٨». واستطرد قائلا: «يكسب شعبنا الآن الأموال بصعوبة، ولذلك تستخدمها بلادنا بقيمة جدا فلسا بعد فلس. ما زالت الأموال قليلة لنا، فلا نمد الشعب بالأحذية أيضا بوفرة. وإذا كان ثمة مال لشراء سيارة جديدة فإني سأطلب شراء أحذية الشعب به ولو واحدا منها. في رأيي، يمكن مواصلة استخدام هذه السيارة، إذا تم إصلاحها جيدا. فإياكم شراء سيارة جديدة، بل نستعملها بعد إصلاحها جيدا».

هكذا، سعى الرئيس جاهدا لاقتصاد أموال الدولة ولو فلسا واحدا، من أجل مساعدة الشعب في معيشته، رغم أنه كان يجوب أنحاء البلاد ليل نهار من أجل الحزب والثورة، والوطن والشعب، دون أن يستهلك لنفسه حتى فلس واحد من أموال الدولة. فإذا أراد أن يستخدم مروحة في الصيف، اشتراها من مال جيبه مروحة بسيطة مصنوعة في تعاونية محلية لربات

البيوت، ولبس عن طيب خاطر ملابس مصنوعة من الأقمشة المنتجة في المصنع المحلي للنسيج.

حقا إنه نذر كل ما لديه من أجل الشعب، بينما كان يعيش ببساطة وتواضع شأنه شأن الشعب حتى آخر فترة من حياته. لذا، يذرف الناس دموعا حارة من أعماق قلوبهم، فيما هم يتذكرون حياته المتواضعة والبسيطة ومآثره وإنجازاته المتراكمة أمام الوطن والشعب. هكذا، كان الرئيس كيم إيل سونغ يعيش طوال حياته بين الشعب، حتى يبقى خالدا في قلوبهم.

* * *

ما زالت شيم الرئيس كيم إيل سونغ السامية الجديرة بالرجل العظيم تشكل نبراسا يقود الشعب الكوري إلى جادة الصواب. على الرغم من مضي ١١٣ عاما من ولادته، تبقى ملامحه الإنسانية النبيلة التي لم تتغير ولو مرة منذ أيام شبابه الذي كان يطوي براري بايكدو حتى أواخر حياته التي شاب فيها شعره تبقى حية في قلوب أبناء الشعب الكوري الذين يزدادون شوقا إليه يوما بعد يوم.

يستمر تاريخ الإنسان العظيم ولا ينقطع. يتقدم تاريخ انتصار الإنسان بصمود حتى يتكلل بالنصر سواء اليوم أو غدا كما في الأمس بقيادة الرجال العظماء .

سيبقى الرئيس كيم إيل سونغ حيا إلى الأبد كزعيم خالد للأمة، ولن ينتهي احترام الكوريين وتبجيلهم له على مدى عمر الشمس والقمر.

رجل عظيم

تأليف : هو سون بوك

تحرير : يون يونغ إيل

ترجمة : كيم بونغ نام

الناشر: دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

الإصدار: نيسان/ أبريل ٢٠٢٥

رقم : ٢٥٠٨٨٠٢٩٧٠٩٧

E-mail: flph@star-co.net.kp
http://www.korean-books.com.kp

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٥

ISBN 978-9946-0-2488-2